

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة



كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

الحملة الفرنسية من خلال كتاب أرشيف الفاتكان السري حول غزو الجزائر من
قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر 1830

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

تحت إشراف:

د. عياشي بلقاسم

من إعداد الطالبتين:

*مجدوب أنيسة

*بوشرك عايدة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة
د. صالح توفيق	رئيساً	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
د. عياشي بلقاسم	مشرفاً ومقرراً	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة
د. تركي عبد القادر	عضو مناقشاً	جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

السنة الجامعية 2025/2024

شكر وعرفان

الشكر لله عز وجل على توفيقه لي في إتمام هذا المنجز العلمي، كما أتوجه في هذا المقام بخالص عبارات الامتنان لكافة الأسرة الجامعية لقسم التاريخ بجامعة سكيكدة، وأخص بالذكر منهم أستاذي الفاضل الدكتور بلقاسم عياشي الذي له مني تحية إعزاز وإكبار على سعة صدره، وعلى جميع المجهودات والتوجيهات القيمة التي حياني بها طيلة مراحل إنجاز هذه المذكرة، كما لا أنسى أن أتقدم بأحر وأبلغ تعابير الشكر والتقدير لجميع الأساتذة الأفاضل الذين لم يبخلوا بعلمهم وتوجيههم وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور ناجي ليتيم والأستاذة بولامة صبرينة والدكتور تركي عبد القادر .

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقني يسر لي السبيل ومنحني القوة
والعزيمة لإتمام هذا العمل العلمي، والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
بكل فخر وامتنان أهدي هذا الجهد المتواضع وثمرته هذا
المنجز العلمي إلى والدي العزيزين للدين لطالما دعماني
على مشاق البحث العلمي ارفع إليهم أسمى آيات الشكر
والتقدير، فأنتم مصدر إلهامي وفخري، كما أهديه إلى
إخوتي وأخواتي الدين قدموا لي الدعم النفسي والمعنوي
في كل الأوقات، وفي الأخير أهدي هذا العمل على كافة
الأهل والأصدقاء كل باسمه ومقامه

أنيسة مجدوب



الإهداء

الحمد لله الذي جعل رحمته تفوق قدرته ولم يخلق شيء أقوى
من الدعاء وجعله أقوى حتى من أقدارنا إلى منبع الحب
والحنان إلى من ربّني بحنانها وعطفها وذكّرتني بدعائها
ومهدت طريقي أينما حللت فكانت نبراس حياتي أمي الحبيبة
وإلى مرشدي في هذه الحياة الذي علمني أن سر النجاح في
هذه الحياة هو مواجهة مصاعبها والذي جعلني أقف على
قدمي وساعدني في الوصول إلى مبتغيا وأبسنّي ثوابه
الفرسان لأمتطي جواد الحياة أبي الغالي

إلى كل زملائي وأقربائي وأساتذتي وكل من ساهم في دعمي
طوال مشواري الدراسي

عايدة بوشرك



قائمة المختصرات

الرمز	معناه
ط	الطبعة
ع	عدد
مج	مجلد
ج	جزء
ط. خ	طبعة خاصة
د. ط	دون طبعة
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعريب
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ش. و. ن. ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

مقدمة

تاريخ الجزائر تاريخ عريق ضارب بجذوره تعرض للتشويه والتضليل في بعض فتراته من طرف الأدبيات الغربية خاصة الفرنسية، التي تجسدت في المدرسة الاستعمارية الفرنسية التي كانت تسعى جاهدة لطمس هذا التاريخ المجيد للجزائر، لأنها تحمل في طياتها سرديات مفبركة لواقع تاريخنا، هذا ما دافعت عنه المدرسة الوطنية الجزائرية التي جاءت كرد فعل اتجاه ما كتب من طرف الفرنسيين كمحاولة لتصحيح المفاهيم وتنقية التاريخ الوطني من المغالط واستعادة الذاكرة الوطنية، فالجزائر بحكم مواقعها الاستراتيجية ومكانتها بين الدول جعلها محل أطماع الدول الأوروبية، فمسألة احتلال الجزائر لم تكن وليدة القرن التاسع عشر، إنما تعود إلى عهود ماضية وحق صليبي غامض تجسد في حملات التي تعرضت لها الجزائر من قبل الدول الأوروبية، والمؤامرات الدنيئة التي تحاك ضدها منذ زمن بعيد من وراء الجدران، وهذا راجع إلى عدة أبعاد اقتصادية وسياسية ودينية وآخر هذه الحملات حملة الفرنسية على الجزائر التي تعتبر امتداد للحروب الصليبية، حيث أدّعت فرنسا أنها حملت تأديبية لداي الجزائر، لكنها تخفي من وراءها دوافع وغايات أخرى.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتحيلنا إلى هذه الجوانب والأبعاد الخفية والمتمثلة في دراسة وصفية وتحليلية لكتاب يحتوي على نصوص مأخوذة من أرشيف الفاتيكان، نسعى من خلاله إلى الكشف عن حقيقة الغزو الفرنسي للجزائر وبالتالي فهو مرآة عاكسة لدوافع الحملة الاستعمارية على الجزائر.

*أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذا الموضوع كونه يتناول فترة مفصلية من تاريخ الجزائر الحديث، بالاعتماد على مصدر لم يحظى باهتمام كافي في الأوساط الأكاديمية، فهو كتاب أرشيف الفاتيكان السري حول الغزو الفرنسي للجزائر الذي أحالنا إلى زوايا أخرى لمسألة الحملة الفرنسية على الجزائر فهو يتجاوز تلك الروايات التقليدية حول حقيقة الغزو الفرنسي، وربطه ببعد صليبي ديني .

*أسباب اختيار الموضوع :

لقد تنوّعت أسباب اختيارنا للموضوع بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

الأسباب الذاتية:

- الرّغبة الشخصية في معالجة مثل هذه المواضيع ذات الطابع الإشكالي، أي المواضيع التي لاتزال محل دراسة من قبل الباحثين والمؤرخين ومنها مسألة الحملة الفرنسية على الجزائر .
- توجيه الأستاذ المشرف الذي حفزنا على البحث في هذا الموضوع، حيث وجدنا أنفسنا مشدودين فكريا وعاطفيا لهذا الموضوع.

الأسباب الموضوعية:

- الموضوع يدخل تحت إطار منهجي من خلال توظيف العناصر المنهجية المعتمدة في دراسة الكتب وهذا الموضوع عينة من العينات التي نسعى من خلالها توظيف هذه المكتسبات المنهجية.
- معرفة البعد الخفي وراء عملية الغزو الفرنسي للجزائر مع إبراز نظرة الأدبيات الغربية عامة والفرنسية خاصة في دراساتها لتاريخ الجزائر مع التركيز على نماذج التشويه التي ثبتتها المدرسة الاستعمارية الفرنسية، في مقابل ذلك معرفة الجهود الكبيرة التي بذلها المؤرخون الجزائريون في الدفاع عن تاريخ الجزائر .

***حدود الدراسة :** تتمثل في إرهابات الأولى لبداية الحملة (قبيل 1830م) بالجزائر .

* أهداف الدراسة :

- تتمثل في تحليل الوثائق والنصوص المأخوذة من أرشيف الفاتيكان السري من طرف المؤلفة لورافيشيا فاغلييري .
- إبراز تواطؤ الفاتيكان مع شارل العاشر باسم نشر المسيحية في شمال إفريقيا .

- إبراز البعد الديني للحملة الفرنسية على الجزائر .
- دراسة مناهج المدرسة الاستعمارية في كتابة تاريخ الجزائر .
- دور المدرسة الوطنية الجزائرية في تصحيح المفاهيم والدفاع عن الهوية الوطنية الجزائرية.
- تجاوز الدراسات التقليدية في منظورها للحملة .

*الإشكالية :

من خلال دراسة هذا الموضوع لاحظنا بأن موضوع الحملة الفرنسية على الجزائر حظي باهتمام الكثير من المؤرخين في العديد من الدراسات التاريخية، فقد اختلفت دوافع الحملة من طرح إلى آخر، ولكن هذه الدراسة أثبتت الإحالة إلى بعد آخر كان دافع قويا وراء عملية الغزو الفرنسي للجزائر، الذي تجسد في حقد صليبي اتجاه الإسلام، وبالتالي هذه الدراسة سنحاول من خلالها إزالة الغموض حول الأسباب الحقيقية للحملة الفرنسية على الجزائر وكشف نية وتواطؤ شارل العاشر مع دولة الفاتيكان إبان عملية الغزو، هنا يمكننا صياغة الإشكالية المركزية على النحو التالي :

كيف تناول كتاب أرشيف فاتيكان السري عملية الغزو الفرنسي للجزائر ؟

وتحت هذه الإشكالية نطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها :

- فيما تتمثل دوافع اهتمام المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر ؟
- ماهو منهج الكتاب الفرنسيين في دراسة تاريخ الجزائر ؟
- كيف هي نظرة المدرسة الاستعمارية الفرنسية لتاريخ الجزائر ؟
- كيف كان رد فعل المدرسة الوطنية اتجاه الأدبيات الغربية ؟

*منهج الدراسة :

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي القائم على آلية التحليل والمقارنة .

فاعتمدنا التحليل في عرض الوثائق التي وجدت في أرشيف الفاتيكان السري الواردة في كتاب المؤلفة لورافيشيا فاغلييري، أما المقارنة استعراضا فيه نظرة الكتابات الأجنبية لتاريخ الجزائر في مقابل رد مؤرخي المدرسة الجزائرية الوطنية على ادعاءاتهم في تشويه التاريخ الجزائري ونظرتهم للحملة .

*الدراسات السابقة :

من بين الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع أهمها مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان: الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها (1830/1792) حيث عالجت موضوع الحملة الفرنسية على الجزائر بصفة عامة وأرجعت أسبابها إلى دوافع الاقتصادية والإستراتيجية وسياسية ودينية، حيث كان للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر 1830، ففرنسا تعتبر نفسها حامية الكنيسة الكاثوليكية فهي ترى في احتلالها للجزائر عملا هاما تقدمه للعالم المسيحي وشعوب البحر الأبيض المتوسط، في حين دراستنا لموضوع الحملة الفرنسية على الجزائر وضح لنا أن عملية الغزو الفرنسي للجزائر لها بعد آخر يكمن في تدعيم دولة الفاتيكان للحملة الفرنسية وتواطؤ شارل العاشر مع الفاتيكان وهذا ما يتضح من خلال المراسلات الدبلوماسية بين الكرسي الرسولي والدولة الفرنسية تتمثل في مراسلات بين السفير البابوي في باريس والبابا نفسه ورسائل بين الفاتيكان ووزير الخارجية الفرنسية والملك شارل العاشر .

*التعريف بالمصادر والمراجع :

اعتمدنا في دراستنا الموضوع بحثنا على مجموعة من مصادر المراجع أهمها :

كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة وقد اعتمدنا فيه على أبرز نظراته للحملة الفرنسية على الجزائر وأسباب فشل المقاومة بين الطرفين، وترك لنا من خلال كتاباته صورة حقيقية عن واقع عاشته الجزائر مع الاحتلال وساهم في فضح جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

كتاب أحمد الجزائري كيف دخل الفرنسيون الجزائر وقد أفادنا في تقديم رؤيته للحملة الفرنسية مسلطا ضوء على عمليات القتل والسلب التي رافقت الاحتلال حيث قدم وصفا دقيق لحالة الخوف التي أصابت سكان العاصمة .

كتاب صالح العنتري فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة الذي أفادنا في ذكر الوقائع بدقة حول الحياة اليومية والسياسية لقسنطينة خلال فترة الاضطراب السياسي الذي سبق الاحتلال الفرنسي، مع التركيز على التوترات الداخلية التي سبقت تدخل العثمانيين في شؤون المدينة فهو لم يتناول الحملة الفرنسية على الجزائر بشكل صريح .

مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة لمؤلفه محمد العربي الزبيري الذي اعتمدناه في النظرة للحملة الفرنسية على الجزائر .

*خطة البحث:

من أجل الإجابة على إشكالية هذا الموضوع اعتمدنا خطة بحث مكونة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة بالإضافة للملاحق .

حيث تحدثنا في الفصل الأول عن نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (أنموذجا)، وقد قمنا بتقسيمه إلى ثلاث مباحث تحدثنا فيها عن دوافع اهتمام المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر والمدرسة الاستعمارية الفرنسية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر، كما تحدثنا في المبحث الثالث عن منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر .

في حين الفصل الثاني جاء تحت عنوان تاريخ الجزائر من منظور الكتابات المحلية وهو بدوره ينقسم إلى ثلاث مباحث تم التطرق في البداية إلى المدرسة الوطنية الجزائرية ودورها في رد الاعتبار لتاريخ الجزائر (تعريفها تأسيسها روادها)، أما المبحث الثاني نماذج من الكتابات المحلية أما المبحث الثالث فجاء بعنوان موقف الكتابات الجزائرية من الكتابات الأجنبية (الفرنسية) .

أما الفصل الثالث فاخترنا له عنوان دور الفاتيكين في الحملة الفرنسية على الجزائر تضمن ثلاث مباحث، المبحث الأول تحدثنا فيه نشأة دولة الفاتيكين، خصص المبحث الثاني عن دعم الفاتيكين لفرنسا أثناء عملية الغزو، أما المبحث الثالث تم التطرق فيه إلى الإشاعة الفرنسية لغزو الجزائر (حادثة المروحة أنموذجا) .

والفصل الرابع أدرج تحت عنوان دراسة وصفية للكتاب في المبحث الأول تم التطرق إلى تعريف المؤلفة، أما المبحث الثاني تحدثنا إلى التأطير العام للكتاب، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان تحليل سمياتي لواجهة الكتاب .

وفي الفصل الخامس والأخير فوضعنا له عنوان دراسة تحليلية للكتاب وتضمن ثلاث مباحث جاء المبحث الأول بعنوان تحليل مضمون الكتاب (المحتوى)

بينما المبحث الثاني فجاء بعنوان القيمة التاريخية للكتاب، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان البعد الصليبي للحملة من خلال الكتاب .

وأنهيت الفصول بخاتمة ضمنيتها النتائج التي توصلت إليها وعززت دراستي بملاحق .

الصعوبات :

وكأي عمل لا يخلو من الصعوبات فقد واجهتنا عدة مشاكل أهمها : قلة المادة العلمية في بعض الفصول وصعوبة في ترجمة النصوص المكتوبة باللغة الأجنبية هذا راجع لعدم التمكن الجيد في دراسة اللغات.

في الأخير رغم الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا العمل ، فقط تمكنا بحمد الله من تجاوزها بفضل الإصرار والتعاون وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لكل من قدم لنا يد العون وشارك في هذا العمل، نتمنى من الله أن يكون هذا الجهد المتواضع قد بلغ المستوى المنشود والله ولنا التوفيق .

الفصل الأول : نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (أنموذجا)

المبحث الأول : دوافع الاهتمام المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر

المبحث الثاني : المدرسة الاستعمارية الفرنسية ودورها في تشويه تاريخ
الجزائر

المبحث الثالث : منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

تعد الكتابات الأجنبية ولاسيما الفرنسية منها مادة مصدريّة مهمة في دراسة تاريخ الجزائر، وقد اختلفت وجهات نظر الكتابات الأجنبية في معالجتها لتاريخ الجزائر، حيث شهدت تباين واضح في أطروحاتها وهذا الاختلاف راجع إلى التباين من حيث الثقافة والتكوين؛ فمنهم من كان ينتسب إلى سلك القادة العسكريين، ومنهم إلى الباحثين الأكاديميين، ويضاف إلى ذلك أن الفرنسيين بصفة عامة عسكريين أو إداريين، حيث اعتمد القادة العسكريون الفرنسيون على مذكراتهم وتقاريرهم لتوثيق الأحداث، ولكن هذه الكتابات كانت غالبا ما تعكس وجهات نظرهم الشخصية وتصوراتهم الذاتية على سبيل المثال؛ كانت مذكرات الجنرال بارد وتظهر وجهة نظره الخاصة حول مقاومة الجزائريين، وأيضا كتب أوغست بارشون بنيهيون مذكرات بعنوان "مذكرات ضابط أركان" نشرت عام 1835م، حيث وصف فيها تفاصيل الحملة العسكرية على الجزائر، كما كتب فرانسوا دونيغرييه عن تجربته في الجزائر مشيرا إلى استخدامه الأساليب القمعية ضد السكان المحليين، وبالإضافة إلى المذكرات العسكرية، ساهم مؤرخون مثل أدريان بربروغا في توثيق تاريخ الجزائر من منظور استعماري حيث تناول ماضي الجزائر الطبيعي والأنثروبولوجي، محاولا إعادة صياغة ماضي الجزائر بما يتماشى مع الرؤية الاستعمارية الفرنسية بعد مرحلة سيطرة القادة العسكريين والحكام الإداريين على كتابة تاريخ الجزائر خلال الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى سنة 1880 التي اتسمت بطابعها الذاتي والدعائي، لقد شهدت الفترة الممتدة ما بين سنتي 1880 و1954 تحولا نوعيا في طبيعة التأريخ، حيث برزت فئة جديدة من المؤرخين تنتمي إلى الوسط الجامعي والأكاديمي، وقد تميز هؤلاء الباحثون بالدقة المنهجية والاعتماد على قواعد البحث العلمي، ومن أبرزهم مرسيه وإيفير وشارل أندري جوليان، فكانت كتاباتهم في الحقيقة تاريخا للاستعمار الفرنسي من وجهة نظر فرنسية، ولم تكن تاريخا للجزائر.

المبحث الأول: دوافع اهتمام المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر

كان تاريخ الجزائر محط اهتمام العديد من الكتابات الأجنبية وخاصة الفرنسية منها، ويعود ذلك إلى قلة المصادر والكتابات الجزائرية، فأعطوا له أهمية بالغة من بداية العصور القديمة إلى العصور الحديثة والمعاصرة، وقد ساهم معظم المؤرخين الفرنسيين في تدوين تاريخ الجزائر في كتابات قيمة، وقد ظهر إنتاجهم التاريخي في شكل مقالات صحفية وتقارير ومذكرات سياسية وعسكرية وغيرها، وقد كانت هناك العديد من الدوافع التي أدت إلى اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- كانت فرنسا تعتبر نفسها قوة عسكرية عظمى كونها استطاعت فرض هيمنتها العسكرية على العديد من المستعمرات، كما أنها تبنت فكرة التفوق الحضاري، وذلك بهدف تبرير الهيمنة والسيطرة على الجزائريين حيث أنها قالت بأنها ستتقلهم من حالة التخلف إلى حالة التقدم، لكن ما تنبغي الإشارة إليه هو؛ أن التفوق العسكري لا يعني بالضرورة التفوق الحضاري، فقد انتصر الغرب عسكريا في القرنين التاسع عشر والعشرين واحتل معظم البلدان العربية لكن ذلك لا يعني تفوقه لحضاري عليها، لأن انتصاره العسكري كان ناتجا عن اختلال ميزان التفوق الاقتصادي بين الخلافة العثمانية وأوروبا¹.

- كونهم مسيحيين قد فرضوا سيطرتهم على شعب مسلم، حيث شهدت هذه الفترات التاريخية مثل هذه الحالات على سبيل المثال في الهند تولّى مسلمون مثل أحمد شاه الأبدالي حكم مناطق ذات أغلبية مسيحية مما أدى إلى تفاعلات معقدة بين الديانتين².

¹-أبو القاسم سعد الله: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، ع14، 2015، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص9-10.

²-أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، ج 1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص10.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

ومن هذه المعطيات المتفرقة التي تم جمعها يتضح لنا أن المؤرخين الفرنسيين قد اعتمدوا في تفسيرهم لتاريخ الجزائر على فكرة مفادها أن الجزائر كانت بحاجة إلى التمدن بواسطة الاستعمار الفرنسي، وأن تاريخ الجزائر قبل الاستعمار كان تاريخا مليئا بالتخلف، بينما كان الاستعمار هو العامل الذي سيجلب التقدم والتحضر.

إن الفكرة المذكورة أعلاه قد شكلت الإطار الفكري الذي من خلاله تعامل المؤرخون الفرنسيون مع تاريخ الجزائر، مما جعل دراساتهم تتسم بشكل رئيسي بالانحياز للمصالح الاستعمارية الفرنسية، ومع مرور الزمن تطور هذا المنهج التاريخي لدى المؤرخين الفرنسيين، لكن ظل التأثير الاستعماري حاضرا في كتاباتهم رغم بعض التحولات في المنهج.

وقد ازدادت صلة المؤرخين الفرنسيين بالجزائريين خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وحركات التحرر التي شهدتها الجزائر، ففي البداية كان التأكيد على الاستعمار الحضاري وتقديمه كأداة لرفقة الشعوب المستعمرة حيث بدأ بعض المؤرخين الفرنسيين يعيدون النظر في هذه الرؤية¹. ويضاف إلى ذلك؛ فقد كانت هناك عدة دوافع ساهمت في اهتمام المؤرخين بتاريخ الجزائر أهمها:

أولا/ دافع السيطرة والاحتلال:

حيث توصلوا إلى جمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة ووثائق كثيرة عن الجزائر وحفظوها في المتاحف والمكتبات والأرشيف، من أجل تمحيصها واستخلاص النتائج منها، كما استغل الفرنسيون ما كتبه الجزائريون مثل أعمال العنتري² وابن المبارك¹ وقاموا بترجمتها ونشرها لتعزيز

¹-المرجع نفسه، ص 10، 11.

²- هو صالح ابن محمد العنتري الذي كان يعمل لدى الحاج خوجة لدى أحمد باي، ولم يتحدث أحد عن تاريخ ميلاد ولا عن تاريخ وفاته، ويبدو أنه ولد بين عامي 1790 و 1800 وتوفي عام 1870. وهو ينتمي إلى فئة المثقفين التقليديين في قسنطينة خلال أواخر العهد العثماني، وقد نشأ في وسط شعبي داخل المدينة العتيقة، وقد عمل مؤذنا في أحد مساجد قسنطينة، كما عمل خوجة لدى الداوي أحمد باي. وقد اشتهر العنتري

فهمهم للبلاد وتاريخها².

ثانياً/ الرغبة في التعرف على شعب وقع في قبضة الحضارة الأوروبية:

يظهر ذلك من خلال تأثيرات الثقافة والحضارة الأوروبية على الجزائر بعد احتلالها وكيفية دخول أدوات الغزو الفكري مثل المطبعة والصحيفة، هذه الأدوات كانت وسيلة لنقل الأفكار

بنشاطه في بئر عرب بعد تأسيسه في قسنطينة عقب احتلال الجزائر، حيث شغل منصب كاتب فيه مدة طويلة مع رؤسائه المتعاقبين عليه، وقد اشتهر بكتابين أولهما هو "الأخبار المبنية في تاريخ قسنطينة" سنة 1844 وطبعه بإعانة الكابتان بواسوني سنة 1846، وثانيهما كتاب "مجاعات قسنطينة" وقد ألفه بإقتراح من الكومندان ديبر 1870، والذي تناول فيه المجاعات التي شهدتها مدينة قسنطينة خلال القرن التاسع عشر قام بتحقيقه وتقديمه الباحث رابح بونار سنة 1974، أنظر:

- محمد الصالح العنثري: تاريخ قسنطينة فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، تح يحيى بوعزيز، دط، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص4-7.
- بوفلاحة عبد الكريم، صالح العنثري ومخطوطه الفريدة المنسية-دراسة في المنهج والرؤية-مجلة العلوم الإنسانية، ع 15، 2010، ص120.

¹- هو الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار واسمه الكامل هو أحمد بن عمر بن أحمد بن محمد بن العطار، وقد قضى ابن المبارك معظم حياته بقسنطينة التي ولد فيها عام 1790 في سن مبكرة، انتقل إلى مدينة ميلة فتلقى فيها مبادئ العربية في زاوية أسرته المعروفة بعائلة ابن العطار، ثم عاد وهو في سن الصبا إلى مسقط رأسه بقسنطينة واستقر بها إلى أن وافته المنية عام 1870، ومن أبرز مؤلفاته تاريخ قسنطينة حيث تناول فيه تاريخ مدينة قسنطينة منذ العصور الإسلامية حتى فترة الاحتلال الفرنسي. وقد تم تحقيق الكتاب من طرف عبد الله حمادي سنة 2000، ونشر سنة 2011، وهو يتألف من 164 صفحة، ويعتبر مصدراً هاماً لفهم تاريخ المنطقة، وعنوان الكتاب "سلم الوصول في الصلاة على الرسول"، مع تأليفه سلسلة عن طريقة الشيخ الزواوي مولى الطريقة الحنصالية سمّاها "نصيحة الإخوان في أصول التربية وآداب السلوك"، وقد تولى شرحها والتعليق عليها صالح بن مهنا، وكتاب حاشية على منظومة الجواهر المكنون في الثلاثة فنون المعاني والبيان والبدیع للأخضري دفين زاوية بنظليوس من قرى بسكرة في جزئين. أنظر: الحاج أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، تح عبد الله حمادي، دط، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص3-6.

²- أحمد زاوي، ورشيد مياد، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين مبارك الميلي أنموذجاً، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج7، ع1، 2020، جامعة يحيى فارس، المدية، ص65.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

الأوروبية إلى الجزائر من خلال الاستعانة بالمستشرقين الذين كانوا من يروجون لفهم مشوه أو منحرف عن الإسلام وتاريخه، وأيضا كان هناك مترجمون من خلفيات ثقافية متعددة مثل الشام ومصر فقد جاؤوا إلى الجزائر بعد أن تأثروا بالحضارة الأوروبية خلال الحروب مثل حملة نابليون على مصر والشام، وهذه الحروب ساعدت على ربطهم أكثر بالثقافة الأوروبية¹.

ثالثا/ الدوافع العلمية:

خلال العهد العثماني كانت الجزائر محط اهتمام العديد من الرحالة الغربيين الذين جاؤوا بدافع الفضول العلمي لاستكشاف ثقافتها وتاريخها، وقد حظوا بدعم مادي من قبل اللجان العلمية والجمعيات الأثرية والدينية وهيئات أخرى، على غرار جمعية قسنطينة الأثرية التي تأسست في القرن التاسع عشر وركزت على دراسة الآثار والتاريخ في منطقة قسنطينة، وقد نشرت مجلتها العلمية التي تناولت مواضيع تاريخية وثقافية، وأيضا الجمعية التاريخية الجزائرية التي تأسست في 17 أبريل 1856م في الجزائر العاصمة، بمبادرة من الحاكم العام الماريشال راندون، وكان هدفها دراسة تاريخ الجزائر وثقافتها.

وبالإضافة إلى ذلك نجد الجامعات والزوايا التي ركزت على ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية، خاصة الكتب المدرسية التاريخية، وقد ساهمت هذه اللجنة في توفير مصادر معرفية للرحالة الغربيين مما سهل عليهم دراسة التاريخ والثقافة الجزائرية، وكذا إجراء أبحاثهم ونشر دراساتهم التي تناولت جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر العثمانية².

¹ -أبو القاسم سعد الله: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص10.

² -آمنة فاطمة زهرة العيادة، أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث (1830-1519) دراسة نماذج، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج7، ع1، جامعة الجزائر 2-أبو القاسم سعد الله-، 2022، ص105.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

كما كان لدى الرحالة دور كبير في تزويد الحملة الفرنسية على الجزائر بالمعلومات وذلك من خلال الكتابات التي أعدها الأسرى والقناصل المقيمين في الجزائر مما ساهم في تسهيل عملية الغزو، ونذكر من بينهم الرحالة الألماني سيمون بفايفر¹.

تحدث سيمون بفايفر عن الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830، حيث ذكر في كتاباته كيف كانت الاستعدادات العسكرية للجزائر تحت قيادة الداوي حسين الذي كان يحول تنظيم دفاعاته، ولكنه وجد نفسه في مواجهة تحديات عدة، كان الداوي يسعى جاهدا لتحفيز الشعب الجزائري على الوقوف بجانبه في مواجهة العدوان الفرنسي، متوجها إليهم بنداء يشجعهم على مقاومة الاحتلال، ومع ذلك؛ انتقد بفايفر ضعف استعدادات الداوي حيث اعتبر أن تنظيم الدفاعات الجزائرية كان غير كاف وغير متماسك وهو ما انعكس سلبا على قدرة البلاد في التصدي للغزو².

وتحدث بفايفر³ أيضا عن المؤامرة التي دبرتها بعض العناصر الجزائرية من الحاشية والانكشاريين الذين كانوا يحيطون بالداوي حسين، مما جعله غير قادر على إيجاد قرارات

¹- هو رحالة وطبيب ألماني ولد حوالي عام 1810 في منطقة راينهيسن، فقد والديه في سن مبكرة، مما اضطره للعيش مع أقاربه الذين أرسلوه إلى المدرسة في سن الثالثة عشر، أبدى ميلا لفن الجراحة، فكرس نفسه لدراسته بجدية، مما أهله للسفر إلى هولندا في سن الخامسة عشرة، وصل إلى مدين أمستردام أين استقبله أحد معارفه وأدخله مدرسة بحرية راسية، وهي نوع من التكنات البحرية، ليبدأ مسيرته المهنية في مجال الطب، وفي عام 1825 وقع بفايفر في الأسر على يد رجال الإنكشارية أثناء وجوده في اليونان، ونقل إلى الجزائر على متن سفينة شراعية يقودها ضابط انجليزي، اعتنق السلام حين وصل إلى الجزائر العاصمة، حيث عمل في مطبخ قصر الخزانجي أفندي لمدة عامين، ثم أصبح طبيبا خاصا له خلال هذه الفترة، أتاحت له الفرصة للاطلاع على الأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر، أنظر: سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق وتح أبو العيد دودو، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص4-6.

²- بفايفر، المصدر نفسه، ص64.

³- نفسه، ص75، 76.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

حاسمة، وبذلك لم يتمكن من منع وقوع الكارثة. وفي 06 جوان 1830 نزل الجيش الفرنسي على السواحل الجزائرية، حيث وجد أمامه مقاومة عنيفة من الجيش الجزائري، رغم أن هذه المقاومة لم تكن كافية لوقف التقدم الفرنسي، وقد قدم الفرنسيون بأعداد كبيرة ومعدات متطورة مقارنة بما كان يمتلكه الجيش الجزائري، تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على المدينة، وفي الساعة التاسعة صباحا دخل الجنود الفرنسيون إلى الجزائر العاصمة، وهم يقرعون الطبول تعبيرا عن فرحتهم بالنصر.

وعلى إثر ذلك انسحب النساء والأطفال إلى بيوتهم بينما بقي الرجال أمام منازلهم في حالة من الحزن والحيرة والانكسار وهم يشاهدون سقوط المدينة، ويضيف بفايفر¹ أنه كان يقف أمام المستشفى في ذلك الوقت، ورأى فرقة من المشاة يتقدمها جنرال فرنسي وعند مرور الجنود الفرنسيين كان البعض منهم يظهر نوعا من اللطف تجاه المسلمين.

أما المرحلة الثانية من الكتابات في المدارس التاريخية الأوروبية القديمة فتشير إلى فترة تميزت بظهور العديد من الأعمال والدراسات التي تناولت تاريخ الجزائر من قبل مؤلفين أوروبيين، وفي هذه المرحلة كان معظم هؤلاء المؤلفين من العسكريين المترجمين أو القناصل أغلب هؤلاء يحصلون على دعم مادي من خلال اللجان العلمية، والجمعيات الأثرية والدينية بالإضافة إلى هيئات أخرى، كانت تساندهم في إجراء أبحاثهم، هذا الدعم المادي كان يمكنهم من نشر دراساتهم وإتمام أبحاثهم التي كانت تشمل جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر².

قام عالم النباتات الألماني جوهان أرنست هابنسترايت برحلة علمية إلى شمال إفريقيا، شملت الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بتكليف من ملك بولونيا ومنتخب الساكسون أغسطس الثاني

¹-نفسه ، ص104.

²-عايدة الشارف، الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني 1515-1830، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع38، جامعة الجبالي يابس، سيدي بلعباس، 2018، ص450.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (نموذجاً)

كانت مهمته جمع عينات من النباتات والحيوانات لفائدة القصر الملكي، وقد نجح في ذلك بفضل سلوكه المنضبط وإخلاصه في أداء عمله، مما أكسبه ثقة الحكام المحليين، وساعده في إقامة علاقات ودية معهم، وخلال إقامته في الجزائر لاحظ هابنسترايت روح العداء تجاه الوجود الأوروبي، خاصة بعد احتلال الأسبان لوهران والمرسى الكبير سنة 1732 مما دفعته لتعديل مسار رحلته واعتمد هابنسترايت في توثيق رحلته على تقنية الرسائل حيث كان يرسل تقارير مفصلة إلى راعي رحلته، ملك بولونيا يطلعهم فيها على مشاهداته وانطباعاته، هذه الرسائل توفر وصفا دقيقا لأوضاع المنطقة، وتعبّر عن آرائه بصدق، مما يجعلها تقريراً مهماً عن مهمته العلمية وتعد رحلته مرجعاً قيماً لفهم تاريخ وثقافة شمال إفريقيا في القرن الثامن عشر¹.

لقد بدأ اهتمام أوروبا بالجزائر مع نهاية القرن السادس عشر حيث سعت القوى الأوروبية وخاصة فرنسا تظهر اهتماماً متزايداً بالجزائر، هذا الاهتمام كان مرتبطاً بتصورات الغرب عن الشرق التي جسدها الدول العثمانية حيث شهدت هذه الفترة تعاوناً بين فرنسا والدولة العثمانية، مما أدى إلى توقيع معاهدة الامتيازات عام 1536 التي منحت فرنسا امتيازات تجارية في الجزائر مثل حق الملاحة والتجارة، كما أسست فرنسا مراكز تجارية في مدن عنابة مع تطور الحركة الرومانسية في فرنسا، ازدادت الرغبة في استكشاف الشرق، مما أدى إلى تنظيم رحلات استكشافية إلى الجزائر، أثر هذا التوجه على الفنانين الفرنسيين الذين عبروا عن إبهارهم بجمال طبيعة الجزائر وثقافتها في أعمالهم الفنية².

ومن بين أبرز الشخصيات التي ساهمت في هذه الأعمال نجد دوغرامون الذي اهتم بتاريخ الجزائر، وفانيان الذي ركز على ترجمة الأدب والتاريخ العربي، كما كان بيروجير أحد أعضاء

¹-هابنسترات: رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر تح ناصر الدين سعيدوني، د. ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، د. ت، ص14.

²-فتيحة بن حميد، الجزائر في الكتابات الاستشراقية الأوروبية-الكتابات الانجليزية نموذجاً-، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج17، ع1، ص795.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

المجلة¹ الذين شاركوا في الحملة الفرنسية على قسنطينة عام 1836 حيث قام بجمع العديد من المخطوطات العربية، في البداية جمع ما يقارب مائتي (200) مخطوطة كانت هدايا من ضباط الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى ما استطاع جمعه من المساجد وغيرها من الأماكن وقد تمكن من جمع أكثر 800 مخطوطة عاد بها إلى مدينة الجزائر ليواصل بعدها جمع المزيد، وهذه الجهود التي قام بها الفرنسيون لم تكن بدافع للشعب الجزائري أو تقديرا لثقافته، بل كانت تهدف إلى خدمة المصالح الفرنسية الاستعمارية وكان الهدف الأساسي هو استخدام هذه الوثائق لمواجهة ومكافحة الثقافة الوطنية الجزائرية، كما أن الترجمات التي قام بها هؤلاء الأجانب كانت غالبا تهدف إلى تقديم رؤية استعمارية، مما جعلها أداة في خدمة أهداف الاستعمار الفرنسي وليس تعبيرا عن احترام أو فهم حقيقي للثقافة والتاريخ الجزائري⁽²⁾.

رابعاً/ الدوافع الدينية:

يعتبر الدافع الديني من أبرز الدوافع التي مهدت للاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد نظر الفرنسيون إلى احتلالهم للجزائر كحلقة جديدة في سلسلة الحروب الصليبية، واعتبروا نشر

¹ - المجلة الإفريقية تعتبر واحدة من أهم المجلات التي أولت اهتماما كبيرا بنشر المخطوطات المحلية والوثائق الأصلية في الجزائر، وقد ساهمت بذلك في تعزيز مكانتها في الصحافة الجزائرية وأظهرت اهتماما بالغا بالمخطوطات التاريخية والثقافية التي تعكس هوية الجزائر، المجلة لم تقتصر على نشر المخطوطات فحسب بل قدمت أيضا أبحاثا معمقة في الآثار القديمة للبلاد مما جعلها تسهم في حفظ جزء من التراث الثقافي الجزائري وكانت المجلة الإفريقية لسان حال الجمعية التاريخية التي صدر لها أول عدد في أكتوبر 1856 واستمرت حتى سنة 1962 مع توقفها عن الصدور خلال الحرب العالمية الأولى، وكانت المجلة فصلية تصدر كل ثلاث أشهر. أنظر: حبيب خنفار، كتابات النخب الجزائرية في المجلة الإفريقية 1856، 1962، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج7، ع2024، ص2، ص248، 2490.

² -صورية متاجر، وحنيفي هلايلي، إنتاج المعرفة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في مدونات المجلة الإفريقية-نموذج بيربروجر، دوفوا، دوغرامون، رين، مجلة الحوار المتوسطي، مج 11، ع1، مارس 2020، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص103.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آمؤذجا)

المسيحية وتوسيع نفوذ الكنيسة مسئوليتهم ولذلك أولوا اهتماما خاصا بتاريخ الجزائر وثقافتها محاولين فهم خبايا مراحله السابقة بهدف تسهيل عملية التبشير وفرض السيطرة¹.

في العصور الحديثة خاضت الجزائر صراعا طويلا ضد القوى الأوروبية المسيحية امتد لثلاثة قرون، هذا الصراع الذي أطلق عليه الأوروبيون اسم عهد القراصنة الذي يعتبر في الواقع امتدادا للفصل الثاني من الحروب الصليبية. وخلال هذه الفترة اهتم الأوروبيون بتاريخ الجزائر ليس فقط لكشف أسرار هذا العصر، ولكن أيضا بهدف تحطيم معنويات المسلمين لمنع أي تحولات جذرية قد تنجم عن نجاحاتهم في مقاومة الاحتلال².

لقد استغل الاستعمار الفرنسي البعد الديني في الجزائر لتعزيز سيطرته حيث ركز على دور الدين الإسلامي كعنصر محوري في تشكيل الهوية الجزائرية، ومقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر مشيرة إلى أن الباحثين الفرنسيين اهتموا بدراسة عقيدة المجتمع الجزائري بهدف استغلال البلاد والشعب بما يتوافق مع مصالحهم الاستعمارية ومع مرور الوقت أدرك هؤلاء الباحثون أن الإسلام يشكل جوهر الشخصية الجزائرية مما يفسر قوة المقاومة ضد الاحتلال وقد تجسدت هذه المقاومة مثل مقاومة الأمير عبد القادر ومقاومة أحمد باي في العديد من الثورات التي اندلعت في مختلف أنحاء البلاد بقيادة شيوخ الزوايا وغيرهم من الأبطال³.

¹-رشيد مياد، الشيخ مبارك الملي المؤرخ عرض لحياته ومنهجه في الكتابة التاريخية، مجلة الباحث، مج12، ع3، 2020، جامعة يحيى فارس، المدينة، الجزائر، ص10.

²-عامر أقحيز، المؤرخ شارل أندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة قضايا تاريخية، ع2، 2016، ص196.

³-صالح بن قرية: تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007، ص301، 302.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

توجد عدة دوافع حفزت المؤرخين الفرنسيين مثل ستيفان قزال¹ على كتابة تاريخ الجزائر أولها الانتصار العسكري على الجزائريين واحتلال أراضيهم كان الهدف من كتابة تاريخ الجزائر هو التأكيد على التفوق الفرنسي على الجزائريين في الحروب التي خاضوها ضدهم، ثانيا إظهار الفرنسيين كشعب متحضر حاول الفرنسيون تصوير أنفسهم كشعب متفوقا يتصف بالتحضر والمسيحية وذلك لتبرير سيطرتهم على الشعب الجزائري، بالإضافة إلى أن فرنسا سعت بعد احتلالها للجزائر عام 1830 إلى فهم أعمق للمجتمع الجزائري بهدف تعزيز سيطرتها الاستعمارية هذا التوجه كان مدفوعا برغبة في التعرف على الشعب وقع تحت الاحتلال الفرنسي مما يسهل عملية الهيمنة عليه لفترة طويلة².

تعددت الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر قبل الاحتلال إذ حاول العديد من المؤرخين الفرنسيين تصوير تاريخ الجزائر بشكل ساهم في تبرير الاحتلال والاستعمار الفرنسي وكانت هذه الكتابات تهدف إلى تهميش الهوية الوطنية الجزائرية وإضعاف مفهوم الاستقلال الوطني، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تسعى إلى تأيد شرعية وجودها في الجزائر، وبذلك تكمن دوافع اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر في رغبتهم في تبرير السياسات الاستعمارية التي مارسها الاحتلال الفرنسي إعادة صياغة التاريخ بشكل يتناسب مع أهدافهم من خلال كتاباتهم، سعى

¹-ولد بباريس في 07 فيفري 1864، من أسرة بروتستانتية أصلها من مقاطعة الألزاس، وقد تربى في جو عائلي يغمره حب الأدب والفن، واشتهر بحدة الذكاء وقوة الفكر والمصاولة بالحجة والبرهان في سنة 1886، نال شهادة التبريز في التاريخ وقد طغى عليه حبه للتاريخ القديم حيث انضم للمدرسة الفرنسية بها وأشهر أعماله بحثه عن دولة دوميتيان ثم الأطلس الأركيولوجي للجزائر ثم كتابه هذا عن التاريخ القديم لشمال إفريقيا الموسوم بتاريخ شمال إفريقيا القديم، تح محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، 9/1-11. في ثمانية أجزاء، استمر نشاطه العلمي في التدريس بالمجمع حتى توفي في 1 جانفي 1923 ولقد تعددت مؤلفات قزال التي تشمل مجموعة كبيرة من الكتب والمجلات المتخصصة تذكر منها أبحاث أثرية في الجزائر،. أنظر: عبد القادر صحراوي، تاريخ الجزائر من خلال كتابات ستيفان قزال، مجلة الحوار المتوسطي، ع2، ص117-119.

²-عبد القادر صحراوي، مرجع سابق، ص122.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

الاستعمار الفرنسي إلى إخفاء حقيقة أن الجزائر كانت دولة ذات تاريخ طويل وثقافة ثرية قبل احتلالها.

لم يقتصر الاستعمار الفرنسي على التصفيات الجسدية للمجتمع الجزائري بل كان الهدف الأكبر هو محو الهوية الثقافية والحضارية للشعب الجزائري، وقد استخدم الفرنسيون محاولات متعددة لتحقيق ذلك منها الاعتداء على المعالم الثقافية والتاريخية حيث قامت فرنسا بتدمير العديد من المعالم التاريخية الجزائرية بما في ذلك القلاع والمدن القديمة التي كانت تمثل جزء من الهوية الوطنية والتاريخية للجزائر.

كما قامت فرنسا بتغيير التعليم والمنظومة القانونية، حيث سعى الاستعمار الفرنسي إلى فرض اللغة الفرنسية وتعليم ثقافتها، حيث تم تدريس التاريخ الفرنسي على حساب تاريخ الجزائر مع الإصرار على تصوير الجزائر جزءا من فرنسا، إذ كان المستعمرون الفرنسيون يسعون لفرض فكرة أن الجزائر هي مجرد مستعمرة فرنسية أو إقليم تابع لفرنسا وراء البحار وبالتالي اعتبرت الجزائر كجزء من الأراضي الفرنسية¹.

تظهر الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزائر خلال الحقبة العثمانية وبداية الاحتلال تباينا في المنهجية والتركيز بين المؤرخين، خاصة الفرنسيين منهم، فقد لاحظ الباحثون أن العديد من هذه الكتابات ركزت على مدينة الجزائر العاصمة وتجاهلت المدن الأخرى، مما يعكس اهتماما ضيقا بالجغرافية المحلية، كما أن بعض المؤرخين خاصة العسكريين والقناصل والرحالة، سلطوا الضوء على الجوانب العسكرية والسياسية والعلاقات الخارجية والثقافية لحكومة إيالة الجزائر.

بالإضافة إلى ذلك؛ اهتمت بعض الكتابات بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية مركزة على السلبات مثل الأمراض والاضطرابات العشائرية وتسلب رجال البايك بينما أغفلت الإنجازات

¹-حورية ومان، معالم الدولة الجزائرية وهيمنتها العالمية قبل الاستعمار الفرنسي 1518-1830، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 8، ع1، 2020، ص52.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

والتطورات في هذه المجالات الأخرى، هذا التوجه في الكتابات التاريخية قد يفسر بمحاولة تبرير السياسات الفرنسية، حيث صوّر الوجود الفرنسي كتحضر وتقديم، بينما وصف الوجود العثماني كسبب في تأخر الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ومن بين الكتابات نجد مؤلفات الرحالة الفرنسيين مثل أرنو روبان التي غالبا ما تفنقر إلى التخصص الأكاديمي، حيث كتبت بدافع الهوية والتبرير الإستعماري¹.

المبحث الثاني : المدرسة الاستعمارية الفرنسية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر

أولا: جذور المدرسة الاستعمارية الفرنسية

مدرسة التاريخ الاستعماري تعود جذور التطرف فيها الفكري تجاه الجزائر إلى كتابات رجال الدين المتعصبين وخاصة لويس رين، لأن التعصب في نظرهم يعود إلى قوة الإيمان فرجال الدين والقناصل يحكمون على الإسلام وفق أفكار مسلمة لدينهم فالمؤرخون الفرنسيون كتبوا أن التاريخ الجزائري في العهد العثماني مكتوب من مصادر أوروبية وفي نظر بعضهم يجب أن يدرس تاريخ الجزائر من خلال ما رواه رجال الدين المسيحيون والقناصل والأوروبيين فقد كانوا يعتبرون أن الجزائر أرض فراغ انتقلت من غار قديم إلى غار جديد كما اعتبروها من ممتلكات الدولة العثمانية²، فقد كان المؤرخون الاستعماريون يخضعون تاريخ شمال الإفريقي عبر مختلف عصوره وتبعاً لأحكام جاهزة كانت تتردد باستمرار في أبحاثهم ومع مرور الوقت أصبحت بعض الأعمال أقرب إلى الدعاية الفجة منها إلى البحث التاريخي القائم على البعد العلمي، المؤسس على البنية النزيهة، والهدف من وراء ذلك هو إعطاء مصداقية الاستعمار

¹-محمد بن جبور: صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 17 و18، رسالة ماجستير، إشراف حاسم الغازي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002-2003، ص2.

²- ميلودي بالعالية: نماذج من التطرف الفكري في أطروحة مدرسة التاريخ الاستعماري تجاه الجزائر، دورية كان التاريخية، ع52، يونيو 2021، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، ص117 .

ولتبرير وجوده في الديار المغاربية وخاصة الجزائر¹، فهذه المدرسة الاستعمارية سعت للقضاء على روح المجتمع الجزائري وتفتيته وبث التفرقة والبلبلة وتشويه كل ما له صلة بهذا المجتمع بدءاً من عناصره : كالعرب والبربر² .

نجد أن مدرسة التاريخ الاستعماري في مرحلة نشأتها لم تكن من صنع المؤرخين المحترفين وإنما من نتاج عناصر جاءت من آفاق مهنية مختلفة وذات مستويات تعليمية تتراوح من متوسطة إلى ضعيفة كما تعرض تاريخ الجزائر الحضاري للكثير من التشويه وسوء الفهم وهذا راجع إلى النظرة الأيديولوجية³ للمؤرخين الفرنسيون وظفوا كل ما لديهم من عبقرية لتشويه تاريخ الجزائر وتصويرها في جميع عصورها خاصة العصر العثماني بأقبح صورة في الكتب التي تدرس في المكاتب الفرنسية فلقد عملوا على تطبيق الروايات من أجل أن تثبت الإلغاء المطلق لوجود الجزائر شعباً ودولة قبل الفتح الفرنسي المنقذ من الظلام، كما يرى شارل روبير أجرون " أن الدول المغاربية مثل الفقاع ينبت في ليلة ويتعفن في الصبيحة "، أما موريس تورانو ادقارفور وشارل ديغول " فإنهم يخلطون حتى من كتابات أسلافهم ورفعوا صوتهم عالياً يقولون إن الجزائر لم تكن أبداً أمة ولا دولة في التاريخ"⁴، لقد سعت المدرسة الاستعمارية لإفراغ التاريخ الوطني الجزائري من محتوياته الإيجابية كما جرد تاريخها من أبطاله ومآثره النبيلة الخالدة⁵ .

¹ - همال عبد السلام: مدرسة التاريخ الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1830 / 1962م الأسطورة القبائلية البربرية نموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية، ع 8، جامعة المسيلة، الجزائر، 2015، ص 25 .

² - همال عبد السلام: المرجع نفسه، ص 15 .

³ - جمال قنان: قضايا ودراسات تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، روية (الجزائر)، 1994، ص 12 .

⁴ - محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر، الجزء الأول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص 7.

⁵ - محمد العربي الزبيري: مرجع نفسه، ص 13 .

ثانيا : التعريف بالمدرسة الاستعمارية الفرنسية

1/المدرسة التاريخية الفرنسية النشأة والتطور

هي مدرسة تحمل طابعا إيديولوجيا ولقد طغى هذا الجانب الإيديولوجي على أعمالها منذ النشأة وواكب هذا الطابع مسيرتها على مر الزمن¹ حيث كتب المترجم الفرنسي أرست مارسى (1907/1820م) " مرت أربع وثلاثون سنة على احتلال الجزائر خلال هذه المرحلتين ظهرت مدرسة تاريخية حقيقية بها أشهر أعلامها : بيربرجي Berbrugger ، ولاكروا Lacroex ، وبول Pouille وقد قسمت فترات البحث التاريخي في هذه المدرسة إلى مرحلتين الأولى تمتد من 1830م - 1880م، كما ذكر ستيفان غزال أما محمد العربي معريش ذكر بأنها تعود إلى ما قبل 1830م²، مرت المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بعدة مراحل كل مرحلة لها خصوصيتها وميزاتها تتمثل المرحلة الأولى: معظم الكتابات عبارة عن مذكرات لرهائن القساء وسنة المسيحيين وتقارير القناصل وجواسيس وكتب الرحالة³، أما المرحلة الثانية : أبرز كتابها من العسكريين والمترجمين كما شجعت وزارة الحربية الفرنسية على تشجيع اللجان العالمية والجمعيات الأثرية لنشر أبحاثهم ودراساتهم التي غطت مختلف جوانب التاريخ الجزائري كما استطاعوا هؤلاء العسكريين أن ينشروا عددا كثيرا من الأعمال وهذا بالاعتماد على الوثائق المكتوبة والروايات الشفوية التي استولوا عليها في الروايات الشفوية .

¹ - زراقة علي: المؤرخون الجزائريون في مواجهة كتابات المدرسة الاستعمارية الفرنسية ما بين 1830م- 1962م، مجلة العبر للدراسات التاريخية الأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 6، ع1، جانفي 2023، ص345.

² - همال عبد السلام : المرجع السابق، ص22 .

³ - عطا الله فشار - الغالي غربي: المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر، مجلة الدراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع26، جامعة زياني عاشور، جامعة لمدية، مارس 2017 السنة التاسعة، ص1 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

يقول جمال قنان حول المدرسة الاستعمارية لقد عمدت الى طمس مآثر الشعب الجزائري عبر التاريخ من لنكران وجود ذاته ومنازعتة حقه في أن يكون له تاريخ وماضي مثل أي شعب ولقد بذلت ما في وسعها لدعم جهود سياسة الاحتلال الرامية إلى طمس معالمه ومقوماته كان هدفها هو تحقيق براغماتية الاستعمار والحيد عن الموضوعية العلمية وأسس منهج البحث التاريخي، كما نجد المؤرخ غوتيه يوحى في كتاباته بغموض التاريخ القديم للمنطقة وتقطع أحداثه وكثرة حلقاته المفزعة إن نظرة أصحاب هذه المدرسة حاولوا تأكيد مدى التخلف الحضاري لسكان شمال إفريقيا عموما وكذا الجزائر باعتبارها قطرا من هذا الإطار الجغرافي كما أن هذه المدرسة كانت تحمل فكرة أنها احتلت الجزائر بغرض نشر الحضارة والتمدين شعوبها فالمدرسة الفرنسية الكولونيالية وجدت لخدمة الاحتلال وأهدافه والذين جندوا مطامع سياستهم من هواة ومتقنين وعسكريين وأكاديميين¹.

لم تكن جهود الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر تهدف إلى خدمة التاريخ والحقيقة التاريخية إنما بدافع السيطرة، فكان العلم مكملا لمهمة السلاح في بسط السيطرة على ربوع الجزائر حتى بالنسبة للمصادر رفض "دي غرامون" الاعتماد على المصادر الأهلية في كتابة تاريخ الجزائر².

يصف جمال قنان المدرسة الاستعمارية حيث يقول " لا أستطيع هنا أن أصف مقدار الألم والحسرة التي يحس بها كل باحث يبحث عن الحقيقة عندما يلمس بأدلة مادية ومن خلال مصادر أجنبية، عنق التخلي عن الحقيقة وتشويها إننا نهتم هنا جميعا من كتب عن التاريخ

¹ - سحنين نجبية : التاريخ الجزائري القديم في كتابات المدرسة الكولونيالية، المجلة المغاربية للدراسة التاريخية والاجتماعية، مج 16، ع 2، ديسمبر 2024، جامعة سيدي بلعباس، ص173-174 .

² - رشيد ولد بوسيافة : مفهوم الهوية الجزائرية وفق منظور المدرسة التاريخية الكولونيالية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 12، ع1، جامعة المدية، سنة 2022، ص600 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

الوطني من تلاميذة المدرسة التاريخية الاستعمارية، بل إننا نسعى على ذوي الإيرادات الحسنة والنوايا الطيبة منهم كونهم قصرنا جهدهم وتقاعسوا على البحث والتقصي عن الحقيقة¹.

فجمال قنان نجده قد حذر المؤرخين من المدرسة الاستعمارية التي تعمدت على التشويه والتزييف الحقائق المتعلقة بالتاريخ الجزائري، فمنهج عمل مدرسة التاريخ الاستعماري تتمثل في التركيز على بعض الجوانب وإهمال الباقي، الاختيار وتفضيل بعض أدوات البحث عن الأخرى أو إهمال هذه الأخرى والتجروء على كتابة تاريخ عصرا أو عصور بكاملها وفق قالب ثم رسمه مسبقا لصبب الوقائع والأحداث، الإهمال الخطير للجانب الوثائقي الذي يخص الطرف الجزائري².

حاولت مدرسة الاستعمار تغييب التاريخ الوطني ومعه الكيان الوطني والسيادة والروح الوطنية حيث كانت دروس التاريخ المقدمة في العهد الاستعماري تتجاهل تاريخ الجزائر بل تحرفه " كانت بلادنا تسمى الغال (LaGALLE) و أجدادنا كانوا يسمون الغاليون (LesGAULOIS)" وهذا من أجل بث روح الهزيمة وقتل الروح الوطنية³ كما كانت تعبر هذه المدرسة أن الوطنية هي عنصر دخیل على المجتمع الجزائري لأنها جاءت بفضل التأثيرات الفكرية من المشرق، كما قامت بوصف المقاومة الوطنية على أنها مدبرة من مرابطين متعصبين ثاروا ضد دفع الضرائب .

¹ - سعودي مراد: جهود الأستاذ جمال قنان في بناء مدرسة تاريخية جزائرية من خلال كتابه قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مجلة الباحث، المجلد 16، ع2، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريش الجزائر، 2024، ص 881 .

² - جمال قنان: مدرسة التاريخ الاستعماري بين الأيديولوجية والموضوعية، حول بعض قضايا تاريخ الجزائر، ص 136.

³ - عمارة تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد صلاح الإسلامي والترسة في الجزائر المؤسسة الوطنية لنشر والتوزيع، 2001، ص 354 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

كما اعتبروا أيضا أمثال : شارل روبير أجيرون وشارل وأندري جوليان أن عملية اليقظة والوعي السياسي لم تكن أصيلة لدى الجزائريين إنما استمدوها من الخارج .

كما حاولوا إفراغ النضال الوطني من محتواه كما نجدهم مثلا في كتاباتهم يستعملون مصطلح حرب الجزائر عوض ثورة الجزائر¹ .

يرى الأستاذ " فضحة " أن حقيقة التاريخ وقد فرق لنا بين التضليل الذي كتبت عنه المدرسة الاستعمارية حيث يقول : " التاريخ ليس مادة تصيغها الأهواء كيفما اتفق إذا أيديه الاستفادة والاعتبار وليس للتشويه والتضليل كالذي تعتمد المدرسة الاستعمارية " .

وحسب جمال قنان فمن بين منطلقات المدرسة الاستعمارية، اعتبار الجزائر مستعمرة خاضعة للأتراك فهم يعتبرون أن الجزائر هي بلد يحكمه الأجانب كما تعتبر المدرسة الاستعمارية أن سكان الجزائر عبارة عن خليط من الأجناس وأن فرنسا هي التي خلصت هذا الشعب أو هذه البلاد من الاحتلال متوحش وهمجي (والمقصود هنا الأتراك) حيث كانت تدعي فرنسا أنها قد جلبت معها الحضارة والتقدم لهذا البلاد² .

كما اعتبرت هذه المدرسة أن سكان الجزائر كانوا تحت حكم الأوجاق وقد ساهموا في أعمال اللصوصية البحرية، كما اعتبروا الفرنسيين أن الجزائر لم تكن لها وجود وأن الفرنسيين جاءوا للقضاء على الاحتلال التركي وليس على الدولة الجزائرية التي لم تكن موجودة، وهنا نستنتج بأن المدرسة الاستعمارية تنفي وجود دولة جزائرية³ .

¹ - فتح الدين بن أزواو : مسألة السيادة وفكرة الوطنية في كتابات المؤرخين الجزائريين 1962/1830م، مجلة التاريخية الجزائرية، مج5، ع1، جامعة محمد بوضياف مسيلة الجزائر، 2021، ص420 .

² - علال بيبور : منطلقات مدرسة التاريخ الاستعماري كما حددها المؤرخ جمال قنان، مجلة الدراسات التاريخية، مج 23، ع1، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، السنة 2022، ص297- 302 .

³ - علال بيبور : المرجع نفسه، ص304 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

فالفرنسيون دسو سمومهم في كتاباتهم بخصوص تاريخ الجزائر ووصفوه بأنه عهد مظلم ويقصد بذلك العهد العثماني¹، فالمدرسة الاستعمارية² حاولت أن تصنع كيانا جزائريا فارغا من تاريخه ويبقى إلى الأبد أسيرا لفرنسا، وحسب الأستاذ جمال قنان أن مدرسة التاريخ الاستعماري كانت تعتبر الوطنية هي عنصر دخیل على المجتمع الجزائري وأن ظهور فكرة الوطنية جاء بفضل التأثيرات المشرقية سواء تيار القومية العربية أو التأثير الديني الذي جاء مع رجال جمعية العلماء المسلمين، كما يصف جمال قنان المدرسة بأنها ذات طابع إيديولوجي وأن أغلب مؤرخين المدرسة لم يكونوا مؤرخين محترفين كانوا أغلبهم مترجمين واغلبهم ليسوا فرنسيين، نستنتج بأن هذه المدرسة رغم الدور الذي لعبته في إطرء المعرفة التاريخية في جمع المادة التوثيقية إلا أنها ركزت على جوانب وأهملت أخرى³، كما اعتبروا أن الوطنية الجزائرية أوجدتها فرنسا بإصلاحاتها وأن الجزائر لم يكن لها وجود⁴.

*نظرة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ الجزائر

إن الفكرة الأساسية السائدة في المصادر الفرنسية المتعلقة بتاريخ الجزائر القديم تتجلى في إقناع أصحابها بوضع الجزائر السياسي المعاش أي وجود فرنسا في الجزائر تمحورت جهود المؤرخين الفرنسيين حول جملة أفكار وشكلت مسارات رئيسية في دراستهم لتاريخ الجزائر

¹ - بن عتو بلبروات : الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد الأول، 2011، جامعة الجبالي اليابس - سيدي بلعباس، ص25 .

² - المدرسة الاستعمارية: هي مدرسة تحمل طابع إيديولوجي بالدرجة الأولى قبل الصفة العلمية طعن الطابع الإيديولوجي على أعمالها من دون نشأة و واكب هنا الطابع مسيرتها عبر الزمن على مدى أربع أجيال كما أن هذه المدرسة في نشأتها لم تكن من صنع المؤرخين المحترفين وإنما هذا نتاج عناصر جاءت من آفاق مهنية مختلفة، أنظر: جمال قنان : قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ص12-11 .

³ - سعودي مراد: المرجع السابق، ص876 .

⁴ - علال بيتور: المرجع السابق، ص 304 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

وتأليفهم حوله، حيث نجد ستيفان غزال يرى أن " بمناسبة مرور مائة عام على احتلال الجزائر إن الحملة على مدينة الجزائر المتبوعة بفتح التراب الجزائري قدمت للمؤرخين مهام جديدة بل فرضته عليهم "، إن الجزائر وشمال إفريقيا في نظرة المؤرخين الفرنسيين تتجه نحو الخارج وتنتفتح عنه وتعاقد الأجنبي وهذا ما يفسر في رأيهم ذلك التعاقب الأجنبي ويبرر لماذا كان لهذه البلاد دائما أسياد أجنب"، كما نجد أن المؤرخين الاستعماريين تبنا التكوين التاريخي الجزائري وانطرحت قضايا هادفة تتعلق بأصول السكان والبحث في جذورهم الأولى¹ تعتبر المدرسة الاستعمارية أن الجزائر مستعمرة تركية لأن الوجود العثماني في الجزائر لم يكن في يوم من الأيام وجودا استعماريًا بل هو وجود معنوي أكثر منه مادي فالمدرسة الاستعمارية هي مدرسة تحمل طابعا أيديولوجي بالدرجة الأولى فهي تسعى لتهميش المجتمع الجزائري وتحجيمه و تقليصه في أضيق النطاق ليس فقط بالنسبة لفترة الاحتلال وإنما بالنسبة لجميع فترات التاريخ عبر العصور².

* تشويه التاريخ الجزائري :

لقد حاول الفرنسيين تشويه الحقيقة التاريخية المتعلقة بتاريخ الجزائر في معظم الكتابات الفرنسية جاءت بغرض خدمة المشروع الاستيطاني :

- حاولوا تشويه الماضي التاريخي للجزائر لإيجاد مبرر الاستعمار الفرنسيين .
- ركزوا على ما قبل التاريخ والتاريخ الروماني في الجزائر وإهمال التاريخ الإسلامي .
- تجاهل المصادر العربية لتاريخ الجزائر .

¹- محمد البشير شنييتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2023، ص 157.

²- جمال قنان : المرجع السابق، ص 11 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)

- كتبوا عن رجالهم وسياساتهم وأثر ذلك على الجزائر وعلى الهجرات¹ الأوروبية واهتموا بالتاريخ الروماني والمسيحية والتاريخ البيزنطي .

- ركزت مدرسة التاريخ الاستعماري الفرنسية كل أعمالها على الجزائر في فترة ما بعد الاحتلال على تسجيل وقائع التاريخ العام للجزائر بقصد طمس معالم الدولة الجزائرية الحديثة ونجحت في تشويه الحقيقة التاريخية الدامغة حول طبيعة النظام السياسي في الجزائر قبل 1830م وركزت على مقولة² : " الاستعمار التركي وانعدام الوعي عند الجزائريين ومخاطر القرصنة وتجارة الرقيق التي كانت تنطلق حسب مزاعم المؤرخين الفرنسيين من موانئ الجزائر " .

- كما حددت المدرسة التاريخية الكولونيالية ملامح المنهج العلمي والنظرة الاستعمارية بالنسبة لهم الجزائر غير مؤهلة لتكون دولة وتحكم نفسها بنفسها والهدف من وراء هذا هو طمس التاريخ الجزائر وحضارتها³ .

حرس الكتاب الفرنسيين المعاصرين معظمهم من الضباط والجنود على إبعاد البعد الوطني عن المقاومة الجزائرية لقد أرجح هؤلاء الكتاب الفرنسيين أن أسباب المقاومة تعود إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وقد عبروا عن موقفهم من خلال ادعاءاتهم حيث اعتبروا أن الجزائريين لا يثورون إلا عندما يشتد عليهم الفقر والجوع والعراء أما عندما تتحسن أوضاعهم فإنهم يهدون

¹- بن عبد المؤمن إبراهيم: الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية والمقاومة والدعوة إلى وحدة المغرب 1920/1954م، دورية كان التاريخية، مج12، ع45، سبتمبر 2019، جامعة العربي بن مهيدي أم لبواقي الجزائر، ص50-93 .

²- ميلود بلعالية: قراءة في تبرير مدرسة التاريخ الاستعماري جريمة الحاق الجزائر بفرنسا وتشخيص الأطروحة الوطنية في إعادة بناء الدولة الجزائرية، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج 1، ع2، 2024، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف (الجزائر) ، ص11 .

³- رشيد ولد سياقة : المرجع السابق، ص597.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

ومن الكتاب الذين كتبوا عن تاريخ الثورات الجزائرية أمثال : لويس رين - وروبين - وهيريون - وبول أزان - وفيرو وبيليسي¹ .

كما أدعوا أن الجزائريين متعصبون ديناً وعرقياً وبالتالي لا يستطيعون العيش مع الأجانب والمسيحيين، أيضاً تعني البعد الوطني لثورات الجزائرية واعتبروها مؤامرات مع دول الأجنبية وإيحاءات من الخارج² .

حيث نجد لويس رين صاحب كتاب³ **Marbouts et Khouam** يشبه الفترة التاريخية التي عاشتها الجزائر في ظل الوجود التركي أو التي تعيشها بفترة العصور الظلام التي عاشتها أوروبا في العصور الوسطى وكان يشبه شيوخ الزوايا بالباباوات والزوايا (بالدير) والصراع الذي كان بين المواطنين المحليين وشيوخ الطرق الدينية بالصراع الذي كان في أوروبا بين رجال الدين والنظاميين والعلمانيين⁴ .

كما يتضح أيضاً أن من بين الافتراءات والتزييف الذي كتبه الفرنسيون عن تاريخ الجزائر أنهم حسب نظرهم أن الجزائر خلال الفترة الممتدة 1518م - 1830م بؤرة لقطاع الطرق وملجأ للقرصان الذين لا همّ لهم سوى السلب والذهب وخنق التجارة الدولية .

أيضاً نجد التركيز على العامل الشخصي في قراءة بعض الثورات وتحليل أسبابها فلم تكن ثورة المقران حسب نظرهم مرتبطة بالدفاع عن الكيان الوطني المغتصب، وإنما السبب مشكلة

¹ - عبد القادر نايلي : التاريخ الجزائري ضمن الكتابات الفرنسية، مجلة الأفريقية نموذجاً، جامعة زياني عاشور الجلفة، الجزائر، ص 60-61.

² - سعودي أحمد : التاريخ الوطني الجزائري من منظور بعد الكتابات الأجنبية، مجلة دراسات وأبحاث، مج 13، ع 1، جامعة عمار ثلجي، الأغواط، جانفي 2021، ص 929 .

³ - Louis Rim : Marabouts et Khoum, étude sur Listam en Algérie, Alger, imp Adolph Jourdan, 1884 , p13 .

⁴ - زارقة علي : المرجع السابق، ص 347-348 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (نموذجاً)

الديون التي اقترضها المقراني من بنك الجزائر، ومن اليهود مستترين واضطر بسببه إلى رهن أملاكه لتسديد ديونه¹.

كما أدعى المؤرخون والكتاب الفرنسيين أن اندلاع الثورات الشعبية ضد الوجود الفرنسي لم يكن مصدرها الروح الوطنية إنما ربطوها بإيجاز من الخارج، وعلى هذه المساس اعتبروا أن معظم المقاومات والثورات التي قام بها الجزائريون كثرة المقراني والحداد ومحي الدين بن الأمير عبد القادر كانت تدعم من روسيا والدولة العثمانية .

كما وجهوا اتهامات إلى بوشوشة وابن ناصر بن شهرة والشريف محمد بن عبد الله بمعاملتهم للطريقة السوسنية و وصف بعض الشخصيات الوطنية كالأمير عبد القادر بالتعصب الديني والرغبة في الحصول على المال² .

من مواطن التشويه والتزييف أيضا أن المؤرخين الأوروبيين وخاصة الفرنسيون يعتبروا أن فترة الوجود العثماني في الجزائر هو عهد سيطرة تركية وحكم أجنبي، وقد برر الفرنسيون سبب احتلالهم للجزائر بقولهم : " يا أصدقائنا إن الله لم يسمح للبasha الظالم أن يرتكب أفعاله السوداء إلا لكي يجعل من سقوطه نهاية لاضطهادكم ومصاعبكم كذلك سارعوا واغتموا فرصة وجودنا وافتحوا أعينكم على ضوء الرخاء والخلاص المبعوث إليكم من عند الله"، وبالتالي الفرنسيون هنا يدعون أن الوجود العثماني كان بمثابة إخلال واستعباد للجزائر أما فرنسا هي المخلصة³ .

¹ - سعودي أحمد : المرجع السابق، ص930.

² - عيسى بوقرين - ابن ناصر بن شهرة : رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري 1850-1875، مجلة الباحث، ع17، جامعة عمار ثلجي، الأغواط، ص226 .

³ - سعودي أحمد: التاريخ الوطني الجزائري من منظور بعض الكتابات الأجنبية، الكتابات الفرنسية نموذجاً، دراسات وأبحاث المجلة العربية لأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج13، ع1، جانفي 2021، السنة 13، ص928 .

* آراء المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر :

كلود فاتان : كثيرة هي الكتابات التي تناولت تاريخ الجزائر في جميع عصوره وجوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية توجد العديد من الدراسات مثل الدراسات كريستيان كورتوا، وليام مرسى¹، وجون كلود فاتان، الذي يعتبر من الكتاب الفرنسيين المختصين في علم السلالات (الأنثروبولوجيا)² ودراسة المجتمع وهو يرجع أن اكتشاف الجزائر تم بدون منازع مع احتلال فرنسا لها، لم يرفض فاتان عيوب الكتابات الفرنسية، إنما حاول تبريرها واعتمد على عدة مبررات مثل : حيث اعتبر أن انتماء هؤلاء المؤرخين إلى حضارة معينة (لغة + ثقافة والدين) هو الذي ساهم في تحديد مفاهيم لتاريخ العرب، كما وصف المغارب بالانحراف والاعوجاج كما أرجح أيضا أن الإسلام في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة يبقى متباينا في الواقع العلمي على المستوى الفردي والجماعي، فكلود فاتان لم يخرج عما ذهب إليه المؤرخون الفرنسيون

¹ - وليام مرسى 1975/1872م مستشرق فرنسي ولد بمدينة فرنسا درس اللغات الشرقية في الجزائر عين مديرا في مدرسة تلمسان سنة 1898م ترجمة عدة كتب إلى اللغة الفرنسية ككتاب صحيح البخاري، اهتم باللغة العامية والآثار التلمسانية وهو الذي يعتبر أول من استعمل هذا المصطلح الازدواجية للغوية لوصف الوضع اللغوي في الجزائر، انشغل باللغة العربية في منطوقها وفي مكتوبها فاعتنى بها بحثا ودرسا، بحث الأنثروبولوجي ودراسة للساني إلى درجة فتن وأعجب بها، انظر: عبد الحميد برقية، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1962/1879م دراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، إشراف محمد شرقي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، جامعة 8ماي 1945م، قالمة، 2022/2021، ص ص 184-186 .

² - بن عرفة إبراهيم وبشير عالية : قراءة في أنثروبولوجيا الجزائر، مجلة متون، مج11، ع2، السنة 2019، جامعة علي لونييسي البليلة2، وجامعة مولاي الطاهر سعيدة، ص72 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

الذين حاولوا تجريد الجزائريين من أبطالهم في الكتابات الفرنسية قد احتقرت المصادر المغربية والعربية وقاموا بتأويل التاريخ وفق ما يخدم مصالحهم¹.

* أهم شخصيات المدرسة الكولونيالية :

* أكسس دو توكفيل :

* نبذة عن حياته: ولد في باريس 29 جويلية 1805م من عائلة عريقة يعتبر الابن ما قبل الأخير لأمه تابع دراسته بالمدرسة الملكية (Metz) المدنية التي كان يشتغل فيها أبوه رئيسا لدائرتها 1817م ثم انتقل إلى باريس حيث زاول دراسته الجامعية في فرع القانون وتحصل على شهادة ليسانس 1826م² كما أنه نشأ على تربية مسيحية .

يعتبر من الكبار المهمين في المدرسة الكولونيالية في الجزائر أهتم من خلال مؤلفاته بتحليل الثورة الفرنسية والديمقراطية في أمريكا والديمقراطية الفرنسية بصفة إجمالية، من أشهر مؤلفاته عن الديمقراطية في أمريكا والعهد القديم والثورة .

* أهم إنجازات دو توكفيل بخصوص الجزائر: ساهم في ترسيخ أسس ودعائم المدرسة الكولونيالية في الجزائر لأنه كان متأثر بالمدارس الفكرية السائدة في فرنسا وأوروبا كما اعتبر أن فرنسا دولة متحضرة أما الجزائريون فقد³ أطلق عليهم مواصفات ومصطلحات أخرى مثل

¹- يوسف مناصرية : آراء المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر من خلال كتابات كلود فاتان، مجلة الدراسات التاريخية، مج3، ع2، 1 جوان 1988م، ص194-196 .

²- عبيد بوداود : أكسيس دو توكفيل (Alexis de Tocqueville) قراءة لبعض أفكاره ومواقفه، مجلة القرطاس، ع2، جانفي 2015، جامعة معسكر، ص 188 .

³- رزيق محمد : أكسيس دي توكفيل وشرنغته للسيطرة والاستيطان في الجزائر من خلال ثلاثة وثائق، مجلة العلوم القانونية والسياسية، ع9، جوان 2014، جامعة الجزائر3، ص 74-75 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)

البربر المتوحشون **Laribareset Savages** كما تضمنت كتاباته حول تاريخ الجزائر أفكار من منظوره هو .

نجد أن توكفيل كان لا يعارض فكرة الاحتلال¹ بل حاول البحث عن الطرق التي تستطيع بها فرنسا الاحتفاظ بالجزائر كما أنه يعتبر أن القبائل سيميلون مع الوقت إلى الحضارة الفرنسية وكان يظن أن الشعب الجزائري والفرنسي سيصبحان شعباً واحداً كما كان يعتبر أن الإسلام هو العائق الذي يحول دون ذلك، كما نجده أيضاً من المعارضين على اتفاقية التافنة² مع الأمير عبد القادر .

يقول توكفيل **DeToqueville** أن المجتمع الجزائري كان نصف متحضر وأن له حضارة متخلفة وغير مثقفة ودليل على ذلك أنه كان يتمتع بمؤسسات كثيرة خيرية وتعليمية هدفها كان سد حاجات اجتماعية وتوفير خدمة التعليم لكنها كانت خدمات رديئة جعلت هذا المجتمع الجزائري مجتمع مختلف كونها نشأت تحت الإدارة العثمانية المختلفة بذاتها³ .

ومن بين المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الجزائر وعدة نظريات تاريخية وحتى الاجتماعية حول التاريخ الجزائر كتابات أندري نوشي .

* **أندري نوشي** : هو مؤرخ فرنسي صاحب الكتابات العديدة والمتنوعة مادة ومنها .

تضمنت كتابات أندري نوشي حول تاريخ الجزائر المعاصر حالة التعقيد والتأزم البيني التي أضحت عليها وضعية الجزائر بفضل التواجد الاستعماري وجاء في كتابه ميلاد الحركة الوطنية

¹ - عبيد بوداود: المرجع السابق، ص 198 .

² - محمد رزيق : المرجع السابق، ص 46 .

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 284 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)

الجزائرية¹، الذي ينقسم إلى ست فصول شمل فيه مرحلة هامة من تاريخ الحركة الوطنية من 1919م/ 1954م من ثورات المقاومة وأهم المشاريع كمشروع بلوم فيوليت حيث يتساءل على طريقة السياسية والعسكرية، ويتساءل لماذا لا تنتهي هذه الحروب والانتفاضات ويعتبر أن العائق الرئيسي يكمن في رجال المقاومة الذين يقاتلون بكل بسالة وشراسة أكثر من جنود الاحتلال الذين قد دمروا كل شيء .

كما ذكر أنه من أجل تسهيل السيطرة الاستعمارية يجب تعيين موظفين جدد من الأهالي أطلق عليهم بالمصطلح الرعاة الذين وصفهم بأنهم لا ماضي لهم مكروهين من السكان² .

*من بين الكتابات الفرنسية أيضاً: كتابات لويس راين

*التعريف بشخصية لويس راين :

يعد الضابط العسكري لويس راين من أولئك الفرنسيين الذين كلفوا بالبحث والكتابة في تاريخ الجزائر وهو لويس ماري راين ولد بفرنسا سنة 1838م تقلد عدة مناصب منها قائد فرقة المدفعية في الجيش، رئيس المصلحة المركزية لشؤون الأهالي في الحكومة العامة، ونائب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية³ .

منهج لويس راين لا يختلف عن الكتاب الفرنسي العسكريين، لويس راين هو خريج المدرسة العسكرية الفرنسية سان ياسر ما بين 1855م . 1857م، دخل الجزائر في 1864م وانخرط

¹ - بكاري عبد القادر: ملامح وقدرات المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر كتابات أندري نوشي أنموذجاً، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع2، أبريل 2022، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص 52.

² - بكاري عبد القادر: مرجع نفسه ، ص54 .

³ - مجدوب موساوي: الزوايا والطرق السوقية بالصحراء الجزائرية عند لويس راين، مجلة العبر لدراسات التاريخية والأثرية، مج3، ع1، يناير 2020، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، ص293- 296 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (نموذجاً)

في صفوف ضباط لاصاص (LASS)، ولقد لفت انتباه القادة الفرنسيين في عماله قسنطينة بفضل امتلاكه لقدرات هائلة في تعليم اللغات الأمازيغية¹.

يعد لويس راين من الكتاب العسكريين الذين بلغوا من الشهرة والسمعة فهو العسكري الذي أهتم برجالات الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة في الجزائر .

نجد لويس راين قد تناول ثورة شريف بوشوشة وفق منظوره هو فنجد أن مقاومة بوشوشة وشخصية بوشوشة لم يسلم من التشويه فالرواية الفرنسية تنظر إليه على أنه مجرد صعلوك متمرّد عن سلطتها، لقد وجهت إليه أشد الاتهامات اعتبروه سارق وقاطع طريق ومعرض لأهل الصحراء وحركته عبارة عن أعمال إجرامية لقد جعلوه من شخصية وطنية وصوره بصورة مجرم فار من السجن، كما يؤكد لويس الراين أن الشريف بوشوشة هو مجرد جامع لأموال، نجد لويس الراين يطعن في مقاومة الشريف بوشوشة في أحداث 1871/03/5م² .

لقد تعاملت الإدارة الفرنسية بجد وحزم مع دراسة لويس راين واتخذتها خارطة الطريق في وضع إستراتيجيتها من أجل التغلغل داخل منظوماتها وتدجينها وضمان خضوعها، كما اجتهد لويس راين في طمس الكثير من الحقائق التاريخية في دراسته " مرابطون وإخوان " وقد أعطى كثيراً من التفسيرات في غير وجهها الحقيقي كما نجده يغالط في تفسيره لدوافع ثورات وانتفاضات شيوخ التصوف والزوايا ضد فرنسا كثورة العامري 1876م والأوراس 1879م

¹ - حنيفي هلايلي : إنتاج المعرفة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في مدونات المحلية الأفريقية، مج11، ع1، مارس 2020، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص108 .

² - الميلى عبد القادر : مقاومة الشريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية، كتاب لويس راين المرسوم بتاريخ الانتفاضة 1871 في الجزائر أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مج1، ع1، جانفي 2019، جامعة أفلوا، الأغواط، الجزائر، ص4 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

وانتفاضة الجنوب الوهراني 1880م فهو ينكر الدوافع الحقيقية المتمثلة في أسباب دينية والوطنية ويرجعها الى أسباب اقتصادية واجتماعية¹.

كما يؤكد لويس راين على أن قدوم فرنسا للجزائر هو من أجل مهمة حضارية لا غير وتبريره هذا بني على حساب تشويه وتزييف لتاريخ كما يعتبر أن المقاومة الشعبية هي عصيان وتمرد²، فقد سعى لويس راين إلى الحط من قيمة هذه الثورة العظيمة كثورة المقراني فهو طمس موضوع وهدف الثورة الحقيقي وجهود زعمائهم³.

فاقد أنهم بوشوشة على أنه أقدم على سفك الدماء في ورقلة وذكر بأن بوشوشة قام بقطع رؤوس خمسة من النبلاء الميزابيين، كان لويس الراين يصبوا إلى شيء خطير وهو التشكيك حتى في صدق وأمانة بوشوشة.

حيث أننا نجد راين قد استعمل عبارات سيئة وصف بها الشريف بوشوشة أثناء محاكمته حسب ما ذكر راين أن بوشوشة صرح بأنه كلب سلوقي استعملته الصياد لالتقاط الفريسة فنجد لويس راين ختم كتابه بتوجيه السب والطعن وبالتشويه والتقزيم لشخصية شريفة⁴.

كذلك من بين كتابات لويس راين نجد قد تناول مقاومة المقراني والشيخ الحداد فالمؤرخون الفرنسيون نجدهم يتحيزون في معالجتهم قضايا تاريخ الجزائر عامة وإصرارهم على تجريدها من أبطالهم وروادها العظام.

¹ - مجدوب موساوي : المرجع السابق، ص 295 .

² - مرجع نفسه، ص 298 .

³ - عبد القادر صحراوي : مقاومة المقراني والحداد، في ضوء المجلة الإفريقية، ع11/12، مارس 2016، ص 275.

⁴ - الميليقي عبد القادر : المرجع السابق، ص 8-9 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (نموذجاً)

فوجد لويس راين كتب عن هاتين المقاومتين من خلال المجلة الأفريقية فقد كان راين رئيساً للمكتب العربي بسكرة 7 جوان إلى 20 أكتوبر 1870م، اعتبر راين أن ثورة الحداد وإخوانه 8 أفريل تعتبر من أخطر حدث لأنه عندما أعلن الحداد الجهاد قد دفع قسماً كبيراً من سكان جرجرة والبابور وحوض الصومام وأن المقراني ما كان ليتحول عصيانه إلى ثورة عارمة لولا انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم وحملهم السلاح بصورة جماعية¹.

كما ذكر راين أن أحمد المقراني كانت تدعمه الزوايا الرحمانية ببلاد القبائل المتمثلة في عزيز بن الشيخ الحداد، حيث كان هذا الأخير قائد تمكن من فرض الانتفاضة بالقوة على القبائل، كما نلاحظ من نص أغنيتين قد احتوى على موضوع أساسي هو عبارة عن قذف وسب لشخصية في انتفاضة 1871م هما بومرزاق والشيخ الحداد حيث نلاحظ أن هناك تطاول على هذين الشخصيتين حيث يعتبر لويس راين أنا بومرزاق هو عدو فرنسا إلى إنه يعترف بأنه كان محترماً من الفرنسيين كما نجده يمدح القائد الفرنسي سويس " Saussier " الذي استطاع القضاء على مقاومة الحداد².

فالكاتب الفرنسيون كذبوا تاريخ الجزائري كانوا يكتبونه وفق منظورهم هم فمثلاً نجد جريدة لاديبش دو كنستونيت: الذي قدم فيها تصريحاً لبول لميتولي: تحدث عن مجازر 8 ماي 1945م ذكر أن الأحداث من عمل أقلية محرضة غطت أغلبية السكان المسلمين لم يكن هناك قطر للمجاعة إنما حدثت ثورة فعلية ضد السيادة الفرنسية ومن الجيد أنها صدرت عن مجموعة قليلة مشوشة غلطت الناس بتداعياتها، يذكر أيضاً أنه ما حدث في سطيف وبجاية وجيجل وقال ما لم تكن إلا بداية لثورة ذات طابع وطني معادي لفرنسا منظمة من قبل أهالي

¹ - عبد القادر صحراوي : المرجع السابق، ص 273 .

² - حياة تابتي: دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي (مقاومة المقراني والحداد 1871م أنموذجاً)، مجلة تاريخ المغرب العربي - مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، مج 8، ع 8، ديسمبر 2022، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص 31 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

متقنين إنضم إليهم السكان المسلمون في حرب مقدسة موجهة ضد العناصر الغير مسلمة في المدن والأرياف¹.

لقد وفرت الإدارة الفرنسية كل الوسائل والإمكانيات بغيت تنفيذ مخططاتهم فكانت كتاباتهم التي من خلالها أصابوا في مرات قليلة وجانب والحيادية والموضوعية أحيانا، فمؤرخي المدرسة الاستعمارية الفرنسية كانت تتفي كيان جزائري سياسي يعني بحق قضية الجزائر سعوا إلى صياغة مفاهيمهم والمصطلحات التي تشكل مفاتيح الفهم والكتابة واجتهدوا كي يرسخونها في أذهان المؤرخين الفرنسيين حيث أصبحت فكرة الاحتلال تعرف بالوجود الفرنسي في الجزائر².

كذلك نجد المؤرخين الفرنسيين " كلود كولو " ، "وجون روبيير هنري" قاموا بتحديد ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية وأرجعوا للبلاد الحركة الوطنية بين 1912م/1939م حيث اعتبروا أن 1912م هذه السنة التي قد صمدت فيها حركة الجزائر الفتاة، كما يرى المؤرخين كلود وهنري أن من مميزات هذه الفترة الواقعة 1912م-1939م حددها بفترة ميلاد الحركة الوطنية وتميزت بظهور تيارين الأول حركة الشبان الجزائريين أما التيار الثاني تبلور عن عقد مؤتمر فارسي.

كما عالج المستشرق الفرنسي بوسكي ذكر بأن فرنسا هي التي صنعت إسما للجزائر³.

أهتم كثير من المؤرخين الفرنسيين والمستشرقين بشخصي الأمير عبد القادر الجزائري، نظرا لما قدمه من أعمال عظيمة، سواء في ميدان المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي ومن بين هؤلاء

¹- كوثر هاشمي: أحداث 8 ماي 1945 من خلال جريدة لاديبش دو كنستنتين، مجلة البحوث التاريخية، مج6، ع1، جوان 2022، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ص 625.

²- جعفر عدالة - مراد بن زفور: جدلية مفهوم الحركة الوطنية بين المدرسية التاريخية الفرنسية الجزائرية، مج8، ع1، 2024، جامعة سطيف 2 (الجزائر)، ص 526.

³- جعفر عدالة: مرجع نفسه، ص 527.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)

المؤرخين نجد جون بول أزان¹ الذي كتب كتاباً عن الأمير بعنوان الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى الوطنية الفرنسية الذي صدر سنة 1925م، غير أن أزان لم ينصف الأمير عبد القادر كما يجب بل كان عدواً لدوداً له حيث حاول التقليل من شأنه واتهامه بالتعصب الديني، يتهم كثير من الباحثين أزان بالتعصب والكراهية إتجاه الأمير عبد القادر، يصور أزان الأمير عبد القادر كقائد متشعب بالذهنية الاستعمارية محاولاً تفسير وطنيته العميقة وانتمائه للدين بأنه مجرد تعصب ديني كما يحاول تقصير وفائه بالعهد والتزامه بكلمته ودعمه لقضايا بلاده، على أنه نوع من التعصب وليس نابع من مبادئ أخلاقية عالية وشرف راسخ يصف أزان في كتاباته على أنه رغم عدائه الظاهر، يصف الأمير أحياناً أنه الصديق الأكبر والصديق المخلص والوفي لفرنسا، خاصة خلال فترة أسره وبعدها، يظهر من خلال ذلك أن عبقرية الأمير عبد القادر وقوة شخصيته وسمعته الواسعة وعظمته الأخلاقية، كانت حتى لدرجة أن أعدائه الفرنسيون وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الاعتراف بمكانته الرفيعة².

المبحث الثالث : منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر

¹ - جان بول أزان: ولد في 22 يناير 1874م، بمدينة بيرسون بفرنسا التحق بأكاديمية سان سير العسكرية حيث تلقى تدريبه وتخرج منها ضابطاً بعد تخرجه، خدمة جان بول أزان كضابط تحت إمرة قائد الفرقة الثانية من الزواف، عمل تحت قيادة الجنرال بيوني، تم ترفيته إلى رتبة مقدم عين جان بول أزان رئيس للبعث الإعلامية الفرنسية في الولايات المتحدة الأمريكية، ألف سيرة ذاتية للأمير عبد القادر زعيم المقاومة الجزائرية منذ الاستعمار الفرنسي،. أنظر علي طالبي، جمال حريشة: شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفاته خصومه من الفرنسيون كتابات برنوا بتيسن وجان لويس أزان آ نموذجاً، مجلة المعيار، مج 14، ع1، جوان 2023، جامعة تيسمسيلت، ص1241.

² - علي طالبي، جمال حريشة: شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفاته خصومه من الفرنسيون كتابات برنوا بتيسن وجان لويس أزان آ نموذجاً، مجلة المعيار، مج 14، ع1، جوان 2023، جامعة تيسمسيلت، ص1242.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)

تاريخ الجزائر تاريخ عريق وطويل المدى وقد اختلفت الكتابات حول تاريخنا فقد كتب حول هذا الموضوع العديد من المؤرخين الأجانب أوروبيين وبالخصوص فرنسية فقد ساهم الكثير من المؤرخين الفرنسيين من خلال كتاباتهم في طرح عدد من الآراء والنظريات التاريخية وحتى الاجتماعية حول تاريخ الجزائر وقد اختلفت آراءهم حول هذا الموضوع فقط كتبوا تاريخ الجزائر من منظور استعماري حرفوا وزيفوا الحقائق في تاريخنا على مدى العصور، وهذا الأغراض استعمارية وحقد صليبي¹ فقد عمل الفرنسيون على إنجاز التقارير ومؤلفات تحمل معلومات خاصة بالجزائر، فقد نقل مجريات الأحداث مثل المقاومات والانتفاضات على طريقتهم وفق منظورهم هم، وكانوا يتباهون بما اقترفت أيديهم من جرائم كما اعتبروا أن الجزائر هي أرض أسلافهم الرومان وهم اليوم فيها من أجل استرجاعها².

حيث يذكر رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية السيد بير بروج³ أن الفرنسيين في بداية الاحتلال عملوا على إدخال عدة نظم عملية أدبية وتقنية ومن بين النظم العلمية دراسات التاريخية، كما عمل الفرنسيون على البحث في عدة مجالات منها نشروا الآثار القديمة عن

¹ - جعفر عدالة . مراد بن زفور: جدلية مفهوم الحركة الوطنية بين المدرسية التاريخية الفرنسية الجزائرية، مج8، ع1، 2024، ص524 .

² - طاهر بخدة: تاريخ الجزائر غي منظور الكتاب الفرنسيين: الشبهات المنهج والأهداف، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج7، ع1، 2022، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، ص20 .

³ - السيد بير بروج آريان Berbwugger Adrien (1801-1869م)، قُدم إلى الجزائر برفقة المارشال كلوزيل وكان يمثل السكرتير الخاص به وقد كلف برئاسة تحرير الممرن الجزائري وأولى اهتماماً كبيراً لدراسته تاريخ المنطقة، اشتغل مفتشاً عاماً للآثار التاريخية والمتاحف الأثرية للجزائر ثم محافظ لمكتبة ومتحف الجزائر اختبر رئيساً للجمعية التاريخية 1856، وأشرف على تحرير المجلة الإفريقية، أنظر: Revue Afvicaïne : T31, ammeé (1887) opw, Alger 1980, P427 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

الجزائر وتكوين جمعيات المختصة والصحف والروايات وإنشاء لجان علمية كما أعطوهم الرخصة من أجل البحث والتتقيب عن الآثار الخاصة بالجزائر¹.

كما عملوا على نشر كتب الرحلات والانطباعات التي كتبها الأوروبيين عن الجزائر في العهد العثماني وعادوا أيضا إلى كتب المؤرخين والرحالة العرب، ونشروا أيضا تقارير القناصل والجواسيس مثل تقرير بوتان - وديبواتا نفيل² - أما بخصوص المجال الثاني للجنة العلمية نشروا العديد من دراسات الهامة المتعلقة بالآثار والعلوم الطبيعية والفنون والتاريخ وعلم السلالات كذلك البحث في التاريخ المحلي فيما يتعلق باللهجات وعادات وتقاليده السكان وطباعهم.

أما بخصوص الجمعيات والصحف في الفرنسيين أسسوا أول جريدة هي المرشد الجزائري سنة 1832م والتي كانت تهتم بالتاريخ المحلي وأخبار الأهالي والمسلمين³.

ثم جريدة الأخبار التي تعتبر جريدة سياسية وإخبارية 1839م في فالفرنسيون استعملوا طريقة النقد الحديث للمصادر وتوصل إلى جمع الآثار ومخطوطات ووثائق كثيرة عن الجزائر وقاموا بحفظها في المتاحف والمكتبات وقاموا أيضا بجمع المصادر وحفظها وتنظيم الفهارس واستعمال وسائل حديثة في البحث وتشجيع الباحثين وبعد من الأعمال الإيجابية التي قام بها المؤرخين الفرنسيين، أما ما يؤخذ عن هذه الكتابات من جانب آخر أنهم اعتبروا الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا غزوا عربيا، لأن الفرنسيين قد طبقوا مناهج المدرسة الوضعية في قراءة وكتابة تاريخ الجزائر تميز منهجهم التشويه والتضليل فسروا التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً، كما

¹ - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط خ، ج 1، دار البصائر، 2007، جامعة الجزائر، ص 4.

² - أبو القاسم سعد الله: منهج الفرنسي في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، ع 14-15، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص 8-9.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 13.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

اعتمدوا على الانتقائية وتفسير التاريخ الجزائري تفسيراً خاطئاً إضافة إلى التهويل والمقارنة البائسة¹.

اعتمد المؤرخون الفرنسيون في دراسة قضايا تاريخ الجزائر مناهج البحث والتقييم وهي مناهج أوروبية حديثة وضعت لكتابة التاريخ الأوروبي، وهذا بجانب الحقيقة التاريخية لأن مراحل التاريخ الأوروبي تختلف جذرياً على مراحل تاريخ الجزائر، الكتابات الفرنسية تناولت التاريخ الجزائر بهذه الطبعة من أجل جعل من يتناول تاريخ الجزائر من وجهة نظر فرنسا يعتمد إلى الحكم على تاريخ الجزائر بالنسبة لتاريخ فرنسا.

كما أن الفرنسيون حاولوا إيجاد رابطة بين الوجود الروماني في الجزائر وبين الاستعمار الفرنسي كما أكد المؤرخين الفرنسيين على حتمية التبعية الجزائر لفرنسا الاستعمارية²، المدرسة التاريخية الكولونيالية هي المنهج المتبع لدى الباحثين الفرنسيين في دراسة تاريخ الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية والجانب التاريخي يعتبر من المجالات الأولى التي اهتمت بها فرنسا بعد الاحتلال، لأن الفرنسيين كانوا يجهلون واقع الجزائر وتاريخها، كما اعتبرت أن الجزائر لم تكن أمة وأن الأرض الجزائرية لم تعرف الوحدة السياسية قبل الغزو الفرنسي فقد اعتبرت أن عاصمة الجزائر كانت لمملكة القراصنة.

فقد أسست هذه المدرسة منهجها الخاص في كتابة تاريخ الفترة العثمانية وركزت على العنف والحروب الداخلية والحوادث الدامية والاغتيالات والمؤامرات وكان الجزائر قائمة على بركان³.

¹ - طاهر بوخدة: المرجع السابق، ص 25.

² - ميلود بلعالية: المرجع السابق، ص 133.

³ - رشيد ولد بوسيفاء : المرجع السابق، ص 596-600.

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)

الفرنسيون رغم بحثهم عن المصادر الأهلية فإنهم كثيراً ما شككوا في قيمتها واتهموها بالتجريدية والمبالغة وقد ادعى "ويليام مارسى" أنه يجب الاعتماد على المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وقد وافقه على رأيه ستيفان غزال، كمل نادي أيضاً بالاعتماد على رحلات الأوروبيين أرشيف الدولة الأوروبية، كما عمو على ترجمة الآثار عن الجزائر في شتى العصور .

وما يمكن أن نلاحظه أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا مؤرخين بالمعنى الاختصاص يعني أنهم ليسوا مختصين (عسكريين رحالة) إلخ هدفهم تجريد الجزائريين من إسلامهم كما ركزوا على مواضيع أخرى¹ .

فقد وصفت الجزائر خلال العهد العثماني في أبشع صورة فلقبت بجحر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق فهم وحوش متعطشة للدماء² .

استطاع الفرنسيون أن يلهموا أنفسهم بأنهم احتلوا الجزائر من أجل طرد الأتراك الذين أدخلوا بالأمن في حوض المتوسط وعلى الرغم من اصطدام الفرنسيين بمقاومات شعبية لكنهم تجاهلوا الوجود التاريخي للشعب الجزائري وقدموا تفاسير عديدة منها³ .

¹ - محمد إبراهيم الملي: نماذج من تشويه تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، ع14-15، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص61-62 .

² - نعيمة رحمانى- شعيب مقنوني: الأسطوغرافيا الاستشراقية الفرنسية حول ثيمية الجزائر في العهد العثماني مابين الموضوعية العلمية والذاتية المؤدلجة مقارنة أثنو تاريخية، مجلة الحوار المتوسطي، مج10، ع1، مارس2014، جامعة تلمسان، ص197-198 .

³ - سعودي أحمد: المرجع السابق، ص928 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

التعصب الديني والوحشية الفكرية وعدم القابلية للحضارة في فالكتاب الفرنسيين أهملوا تاريخ الجزائريين السياسي والثقافي والاجتماعي واهتموا بالتاريخ الرومان في الجزائر وتاريخ المسيحية فيها .

حيث نجد المؤرخ " جورج إيفير"¹ تناول شخصية الأمير عبد القادر حيث يقول : " أنه لم يكن بطل جنسية عربية في الجزائر لأنها لم توجد"، وقد قلد الأتراك في إدارتهم، كما وصفه في الكتابات الفرنسية بالتعصب الديني .

كما ذكر أيضا أنه لم يكن سياسيا مجددا يهدف إلى أركان الحضارة الأوروبية على مواطنيه ويرجع هؤلاء المؤرخين لشدة المقاومة الجزائريين لاحتلال الفرنسيين لا إلى الروح الوطنية إنما لضيق الأفق والتعصب الديني حيث أطلق " إميل فوتي " أسماء القرون الغامضة على الإمارات الإسلامية في الجزائر والمغرب من الفتح العربي إلى مجيء العثمانيين² .

* نجد أيضا كتابات أوروبية كتب عن تاريخ الجزائر :

مثلاً " دي تاسي" لقد تعرض لمصطلح البربر والبربرية الذي أصبح يوصف هذا المصطلح بكل ما هو وحشي حيث نجد راين يصف المنطقة على أن تاريخها ما هو إلا سلسلة طويلة من المأس ويعطي لها وصف قبائل متقلبة، متوحشة، بربرية، لا تقاليد تحكمها ولا تاريخ كما نجد "دارفيو (d'Arvieux)" يصف الداوي والديوان على أنهم متوحشون تمتلكهم نزوة غضب شديدة حيث يقول : " ماذا تنتظر من أناس برابرة مثل الجزائريين " .

¹ - أبو القاسم سعد الله : موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 14-15،

تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص16 .

² - أبو القاسم سعد الله: مرجع نفسه، ص19 .

الفصل الأول نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آموذجا)

كما ذكر فانتور ملاحظات حول التنظيم الإداري المطبق في الجزائر وقال بأنه يجعل من المقاطعات الإدارية للبلد ليست قائمة على التنظيم إداري محض بل على ما تدفعه كل جهة من أموال ومنتجات وكذلك الهدايا¹.

أما رونو دوت فقد ركز على النظام الضريبي المطبق في إيالة الجزائر ووصفه بأنه نظام قاهر فالدولة تمتص الشعب بالضغط والتهديد بالقوة وهنا يقول " فدارفيو ": " يشير أن الأتراك عمدوا إلى جعل هذا الشعب والثراء لا يلتقيان"، وجعل الجزائر يفكر في العيش لومه فقط دون ان يشغل باله بمستقبله².

حاولت الكاتبة الفرنسية جوان جيسي نفي الوجود القومية كليا واعتبرت أن الشعور القومي لم يكن موجود ولم تتحدد ملامح الشخصية الوطنية، حاول الفرنسيون اختزال هذا التاريخ الطويل وتشويهه وركزوا فقط على الفترة الرومانية في الجزائر واعتبروا أنفسهم الورثة الحقيقيين أما الوجود الإسلامي صورته فرنسا، كما جاء على لسان غاستون بوثول على أنها فترات من الصراع والاضطراب بين العرب والبربر³.

كما اعتبروا أن الجزائريين من أصل بلاد الغال جنوب فرنسا وليس من شبه جزيرة عربية، وهذا من أجل حمل الجزائريين على قبول فكرة الاندماج في فرنسا باعتباره وحدة الجنس⁴.

¹- دراغو محمد - معمر لعاب: الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال (1830)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 14، ع2، ديسمبر 2022، جامعة سيدي بلعباس، ص74.

²- مرجع نفسه، ص75.

³- طليبة بوراس: المدرسة التاريخية الفرنسية ومحاولة الطمس الحضاري للجزائر مؤرخي التاريخ القديم أنموذجا، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 16، جامعة حمه لخضر، الوادي، ص402.

⁴- تركي رايح : التعليم القومي والشخصية الوطنية 1956/1931م، دراسة تربوية لشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص192.

الفصل الثاني : تاريخ الجزائر من منظور الكتابات المحلية

المبحث الأول : المدرسة الوطنية الجزائرية ودورها في رد الاعتبار للتاريخ

الجزائر (تعريفها تأسيسها روادها)

المبحث الثاني : نماذج من الكتابات المحلية

المبحث الثالث : موقف الكتابات الجزائرية من الكتابات الأجنبية (الفرنسية)

المبحث الأول: المدرسة الوطنية الجزائرية ودورها في رد الاعتبار لتاريخ الجزائر
(تعريفها - تأسيسها - روادها)

أولاً: جذور مدرسة التاريخ الجزائري

إن الحديث عن كتابة تاريخ الجزائر هو الحديث عن ذاكرة وطن ضارب بجذوره في التاريخ ووصل بين حلقات الأجيال المتعاقبة كما أنه تصدى للمشروع الثقافي الاستعماري الذي حاول نفي وطمس هذه الأمة من خلال الكتابات الفرنسية والمدرسة الاستعمارية التي حاولت تشويه تاريخنا وتوجيهه لخدمة الاستعمار¹، بعد الفترة الاستعمارية بدأت أقلام تاريخية جزائرية تتبري لتدوين فيه حيث صار البعض يلح على ضرورة تأسيس مدرسة تاريخية وطنية أصبح هذا الحلم محل اهتمام الكثير من الخاضعين في الشأن التاريخي الوطني خاصة بعد التزييف والتحريف الذي نادت به المدرسة الاستعمارية ففي ظل هذا السيتار الحديدي الذي عزل الجزائريين كان عليهم رفع التحدي والتصدي لكتابه تاريخ وطني أصيل ويؤكد وجودهم وامتدادهم الحضاري الذي لم تصغه يدي المستعمر² كما سعي جمال قنان إلى بناء مدرسة تاريخية ملامحها تركز على قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، والسعي لتخلص من الأيديولوجية الكولونيالية والمساهمة في تكوين الوعي التاريخي³.

¹ - رشيد مياي : الشيخ مبارك الملي المورخ، عرض حياته ومنهجه في كتابة التاريخية، مجلة الباحث، مج 12، ع3، السنة 2020، جامعة يحي فارس، المدينة، الجزائر، ص9.

² - عبد القادر خلفي : الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل حقبة الكولونيالية، دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني 1950/1931م، مجلة الدراسات وأبحاث، مج6، ع10، 15 سبتمبر 2015، جامعة المسيلة، ص1 .

³ - سعودي مراد : جهود جمال قنان في بناء مدرسة تاريخية من خلال كتابه قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مجلة الباحث، مج16، ع2، سنة 2024، الجزائر، ص870 .

ثانيا : مفهوم المدرسة التاريخية الجزائرية

*اصطلاحا :

هو مصطلح ذو شحنة وطنية يطلق على جهود الباحثين الذين جمعتهم فكرة الدفاع عن الشخصية الجزائرية وسيادتها في زمن الاستعمار الفرنسي وتجمعهم حاليا في عهد الاستقلال فكرة التخلص من القراءة الاستعمارية لتاريخنا وذلك بإعادة كتابته بطريقة موضوعية تعيد الاعتبار لأمجاد الجزائر ولأفلامها التي ساهمت في بناء الحضارة الجزائرية¹، ويرجع ظهورها إلى ثلاثينات القرن 20 لقد كانت حربا سجال ضد المدرسة الاستعمارية وضد حركة التغريب الاستعماري وانشغل مؤرخوها² بمسائل الهوية الوطنية وإحياء أمجاد الأمة الجزائرية ومن روادها الأوائل: أحمد توفيق المدني، ومبارك الملي، ثم تبلور مؤرخين يتحدون من التيار الاستقلالي كمصطفى لأشرف، ومؤرخين آخرين متأثرين بأطروحات هذه المدرسة كأبو القاسم سعد الله، يحيى بوعزيز، جمال قنان، ناصر الدين سعودني، محمد العربي الزبيري³، أثبتوا تواجد الكيان الجزائري وسيادته قبل 1830م .

ثالثا: تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية

تأسست المدرسة التاريخية الجزائرية مع بدايات العقد الثاني من القرن 20 فبعد قرابة قرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر ومحاولته طمس الهوية الجزائرية وقضاء على مقاومات الأمة ومحاوله محو الشخصية الوطنية الجزائرية هذا ما أدى لظهور نخبة أصيلة حاولت أن تحيي مقومات الأمة وأن تعيد

¹ - فتح الدين بن أزواو : مسألة السيادة وفكرة الوطنية في كتابات المؤرخين الجزائريين 1830 / 1962م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 5، ع1، جامعة بوضياف المسيلة، ص 418-419 .

² - محمد غانم : المؤرخون الجزائريون و المرجعية الخلدونية، مجلة الجزائرية في الأنثولوجيا والعلوم الاجتماعية، ص 37 .

³ - فتح الدين بن أزواو : المرجع السابق، ص 427 .

كتابة تاريخها وتخليصه من الشوائب والمغالط التي علقت به¹ كما يرى العربي الزبيري أن تحصين الهوية الوطنية مرهون بالحفاظ على الموروث الحضاري للدولة الجزائرية هذا الأخير، وهذا ما يستدعي تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية لتنقية التاريخ الوطني من القراءة الكولونيالية².

حمل المؤرخين المدرسة التاريخية الوطنية بحكم الظرف والمهمة شعاره: " تحرير الأذهان مقدم على تحرير الأوطان"، وهو شعار العلماء الجزائريين من بين ممثليها نجد محمد الشريف ساحلي، المؤرخ الذي كتب عن بوغرطة وعن الأمير عبد القادر فارس العقيدة إضافة إلى كتابات: محمد مبارك الميلي، وكتابة تاريخ الجزائر في القديم والحديث، قدم هذا الكتاب تاريخ الجزائر والأمة في أبهى صورة وبأحسن العبارات وسلاسة الأسلوب³.

إن تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية لا يمكن تحديده بدقة لكن لا يختلف اثنان حول سمو مكانة أبو القاسم سعد الله وجهوده في بناء المدرسة التاريخية الجزائرية في عصرنا الحالي لقد ظهرت الفكرة الأولى خلال فترة الاحتلال الفرنسي التي مارسها الاستعمار الفرنسي ضد الشخصية الجزائرية ويبدو أن اللبنة الأولى للكتابة التاريخية في عهد الاحتلال الفرنسي قد وضعها حمدان خوجة⁴ الذي هو في الأصل ألف كتاب " المرأة " يعتبر تقرير مفصل قدمه للبرلمان الفرنسي 1933م دفاعا عن وطنه ثم جاءت كتب أخرى في النصف الأول من القرن العشرين في إطار جهود الحركة الإصلاحية أهمها:

¹ - عبد القادر بوعقادة : نحو مدرسة تاريخية وطنية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج6، ع2، جامعة البليدة2، الجزائر، ص670.

² - سعيد جلاوي : نظره محمد العربي الزبيري لواقع المدرسة التاريخية في الجزائر من خلال المصادر المطبوعة والإلكترونية، مجلة المعيار، ع1، جوان 2022، جامعة أكلبي محمد أو لحاج، البويرة، ص106.

³ - عبد القادر بوعقادة : المرجع السابق، ص671.

⁴ - فتح الدين بن أزواو: المرجع السابق، ص425.

- تعريف الخلف برجال السلف - أبو القاسم الحفناوي - تاريخ الزواوة أبو يعلى الزواوي 1920
- تاريخ الجزائر قديمة وحديثة لمبارك الملي 1928م - كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني -
- وتاريخ الجزائر العام - عبد الرحمان الجيلالي¹ .

رابعاً : المدرسة التاريخية المعاصر وأهم كتاباتهم

من بين أعلام الأمة الجزائرية الذين حاولوا النهوض بالتاريخ بلادهم نجد المؤرخ أبو القاسم سعد الله، يعتبر رائد من رواد المدرسة التاريخية والأدبية والفكرية وهو يعتبر من المفكرين الذين عرفتهم الجزائر على مرحلتين في فترة الاستعمار وفترة الاستقلال .

1- نبذة عن حياة سعد الله :

ولد في البدوع بجوار مدينة قمار المغربية بوادي سوف عام 1930-1931، عرفت أهله بالفلاحة سافر إلى تونس ليكمل دراسة في جامع الزيتونة حيث تعلم أصول الدين الحنيف هناك وروافد الأدب العربي²، نشاء سعد الله نشأة علمية جعلته يتميز عن أقرانه من معاصريه في صفه كان أدبياً وشاعراً ومؤرخاً وباحث عن وثائق والرسائل والمخطوطات كان قلمه السيل لا يفارق يمينه في جميع رحلاته، كما كان يزور دور العبادة والزوايا والأرشيف والمكتبات والمتاحف، لقب بشيخ المؤرخين³ كان من حفظة القرآن، تحصل على عدة شهادات منها الشهادة الأهلية و البكالوريا، عين معلم من طرف جمعية العلماء المسلمين في المدرسة العربية للأحرار كما نشط أيضاً في فرع القاهرة للإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، أشهر مؤلفاته، كتاب الحركة الوطنية، كما أنه تخصص في التاريخ

¹ - زريقة علي : المرجع السابق، ص351 .

² - بن الشيخ حكيم: الدكتور سعد الله رائد المدرسة التاريخية الجزائرية وباعثها، المجلة المغاربية للدراسة التاريخية والاجتماعية، مج7، ع2، ديسمبر 2016، جامعة سيدي بلعباس، ص63.

³ - حاج عبد القادر يخلف : مساهمة المؤرخين أبو القاسم سعد الله في التأريخ للجزائر أثناء الاحتلال " الحركة الوطنية الجزائرية نموذجاً "، مجلة عصور الجديدة، ع 13، 2014، ص312 .

الثقافي ورسم طريقا لإتباعه من الطلبة أمثال: العربي معريش - ويوسف مناصرية - مصطفى عبيد - وغيرهم¹.

ساهم سعد الله في وضع بؤادر لمدرسة تاريخية جزائرية بعد عقود من الزمن شوه فيها المستعمر الفرنسي تاريخ الجزائر فبفضل قلمه وعزيمته ناضل سعد الله في إحياء تاريخ الأمة وترك وراءه عشرات الكتب والمؤلفات في شتى المجالات المعرفية كما خلف وراءه جيلا من الأكاديميين والباحثين الذين هم على نهجه وفكره .

قام سعد الله بترجمة كثير من الوثائق التاريخية التي سجلها بعض الفرنسيين من العسكريين والرحالة وعرف سعد الله بأنه شيخ المؤرخين الجزائريين من خلال كثرة مؤلفاته في التاريخ، سعد الله كانت له نزعة في الأدب وكتابة المقالات الأدبية في الصحافة، وترك أيضا بصمة في نظم الشعر، عرف عنه أنه أول من كتب قصيدة في الشعر الحر الجزائري، كما ساهم في الدفاع عن الجزائر فهو لا يفرق بين القضايا التي تتعلق بالقضايا المحلية الخاصة لوطنه الجزائر والقضايا المرتبطة بوطنه العربي الإسلامي².

تخصص سعد الله في التأليف والترجمة وكان أستاذ مساعدا في التاريخ بجامعة " ويسكونسن أو كلير " بأمريكا ثم عاد إلى الجزائر وأصبح وكيل كلية الآداب بجامعة الجزائر 1968-1972م، ثم أستاذ ورئيس قسم التاريخ ثم انتقل أيضا إلى الأردن ودرس التاريخ بجامعة البيت إلى أن عاد إلى الجزائر والتحق بالجامعة الجزائرية مجددا 2001 حضي بالعديد من التشريعات تقديرا لمجهوداته الجبارة كما تميزت كتاباته بالجدية والصرامة وإتباع أساليب دقيقة في مجال البحث التاريخي، وهذا

¹ - عبد القادر بوعقادة : المرجع السابق، ص 674 .

² - سفيان لوصيف : أبو القاسم سعد الله وكتابة تاريخ الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، ع28، سبتمبر 2017، جامعة سطيف، ص 270 .

بالبحث عن المصادر الغنية بالتراث والآداب والفكر وتحقيق مخطوطات العلماء الجزائريين¹، يعتبر سعد الله نموذج للشخصية الوطنية المناضلة والمساهمة في كتابة تاريخ بلادها فهو باحث ذو النظرة الثاقبة والآفاق الواسعة في تشخيص تاريخ الجزائر عبر مراحل الاحتلال الفرنسية².

فقدت الجزائر يوم السبت 11 صفر 1435 هـ الموافق لـ 14 ديسمبر 2013 شيخ المؤرخين وأعظم رجالاتها الذكر الذين عرفتهم الجزائر المعاصرة³.

* مبارك الملي :

* **نبذة عن حياته:** هو الشيخ مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي لقبه ولقب أسرته إبراهيمي ملقب بالملي نسب إلى مدرسة المليية بالشرق الجزائري التي ولد بها سنة 1898م كان من عائلة غنية ووجهة كفله جده وجدته بعد وفاة والده، بدأ تعليمه بدوار أولاد مبارك بمدينة المليية عكف منذ صغره كغيره من الكثير من أبناء الجزائر، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أحمد بن طاهر مزهود في جامع الشيخ عزوز⁴، فهو مؤرخ كاتب من رجالات الإصلاح تعلم بالزيتونة تخرج بشهادة التطويع من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الذين وضعوا أسس المدرسة التاريخية الجزائرية ذات التوجه القومي أشهر مؤلفاته " كتاب الجزائر في القديم والحديث"، من الأوائل الذين دافعوا عن تاريخ الجزائر بكل روح وطنية كتب تاريخاً للبلاد منذ العصر القديم إلى الوسيط وصولاً للحقبة

¹ - الدكتور محمد بلبل : الكتابة التاريخية عند الشيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية، مجلة الدراسات التاريخية، ع4، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص ص51-52 .

² - زايدي عز الدين: ارهاصات الحركة الوطنية الجزائرية من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله 1919/1945م، المجلة المغربية للدراسات التاريخية، مج 7، ع2، ديسمبر 2016، جامعة سيدي بلعباس، ص176.

³ - محمد زاهي : أبو القاسم سعد الله مساهمته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، ع 7، جامعة تيارت، ص79 .

⁴ - رشيد مياد : المرجع السابق، ص13-14 .

الاستعمارية، من الذين واجهوا الكتابات مؤرخين المدرسة الكولونيالية¹، كان يصبوا إلى رفع الجهل عن أمة مغلوب على أمرها، من جمع التاريخ الجزائر في كتاب يحكي مآثر الأجداد باللغة الغربية وتصحيح المغالط التي زرعتها المدرسة الاستعمارية .

* أحمد توفيق المدني :

* **نبذة عن حياته:** يعتبر أحمد توفيق المدني من بين الشخصيات التي أعطت دافعا قويا للمدرسة التاريخية الجزائرية والمغربية لقد عاصر وناشط كل المراحل ابتداء من الحركة الوطنية إلى الثورة وصولا لمرحلة ما بعد الاستقلال فقد اشتغل في فترة حرجة جدا من تاريخ الجزائر² .

* **التعريف بشخصيته:** هو أحمد بن محمد المدني القبطي الغرناطي ولد بتونس سنة 1899م وهو من أصول جزائرية تخرج من جامع الزيتونة لكنه لم يحصل على شهادة لأنه كان بدون دفتر، عرف منذ بداية حياته بنضاله الوطني ونشاطه السياسي تعرض لاعتقال 1915 . 1918م قام برفقة أصدقائه بإنشاء الحزب الدستوري الحر فأصبح من إداراته الرئاسية³ .

عمل أحمد توفيق المدني على تأكيد هوية الشعب الجزائري منذ أقدم العصور منذ 1930م حيث قام بتأليف كتاب " الجزائر " كرد فعل على الاحتفالات المئوية الفرنسية متحديا السياسية فرنسا الاستعمارية ومعارضاً ل طرحها المزيف والمشوه لتاريخ الجزائر خاصة أن فرنسا قد سعت من خلال

¹ - متشاط عبد الغني : جهود جمعية العلماء المسلمين في تدوين تاريخ الجزائر مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني أنموذجا، مجلة دراسات التنمية والمجتمع، مج 7، ع2، سنة 2022، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف الجزائر، ص29 .

² - بن عبد المؤمن إبراهيم : الكتابات تاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية المقاومة والدعوة إلى وحدة المغرب، مجلة كات التاريخية علمية عالمية ربع سنوية، السنة 12، ع45، سبتمبر، ص24 .

³ - أحمد توفيق المدني: حياة كيفاج ج1، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1988، ص13 .

هذه الاحتفالات أنا الجزائر لم تكن لها وجود قبل مجيء الفرنسيين وأن الشعب الجزائري لا مقومات له¹.

* أهم مؤلفات المدني :

ترك أحمد توفيق المدني كثير من المؤلفات التي حفظت العديد من الأحداث التاريخية الهامة معظمها أصدرها خلال العشرينات والثلاثينات من القرن 20، معظمها في التاريخ العام للمغرب العربي والشمال أفريقيا والجزائر على وجه الخصوص منها المسلمون في جزيرة صقلية والجنوب إيطاليا وكتاب " الجزائر "، يعتبر مصنف سياسي تاريخ وطني، أيضا حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 / 1792م².

لم يدخر أحمد توفيق المدني جهداً في البحث عن الوثائق ذات الصلة بتاريخنا الوطني وجمعها وتوظيفها في عملية الكتابة فقد كان ينتقل من دور الأرشيف لآخر داخل الوطن وخارجه لهذا الغرض، كما أنه كان من المدافعين عن تاريخ الجزائر حيث يقول " لقد كان تاريخ الجزائر تاريخ بطولة لم يشهد العالم بحق له مثيل " .

فلم يدخر أحمد توفيق المدني جهداً في البحث عن أدق التوصيفات لنضال الجزائريين كما عبر عن مشاعر شعبه فهو يخوض معركة من أشرس المعارك فهو يرى أن واقع احتلال الجزائر له بمثابة نكبة

¹ - شريف الدين غنو: مسألة الذاكرة ضمن مؤرخين الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1900/1960م، اطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل . م . د)، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018/2019، ص 97 .

² - آمال معوشي : أحمد توفيق المدني : لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، مجلة البحوث التاريخية، مج 3، ع1، مارس 2019، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ص 202 .

عامة تقريبا ولم يكن نكبة على الشعب الجزائري وحده بل على الشرق بأسره وعلى الحرية في أقدس معانيها¹.

*المؤلف جمال قنان :

التعريف بالمؤلف جمال قنان : ولد سنة 1936م ببلدية قنطرات ببني يعلي ولاية سطيف تعلم القرآن الكريم في الكتاب ودرس تعليم الابتدائي في بلدته وبحلول 1952م التحق بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة تحصل على شهادة الأهلية 1955م، انخرط في صفوف الثورة الجزائرية أثناء تواجده بتونس²، أستاذ جامعي وهو من عائلة ميسورة الحال، انتقل إلى جامع الزيتونة 1955م لكن رغبته الأولى كانت تتمثل في الانتقال لجامع الأزهر الشريف بمصر وقبل أن يلتحق بصفوف الثورة قد التحق بصفوف حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج، تحصل على شهادة ليسونس في التاريخ³، كان جمال قنان من بين المتشعبين بالروح الوطنية وكأنه رضع من لبن الوطنية منذ ولادته فحالة أسرته الميسورة لم تجعل منه طفلا مدلا فقد ترك الدراسة وعمره 19 سنة من أجل الالتحاق بصفوف الثورة لجيش التحرير، لقد كان جمال قنان من المثقفين الأوائل الجزائريين، لقد كان من الشخصيات الوطنية التي حملت على عاتقها في تلك الفترة الحرجة مسؤولية الاستقرار والبناء والتشيد⁴.

¹ - صالح علواني : قراءة في كتاب هذه الجزائر للمناضل الجزائري والمؤرخ التأثر أحمد توفيق المدني، مجلة المورث، ع2، 2013، جامعة سوسة، تونس، ص61-62 . .

² - سعودي مراد : جهود جمال قنان في بناء مدرسة تاريخية من خلال كتابه قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مجلة الباحث، مج16، ع2، سنة 2024، بوج بوعرييج، الجزائر، ص872 .

³ - عبد القادر بوعقادة : المرجع السابق، ص684 .

⁴ - بوعزة بوضرياسة : رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، طبعة الجزائر العامة الثقافة العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص20-21-22 .

التحق جمال قنان بهيئة التدريس في قسم التاريخ بجامعة الجزائر لتكوين الأجيال اللاحقة وتلقيها معني الوطنية بكل أبعادها، أهم مؤلفات الكتاب دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر سنة 1994م ونأتي في مقدمة كتابه كان هدفه في إعادة الإعتبار لتاريخ الجزائر في جميع فتراته أما القسم الثاني فقسم إلى نضال الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال، والقسم الثالث خصص للكفاح السياسي أما الفصل الرابع والأخير فقد خصص للبناء الوطني ومواضيع كما أكد على أهمية الذاكرة الجماعية لأمتة حمايتها من الضياع¹، عمل الأستاذ جمال قنان على فضح حقيقة مدرسة الاستعمارية وعن التشويه والتضليل الذي وصفت به تاريخ الوطني².

* أهم مؤلفات جمال قنان :

* كتب/

- 1- معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر³.
- 2- العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830م.
- 3- نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م.
- 4- قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.
- 5- دراسات في المقاومة والاستعمار... إلخ

* المقالات /

- 1- النظام العالمي الجديد : مقارنة وضعية وضع الدولة الراهن، مجلة الدراسات التاريخية 1997م.

¹ - سعودي مراد : المرجع السابق، ص 878.

² - علال بيتور : المرجع السابق، ص 301.

³ - جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، روية، الجزائر، 2007، ص 9.

2- قنان جمال : المدرسة التاريخية الاستعمارية بين الأيديولوجية والموضوعية حول قضايا تاريخ الجزائر المعاصر .

3- المسائل الأفريقية في السياسة الأوروبية قبيل الحرب الكبرى، مجلة الدراسات التاريخية معهد التاريخ¹ .

*** يحي بوعزيز :**

نبذة عن حياته: عائلة بوعزيز أو آيت بوعزيز عريقة في العلم والثقافة وتتحدّر من نسل الشيخ الوالي الصالح الحسين بن الشيخ عبد العزيز ولد الأستاذ يحي بوعزيز إبن عبد الرحمن إبن الحسن بن الشيخ بلقاسم يوم 27 ماي 1929م بالجعافرة² بولاية بوج بوعريرج، تلقى علومه بجامع الزيتونة في تونس درس في القاهرة نال الإجازة هناك توج في مساره العلمي و التحصيلي تحصل على درجة الدكتوراه من جامعة الجزائر إشغل يحيى بوعزيز عضوية المجلس الإسلامي الأعلى كما اشتغل في التعليم العالي³ كما إشتغل أثناء إقامته في تونس في ميدان الصحافة ونشر العديد من المقالات والمجلات كما أشتغل أستاذا للتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة وهران حتى تقاعد عام 1996م كان عضو لإتحاد الكتاب الجزائريين واتحاد المؤرخين الجزائريين وأهم مؤلفاته : كتاب مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط . وكتاب روضة النسرين . في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين الموجز في تاريخ الجزائر وغيرها من المؤلفات .

¹ - بوعزة بوضرياسة: المرجع السابق، ص 29-30 .

² - حميد أيث جبوس : قراءة في المورد التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الحوار المتوسطي، ع7، جامعة تلمسان، ص 227 .

³ - سليمان قوراري : يحيى بوعزيز ودوره في إبراز إعلام الجزائر ومآثرهم مجلة رفوف، ع7، سبتمبر 2015، جامعة أدرار، الجزائر، ص 226 .

كما يعتبر يحيى بوعزيز أحد رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية توفي يوم الأربعاء 2007/11/7 في وهران عن عمر ناهز الثامنة والسبعين سنة¹.

*** أهم مؤلفات يحيى بوعزيز :**

*** من الكتب :**

1/ المراسلات الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني 1798/1780م، ديوان المطبوعات الجامعية .
الجزائر 1993م .

2/ مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة، ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر 1986م .

3/ مواقف العائلات الأرستقراطية من الباشا أغا المقراني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1994م .

4/ كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب .

5/ الاتحاد اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912-1948م، ديوان
المطبوعات الجامعية الجزائر 1991م².

¹ - عبد القادر بوباية : إسهام الدكتور يحيى بوعزيز في التأريخ للجزائر في العصر الوسيط: الموجز في تاريخ
الجزائر نموذجا، مجلة عصور الجديدة، ع13، أبريل 2014، جامعة وهران، ص215 .

² - محمد بوشنافي: أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الناصرية للبحوث
الاجتماعية والتاريخية، ع1، 2011، جامعة جيلالي الياس، سيدي بلعباس، ص ص 37-38 .

المبحث الثاني: نماذج من الكتابات المحلية

شكلت الكتابات المحلية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر مرجعا مهما لفهم واقع الحملة الفرنسية من زاوية نظر داخلية، تعبر عن وعي النخبة والمتقنين وحتى العامة بطبيعة الاحتلال، وقد تنوعت هذه الكتابات بين الشهادات الحية، واليوميات التاريخية، والتحليلات السياسية، مما جعلها مصادر لا غنى عنها في دراسة النظرة الوطنية للحملة الفرنسية، ومن بين هذه الكتابات نخص بالذكر ثلاثة مؤلفين بارزين هم حمدان بن عثمان خوجة، وأحمد باي، وبوضرسة، الذين وثّقوا بأساليب مختلفة أحوال الجزائر قبل وأثناء وبعد الاحتلال الفرنسي.

1. عثمان بن حمدان خوجة وكتابه "المرآة":

1-1. المولد والنشأة:

يعتبر حمدان بن عثمان خوجة من أهم الشخصيات السياسية التي أثرت في الحياة الوطنية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، هو كرغلي الأصل من أب تركي وأم جزائرية، وهو ما أكده بقوله: "أنا الكرغلي بالذات كنت مستشارا في حكومة الداوي ووالدي لم يكن من الحضر الأندلسيين"¹، ولد سنة 1773م بالجزائر العاصمة²، وترعرع فيها، وهو ينسب إلى حضر الجزائر. وكان ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة كانت تملك الأراضي الشاسعة والمحلات التجارية في مختلف أنحاء العاصمة³. وتذكر المصادر أن

¹ -حميدة عميراوي: حمدان خوجة-حياته وآثاره-، مجلة الثقافة، ع 90، ديسمبر 1985، ص97.

² -محمد العربي الزبيري: حمدان خوجة-أصله ونشأته وثقافته-، مجلة المجاهد الأسبوعي، ع 632، ديسمبر 1972، ص24. وكان سكان الجزائر في العهد العثماني منقسمين إلى ثلاث طبقات: جزائري ولد البلد، كرغلي، وبراني. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، 477/2. بينما قسمها الأستاذ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، 258/1. إلى سكان أصليون؛ طبقة تركية، الكراغلة، والمهاجرين الأندلسيين.

³ -حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تق وتو محمد العربي الزبيري، ط2، الجزائر، 1982، ص11.

والده كان من منطقة تركية يقال لها "بودر"، لكن المعلومات المتوفرة عن والده قليلة، أما عن أمه فالمعلومات عنها أقل، وهي بنت أحد الخواجات وتدعى "خديجة بنت اسماعيل خوجة العيون"¹.

وقد ساعدت الظروف الاجتماعية حمدان خوجة على التعليم فقد كان والده من فقهاء الجزائر وأميناً عاماً للإيالة وكان المشرف على الحسابات الإدارية وسجلات أسماء ورتب الإنكشاريين كما كان عمه أمين بيت المال².

وقد أنهى حمدان خوجة المرحلة الأولى من تعليمه وهو في سن الحادية عشر، ليبدأ بعدها التعليم الثانوي تحت إشراف والده حيث تمكن من علم الأصول والتاريخ والمنطق والفلسفة، كما كان ملماً بتاريخ الجزائر وجغرافيتها، وكذا اللغات التركية والفرنسية والانجليزية، كما ساعدته رحلاته المتعددة إلى البلاد الإسلامية والأوروبية على غرار مصر وتونس وليبيا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا وإنجلترا في صقل شخصيته وفي تكوينه الأكاديمي والسياسي وقد قال عن نفسه: "عشت في أوروبا وتذوقت ثمرة مدينتها وأنا واحد من المعجبين بالسياسة المتبعة في كثير من الحكومات الأوروبية"³.

إن هذه الثقافة سمحت لحمدان خوجة بالإطلاع على ما يجري في أوروبا والعالم الإسلامي والإلمام بأحوالها والاتصال بشعوبها ومعرفة خبايا الأنظمة القائمة، كما أدت إلى تأثره بما رآه من تخلف في العالم الإسلامي إلا أنه توسم أن يرى يوماً العالم الإسلامي متفتحا متحضرا رافعا لشعار العلم والمعرفة.

¹- خليفة حماش: الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، إشراف فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 68.

²- عبد المجيد بن عدة: رائد المقاوم السياسية الحديثة في الجزائر السيد حمدان خوجة 1779-1845، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 03، مج 2، الجزائر، صص 8، 9.

³- يسمينة زمولي: الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر - حمدان بن عثمان خوجة ورافع الطهطاوي نموذجا -، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة 02، ع 41، جوان 2014، ص 34.

1-2. الوفاة:

توفي حمدان بن عثمان خوجة أحد أبرز الشخصيات الفكرية والسياسية في الجزائر خلال القرن التاسع عشر في مدينة اسطنبول بين عامي 1840 و 1845 بعد أن استقر هناك منذ عام 1836، ويُعتقد أن وفاته حدثت عام 1842 وفقا لبعض المصادر¹.

1-3. مؤلفاته:

1-3-1. المرأة: وهو أشهر مؤلفاته والذي وجهه إلى السلطات الفرنسية كما ضم الكتاب ملحقا من عدة وثائق جاءت كلها عن النتائج السياسية للاحتلال خلال السنوات الثلاث الأولى⁽²⁾ على شكل شكاوي واحتجاجات وعرائض نذكر منها: رسالة حمدان خوجة إلى الملك الفرنسي (لويس فيليب)، رسالة حمدان خوجة إلى مقر مجلس الدولة الفرنسية، عريضة من أعيان الجزائر إلى الملك الفرنسي، وثيقة تضم شهادات من عدة أشخاص تثبت بأن عظاما لأموات جزائرية نقلت إلى مرسيليا لاستعمالها في الصناعة³.

وقد أعلن حمدان خوجة في نهاية مؤلفه المرأة أنه سيؤلف جزءا آخر ولكننا لا نعرف إن حقق ذلك، ولعل خيبة أمله في لجنة التحقيق واستحالة عودته إلى بلاده في تلك الظروف قد قللت من عزيمته وجعلته يهتم بمصيره فلجأ إلى اسطنبول⁴.

وللإشارة فقد كان لصدوره صدى كبير في الأوساط الفرنسية حيث منعت إدارة الاستعمار الفرنسي ذكر اسمه بين المؤلفات وقوائم الكتب، فلا يذكر همسا ولا تكاد تجده ضمن البحوث أو الكتب

¹ - Yver Georges : Si Hamdane Ben Otman Khoja, revue Africaine, N^o 1913, p99.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص400.

³ - محمد الطيب عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، منشورات الجزائر، وزارة الثقافة، 2007، ص30.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص401.

التاريخية التي لها علاقة بتاريخ الجزائر إلا نادرا، فتراهم يشيرون إليه إشارة خاطفة وبغموض وإبهام¹. وأكثر من ذلك، فقد اعتبرت الحكومة الفرنسية حمدان خوجة المحرض الأول على الفتن في الجزائر معتبرة كتابه المرآة وثيقة خطيرة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر غيايبا، رافضة بذلك كل الشكاوي التي تقدم بها من قبل ولم تستجب حكومة الاستعمار الفرنسي لشكاوي الجزائريين الذين طالبوا بالكف عن تضيق الخناق عليه⁽²⁾.

1-3-2. اتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء: وهي رسالة في حفظ الصحة العمومية ألفها سنة 1252هـ وقدمها إلى السلطان العثماني محمد الثاني من أجل الوقاية من الأمراض وسبل معالجة بعض منها، مصدرا بقصيدة تحتوي على واحد وعشرين بيتا وكان الهدف من وراء هذا التأليف التمسك بعرى الوقاية والأخذ بمقابض الاحتماء من جيوش الوباء التي اجتاحت العالم الإسلامي³.

1-3-3. رسالة بعنوان حكمة المعارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان أبدع: وهي رسالة لم يقم أحد بتحقيقها وهي مازالت محفوظة في إحدى مكتبات اسطنبول، وهي عبارة عن اختصار لبعض الإمام الغزالي.

1-3-4. كتاب إمداد الفتاح لمؤلفه حسن الشرنيلاني: ترجمه من اللغة التركية إلى اللغة العربية مساهمة من حمدان خوجة لتوضيح المذهب الحنفي للجالية التركية في الجزائر⁴.

¹- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 259.

²- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، صص 39-41.

³- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 253/7.

⁴- محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 26.

1-4. منهج الكتابة:

إن قراءة متأنية لكتاب المرآة لحمدان خوجة تجعلنا نقرّ بروحه المتفتحة وبأفكاره الجديدة المدعمة بالحجج القوية وبقدرته الفائقة في مقارنة الحكومة الفرنسية بقوانينها⁽¹⁾، إذ يظهر من خلال كتابه مؤلفاً طويل النفس مهتماً بصفة بارزة بتاريخ الجزائر، وهو أمر منطقي في نظرنا، بدليل أنه من الصعب إن لم نقل على حمدان خوجة أو على غيره من المؤرخين الجزائريين أن يركزوا اهتمامهم على التاريخ الإنساني العام، في وقت كان فيه تاريخهم نفسه بحاجة إلى البحث والإحياء، لاسيما ونحن نعلم أن تاريخ الجزائر كان قد كتب وقتذاك وفي أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة، وهي وجهة استعمارية بحتة لا ريب، كلف بها المستشرقون في غالب الأحيان، لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها للقيام بهذا الدور الحيوي²، وهو الدور الذي قام به حمدان خوجة عندما استطاع تأليف كتابه المرآة في ظرف وجيز وبمنهج حديث يعكس مدى تطور الوعي التاريخي الجزائري لمؤلفه³.

إن المنهج الذي انتهجه حمدان خوجة يختلف عن مناهج المؤرخين الجزائريين الذين عاصروهم، فهو لم يتبع الطريقة الإسلامية في الاعتماد على الشواهد الشعرية ولا الأساليب القرآنية ولا الاعتماد على السنوات⁴، وذكر الدول والعهود بل اتبع طريقة حديثة تعتمد على انتقاء الموضوعات التي كانت تبدو اجتماعية واقتصادية وثقافية أكثر منها سياسية⁵.

¹- عميراوي حميدة: دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية 1827-1840، ط01، دار البعث للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987، ص74.

²- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954-النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية، النهضة التاريخية، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، صص207، 208.

³- عبد القادر بكاري: منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1519-1830، أطروحة دكتوراه، إشراف دحو فغرور، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، 2015-2016، ص299.

⁴- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 306/7.

⁵- عبد الحميد زوزو: حمدان خوجة ومنهجيته في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة الجزائرية، ع 04، أكتوبر، 1971، ص92.

ويمكننا تتبع خصائص منهجه في الكتابة التاريخية من خلال كتاب المرأة كما يلي:

✓ الاعتماد على مصادر أساسية في كتابه.

✓ الاعتماد على الأساليب المقنعة في التعريف بالقضية الجزائرية، فغالبا ما نجده يفتح كتاباته ومراسلاته بتذكير فرنسا بمبادئ ثورتها وقيمتها الإنسانية كالعدل والنبل والحرية، محاولا بذلك وضع فرنسا أمام الأمر الواقع، وهذا حتى يبين لقادتها وللعالم ككل مدى مخالفة السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لتلك المبادئ¹.

✓ الاعتماد على أسلوب المقارنة في التعبير عن الأحداث والكشف عن مواقفه تجاه النظام العثماني من جهة والاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، حيث عقد مقارنة بين نظام الحكم العثماني ونظام الحكم الفرنسي في الجزائر، إذ يكاد رأيه في العهد العثماني أن يكون سلبيا، وهو رأي معظم الجزائريين حينذاك، ولكن بالمقارنة مع ما ارتكبه الفرنسيون خلال الثلاث سنوات فإن حمدان خوجة ظهر مفضلا للحكم التركي حين قال مقولته الشهيرة: "اللهم ظلم الأتراك ولا عدل الفرنسيين"².

✓ الالتزام في كل ما عرضه ضمن كتابه المرأة بالدقة والصدق باعتبارهما أمران ضروريان في إقناع المتلقي، كما عمد إلى ترتيب المعلومات ومقارنتها مما أكسبها المنطقية وزاد في قربها إلى ذهن القارئ³.

1-5. نظرة إلى الحملة الفرنسية من خلال كتاب المرأة:

¹- حمدان خوجة: المرأة لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر، تع محمد بن عبد الكريم، دط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972، ص ص 257-268.

²- المصدر نفسه، ص 278.

³- فارس كعوان: المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962-مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري-، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2011-2012، ص 340.

يعتبر كتاب المرأة من الوثائق التاريخية التي فضحت جرائم الاستعمار في الجزائر، فهو وثيقة تاريخية سياسية شاهدة على كانت عليه الجزائر قبل الاحتلال وبعده ببضع سنين، فيصفه محمد بن عبد الكريم بأنه "مكتظ بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة والوثائق الأمانة التي تبرهن على أن فرنسا قد أظهرت عجزها على أن تمنح الجزائر ثمرة مدينتها...وبه شعور إنساني وإيمان راسخ وإخلاص وطني"¹.

ويصفه الأستاذ مرتاض عبد المالك² في "جنس أدب المذكرات في أطراف منه، وفي الاقتصاد والسياسة في أطراف أخرى، وهو في كل الأحوال يعالج أطوارا من المقاومة السياسية التي نهض بها أعيان مدينة الجزائر ضد الفرنسيين في الأيام الأولى من الاحتلال ومنهم حمدان خوجة".

فهو كتاب شامل جامع لما كانت عليه الجزائر ولما وصلت إليه بكل الحقائق التي يحتاجها أي إنسان أما خوجة فيلخص الدافع إلى كتابه المرأة في قوله: "إن أبناء الآلام التي يقاسيها أبناء وطني لتصل مسامعي من حين إلى آخر وهي التي دفعت بي أن أجدد شجاعة بعض التعساء منهم، وأنهض بمعنوياتهم الخاملة"³.

إذا فالدافع من وضع هذا الكتاب هو اطلاع الرأي العام الدولي عما يجري في الجزائر مبينا ما كانت عليه وما آلت إليه حتى وصفه عبد الرحمان الجيلالي⁴ بأنه أول بيان سياسي منذ السياسة الفرنسية في الجزائر.

صور المقاومة فيه للوهلة الأولى في المقارنة التي قدمها بين العهد العثماني وعهد الغزو الفرنسي للجزائر، فالجزائر رغم العيوب التي كانت بها إلا أنها كانت دولة ذات سيادة، فالحكم الذي جاءت به

¹ -مراد بوعياش: أعلام الجزائر-حمدان بن عثمان خوجة المواقف السياسية والقضية الوطنية-، مجلة الباحث، ع 3، ص121.

² -فارس كعوان: المرجع السابق، ص17.

³ -مراد بوعياش، المرجع السابق، ص122.

⁴ -فارس كعوان: المرجع السابق، ص40.

فرنسا جاء من أجل القضاء على مقاومات الشعب وخصوصيته لذلك كانت مقاومته عبر مراحل تواجهه في الجزائر.

وخلاصة القول أن حمدان خوجة ترك لنا من خلال كتاباته صورا حقيقية عن واقع عاشته الجزائر مع الاحتلال، فقد كان حقا كما يقول مرتاض عبد المالك¹ شخصية نزيهة وصريحة وشجاعة سجلت كل ما كانت تراه أو تسمعه أو تعلمه من الأحداث.

يوضح خوجة أن السبب المباشر للحرب كان المطالبة التي تقدمت بها أسرة بكري اليهودية للحكومة الفرنسية بشأن ديون قيمة تعود إلى الثورة الفرنسية²، يقول خوجة إن أحد الأسباب الأولى لهذه الحرب هو المطالبة التي تقدم بها بكري للحكومة الفرنسية فيما يخص ديون يرجع تاريخها إلى الثورة، ويضيف أن هذه المطالبة كانت بمثابة الفتيل الذي أشعل الحرب حيث استغلته فرنسا كذريعة للتدخل العسكري في الجزائر، ويشير خوجة إلى أن الخطأ الدبلوماسي الذي ارتكبه الداوي حسين آخر حكام الجزائر العثمانيين كان سببا رئيسيا في اندلاع الحرب وفي ذلك يقول: "لو أن الداوي كان قد عين في وزارة البحرية رجلا أهلا للمنصب لما وقعت الحرب".

ويبرر خوجة في كتابه التأثيرات السلبية للحرب على الجزائر حيث يشير إلى أن البلاد أصبحت مسرحا للأهوال والدمار بقوله: "لقد كنا نعتقد أن الأفكار التعصبية الضيقة قد نسيت في القرن التاسع عشر، وإن عصر تحرير الشعوب قد حان، وإنه أصبح من المحترم اعتبار سكان المعمورة أسرة واحدة"³.

وفقا لحمدان خوجة، قام الخزناجي بتدبير مؤامرة ضد الآغا يحيى من خلال تقديم تقارير كاذبة وشهادات زور، مدعيا أن الآغا يحيى يتآمر مع رؤساء القبائل ضد السلطة، ونتيجة لهذه الدسائس تم

¹ - فارس كعوان: المرجع السابق، ص 47.

² - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 139.

³ المصدر نفسه ص 139-146

عزل الآغا يحيى من منصبه ونفيه إلى البليدة¹، ليحل محله إبراهيم آغا صهر حسين باشا، الذي كان أقل كفاءة وفقا لحمدان خوجة، وكان إبراهيم آغا يتصرف بشكل غير مسؤول حيث كان يترك المعسكرات خالية من الجنود ولا يظهر أي استعداد لملاقاة العدو، وفي إحدى المرات خرج حمدان خوجة ليتفقد المعسكر فوجده خاليا مما يعكس غياب القيادة الفعلية².

بعد الهزيمة في معركة سطولي حيث فرّ إبراهيم آغا من الميدان تاركا الجيش خلفه، قرر حسين باشا عزله، ثم تعيين باي التيطري آغا خلفه، ولكن التغيير جاء متأخرا ولم يكن له تأثير كبير على مجريات الأحداث³.

بعد الهزائم المتتالية أرسل داي الجزائر وفدا للتفاوض على شروط الاستسلام وتوقيع معاهدة بين الطرفين تضمنت الشروط التالية:

- ✓ تسليم حصن القصبه وكل الحصون التابعة للجزائر بالإضافة إلى ميناء المدينة إلى الجيش الفرنسي في الساعة العاشرة صباحا.
- ✓ تعهد القائد العام للجيش الفرنسي بترك الحرية للداي حسين وحماية ثرواته الشخصية.
- ✓ منح الداى حسين حرية اختيار المكان الذي يرغب في السفر إليه رفقة عائلته وأمواله، مع ضمان حمايته وحماية أسرته.
- ✓ تعهد القائد العام للجيش الفرنسي بمعاملة الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة والحماية.
- ✓ ضمان حرية ممارسة الدين الإسلامي واحترام حقوق السكان بما في ذلك أملاكهم وتجارهم⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 37، 38.

² - المصدر السابق، ص ص 156، 157.

³ - أحمد بوزراع: دراسة عسكرية لمعركة سطولي يوم 19 جوان 1830، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 05، ع 02، جويلية 2023، ص ص 122، 123.

⁴ - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 171.

هذه المعاهدة التي وقعها الكونت دي بورمون وختمها حسين باشا، كانت بمثابة بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر¹، ورغم التطمينات في المعاهدة فإن الجيش الفرنسي انتهك معظم الشروط، حيث انتهبت البيوت والمساجد والأسواق، ودمرت المعالم الإسلامية، واعتدي على السكان بالعنف والسرقة، كما انتهكت حرمة النساء. ويصور خوجة الاحتلال على أنه عملية همجية أكثر منها عسكرية ويستتكر بشدة غدر الفرنسيين بالاتفاقيات الموقعة².

يبين حمدان خوجة في كتابه المرآة ثلاثة أوجه لفرنسا:

أولاً/ الوجه الدبلوماسي: تجلّى من خلال تصرف قنصلها الدائم في الجزائر السيد دوفال، في البداية حاول هذا الأخير كسب ود الداوي حسين، ودخل في منافسة مع القنصل البريطاني على نيل ثقته، حتى اضطر الداوي إلى تخصيص أيام استقبال متساوية لكليهما، غير أن الأمور تغيرت مع تصاعد أزمة الديوان التي كانت فرنسا تطالب بها دوفال فيتصرف بعجرفة واستعلاء بعيدين عن الأعراف الدبلوماسية³.

ثانياً/ الوجه العسكري: عندما دخل الجيش الفرنسي إلى الجزائر كشف الوجه العسكري الحقيقي لفرنسا كما يصوره حمدان خوجة، حيث ارتكب الجنود الفرنسيون فضائح مروعة ضد السكان، فقد تجاهل الجيش كل العهود والاتفاقيات التي أبرمت في ساحة الجزائر، وشنّوا هجوما دمويا على المدينة أسفر عن مجازر مروعة حيث يروي حمدان خوجة⁴ بحسرة درجة الوحشية التي وصلت غلى حد تقطيع أئداء الرضع وهو في أحضان أمهاتهم، وانتشر النهب في كل الأنحاء.

¹ - المصدر نفسه، ص 171.

² - أحمد بوزراع: الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 -دراسة عسكرية-، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 04، ع 03، جويلية 2022، ص100.

³ - عبد القادر بوعرفة: صورة فرنسا الكولونيالية-قراءة في أطروحات الرحالة الجزائري حمدان خوجة-، مجلة الاستغراب، ع 20، 2021، ص219.

⁴ -المصدر السابق، ص216.

ثالثاً/ الوجه الحضاري: الذي وجده خوجة وعائنه بباريس خاصة، فلقد اكتشف في فرنسا دولة قوية ومنظمة تنظيماً جيداً، فحمدان خوجة يبدي إعجابه بالنظام السياسي والقانوني الفرنسي، ولكن في الوقت نفسه يبين أنه نظام لا يخالف روح الإسلام، وإنما العيب يعود إلى الساسة المسلمين الذين تخلوا عن الدين ونظامه¹.

إن نظرة خوجة إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ كثيراً ما إلى أن عمله في مهمات لفائدة الفرنسيين يمثل شكلاً من أشكال التعاون أو التواطؤ مع السلطات الفرنسية ومن أسباب ذلك ما كان يثبته خوجة نفسه في مراسلاته وشكواه إلى الفرنسيين، من خلال أيضاً ما أثبتته ابنه علي رضا أفندي في مواضيع مختلفة، ولقد أقرّ خوجة في عبارة صريحة في أولى مراسلاته إلى الباب العالي، بأن ما حل بالجزائر مصيبة لم يشهد التاريخ مثلاً طوال سبعة آلاف سنة، إذ يقول: "لم يقع طوال سبعة آلاف سنة من تاريخ البشرية ظلم مثل هذا الظلم"، ويوضح أن ظلم الاحتلال الفرنسي للجزائر لم تر الإنسانية مثله، ويبدو هنا موقفه واضحاً هو رفضه الاستكانة أو الخضوع للفرنسيين، ومن مظاهر رفضه عدم تسليمه بالاحتلال الفرنسي للجزائر ويتجلى ذلك في المراسلة الأولى إلى السلطان محمود الثاني كثيرة منها رجاؤه بتدخل من أجل حل المسألة الجزائرية ولا يترك الأمر للفرنسيين².

* التعريف بشخصية أحمد باي:

¹ -المصدر نفسه، ص 92.

² -خير الدين سعيدي: أضواء جديدة على مواقف حمدان خوجة من المسألة الجزائرية من خلال مراسلتين إلى الباب العالي 1834-1835، مجلة أسطور، ع 21، يونيو 2024، ص 219.

إن حياة الحاج أحمد باي معروفة إلى حد ما وغنية وخصبة وجديرة بالاعتبار، ولد حوالي سنة 1786 لأبيه محمد الشريف بن الباي أحمد القلي الذي حكم قسنطينة حوالي خمسة عشر عاما، وأمه رقية ابنة الحاج ابن قانة رأس العائلات الصحراوية الكبيرة، وشيخ من أبرز شيوخها شيخ العرب¹.

نشأ أحمد باي في بيت أخواله على حياة البداوة، حيث تعلم الفروسية وتدريب على القتال مما جعله رجلا حاسما وشجاعا لا يعرف التردد على اتخاذ القرارات، هذه الصفات جعلت الإيالة تعينه خليفة لباي قسنطينة وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره، وأثناء ممارسته لمسؤولياته أظهر أحمد باي مهارة كبيرة وخبرة واسعة في إدارة شؤون الحكم، مما أكسبه ثقة الأهالي وضمان تعاونهم، وعندما وقع خلاف بينه وبين رئيسه وأمر الأخير بحبسه، وجد أحمد باي نفسه يحظى بمساعدة أعيان المدينة والبايلك بصفة عامة، مما مكنه من مغادرة المكان والتوجه إلى العاصمة بسلام².

أما جده أحمد القلي فكان بايا على قسنطينة في الفترة ما بين 1756 و1771، وتولى مكانه أحمد باي القلي الذي انتزع الفرنسيون البلاد من يده وقد انضم إليه أحمد باي وابن عمه محمود بن محمد باي، وكان أحمد باي رجلا عاقلا وصالحا، فأشفق عليهما وأدرك كيف يكونان عوناً له في الأمور، فوسع لهما في المجال، وشكر جهودهما كثيرا³.

وبعد مقتل والده انتقلت الحاجة شريفة مع ابنها إلى عمق الصحراء الجزائرية، وفي هذه المرحلة تلقى أحمد باي تعليمه الأولي في الكتاب، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه الإسلامي، مما جعله متمكنا من أدوات الدين واللغة، في مجتمع تشكل فيه الثقافة الإسلامية مرجعية أساسية للشرعية السياسية والاجتماعية، وفي سن الثانية عشرة سافرت به والدته إلى مكة المكرمة لأداء

¹ - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 138، 139.

² - بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)، دط، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص ص 183، 184.

³ - الحاج أحمد بن المبارك بن العطار (1790-1870): تاريخ بلد قسنطينة، تح عبد الله حمادي، دط، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص 135.

فريضة الحج، وقد مرّ خلال هذه المرحلة بمدينة القاهرة وهناك أقام لفترة ليست بالقصيرة، اطلع خلالها على إصلاحات محمد علي باشا التي كانت في بدايتها آنذاك، وقد تركت هذه الإقامة أثرا بالغا في فكر أحمد باي، إذ فتحت له آفاقا جديدة حول إمكانية بناء دولة إسلامية حديثة تعتمد على القوة العسكرية والتنظيم الإداري الفعال، فهذه الرحلة ليست مجرد تجربة روحية، بل كانت مناسبة لتوسيع أفقه السياسي والثقافي¹.

عُيّن مرة أخرى قائدا للعواسي، حيث استمر في هذا المنصب حتى سنة 1815، ما يدلّ على استقرار موقفه العسكري والإداري طوال عقد كامل، وبعد هذه الفترة عُيّن خليفة للباي لدى كل من أحمد المملوك وإبراهيم العربي، وظل يشغل هذا المنصب إلى حين صعود إبراهيم القريّتي إلى الحكم سنة 1822، إلا أن علاقته بهذا الأخير لم تكن على ما يرام، حيث اتهمه القريّتي بالتواطؤ مع باي تونس، وهو ما أدى إلى عزله، ويدل ذلك على احتدام الصراعات داخل صفوف النخبة العثمانية الحاكمة، خاصة في سياق تراجع سلطة الباب العالي مقابل تصاعد القوى المحلية، بل لم يركن أحمد باي إلى الخمول بل واصل بناء تحالفاته بصمت، مما سيؤهلّه لاحقا للعودة القوية إلى سدة الحكم².

2. نظرة أحمد باي إلى الحملة الفرنسية من خلال مذكراته:

شكلت الحملة الفرنسية على الجزائر في نظر أحمد باي تهديدا مباشرا للسيادة الإسلامية على البلاد، واعتداء سافرا على الأرض والدين، وهو ما انعكس بوضوح في مذكراته، إذ عبر عن استنكاره للعدوان الفرنسي واعتبره نتيجة لتحالف الخيانة والتواطؤ داخل بعض الدوائر العثمانية من جهة، وضعف الدولة المركزية من جهة أخرى، وقد عبر أحمد باي عن وعيه المبكر بخطورة التغلغل

¹ -فلاك أنيسة: رحلة الحج الميمونة لأحمد باي آخر حكام العثمانيين بالجزائر من خلال جدارية متحف قصر الباي بقسنطينة، مجلة العصر، مج 01، ع 04، فيفري 2020، ص53.

² -نجاة دحدوح، فيصل نايم: مسكوكات أحمد باي-دراسة أثرية تحليلية-، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 08، ع 01، جانفي 2025، ص163.

الفرنسي حينما كتب قائلاً: "وصل إلى سمعي أن النصارى أعدوا عدّتهم وأقبلوا بأساطيلهم نحو الجزائر، فعلمت أن المقصود هو القضاء على الإسلام وأهله"¹.

هذا الإدراك لنية الفرنسيين لم يكن عابراً، بل حوّل أحمد باي إلى تعبئة شاملة، حيث قام بتحسين قسنطينة وتنظيم القبائل، وسعى إلى إرساء إدارة عسكرية محلية استعداداً للمواجهة ففي مذكراته يبرز كيف بدأ في تجهيز قواته العسكرية وتكوين جيش نظامي قائم على الولاء الديني والوطني، مستفيداً من خبراته السابقة وملاحظاته خلال زيارته إلى مصر في عهد محمد علي باشا².

منذ نزول القوات الغازية بسيدي فرج سنة 1830 لم يتعامل أحمد باي مع الأمر كحدث عسكري منفصل، بل كجزء من المشروع الاستعماري الأوروبي يستهدف القضاء على الحكم الإسلامي في شمال إفريقيا، فقد كتب في بداية مذكراته: "لقد رأيت أن الفرنسيين لا يريدون فقط حكم الجزائر، بل يسعون لاجتثاث دينها ومحو وجودها كبلد مسلم تابع للخلافة العثمانية"³.

لقد عكست مذكرات أحمد باي رؤية استراتيجية واعية لحقيقة الحملة الفرنسية على الجزائر، حيث لم يكن أحمد باي يعتبر هذا التدخل العسكري مجرد حملة عسكرية اعتيادية، بل اعتبره مشروعاً استعمارياً امبريالياً يستهدف اجتثاث الهوية الإسلامية وتدمير الحكم العثماني المحلي في الجزائر، وقد بدأ واضحاً منذ الصفحات الأولى في المذكرات إدراكه العميق لطبيعة هذا العدوان، إذ يذكر أن العدو النصراني جمع قواته والتوجه إلى سواحل الجزائر بأعداد لا تحصى، سفنهم كانت تغطي البحر، وعزمهم كان على محو الدولة الإسلامية من هذه الأرض⁴.

¹- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرسة، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 5.

²- المرجع السابق، ص 6.

³- المرجع نفسه، ص 32.

⁴- المرجع نفسه، ص 37.

ويؤكد العديد من المؤرخين أن الحملة الفرنسية كانت مخططاً طويل الأمد سبق حادثة المروحة الشهيرة، فقد بدأت فرنسا منذ أواخر القرن الثامن عشر في احتلال الجزائر كجزء من إستراتيجيتها المتوسطة، وهو ما تؤكد الدراسات الحديثة مثل دراسة بن يوسف بن خدة¹ التي توضح أن فرنسا كانت تبحث عن مخرج لأزماتها الداخلية من خلال التوسع الامبريالي.

هذا الإدراك المبكر لخطر الحملة دفعه إلى اتخاذ خطوات استباقية، حيث بادر إلى التحصين والتنظيم، فأعاد ترتيب قوات العسكر في قسنطينة، وبدأ بتقوية التحصينات وتجنيد الرجال من القبائل، ويشير في هذا السياق إلى أنه "منذ سماعي بنزول العدو في سيدي فرج، بادرت إلى عقد الاجتماعات مع أعيان قسنطينة، وأعدنا الرجال والسلاح، وحرص الناس على الجهاد في سبيل الله².

وقد أبدى أحمد باي قلقاً واضحاً من هشاشة الجبهة الداخلية خاصة في العاصمة حيث لاحظ علامات الخيانة والانقسام بين بعض مسؤولي الدولة، وهو ما ساهم في تسريع السقوط، إذ يكتب بأسى بالغ: "إن تسليم العاصمة لم يكن بسبب تفوق العدو وحده، بل بعض القلوب قد فسدت، وبعض النفوس خانت، والرجال الذين كان ينبغي أن يكونوا حماة الوطن تراجعوا وتخاذلوا"³.

ولم يكن أحمد باي غافلاً عن الفارق العسكري بينه وبين الفرنسيين، فقد عبر بوضوح عن تفوق العدو من حيث التنظيم، إلا أن ذلك لم يدفعه للاستسلام أو التخلي عن واجبه في المقاومة، بل رأى أن السبيل إلى المواجهة يكمن في الاعتماد على الإرادة الشعبية، واستخدام التضاريس الجبلية والموارد المحلية، يقول في هذا السياق: "لم يكن عندي من السلاح والرجال ما يكافئ ما عند العدو، ولكنني اعتمدت على قوة الإيمان بالله، وعلى ولاء شعبي، وقررت أن تكون الجبال هي الحصون، والسهول ميادين القتال"⁴.

¹ -أوروبا والاستعمار في شمال إفريقيا، دط، دار الأمة، الجزائر، 1980، ص33.

² -محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص54.

³ -مالك بن نبي: فكرة الإفريقية الآسيوية، دط، دار الفكر، دمشق، 1983، ص67.

⁴ -محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص12.

كم بين أحمد باي في مذكراته أنه كان يرى في الاحتلال الفرنسي تهديدا للعقيدة والدين، قبل أن يكون تهديدا سياسيا أو اقتصاديا، وهو ما يتضح في خطابه الذي طغى عليه الطابع الديني والتعبدى إذ كتب يقول: "هم الفرنسيون ليس فقط حكموا البلاد بل محورا الدين الإسلامي وإخضاع المسلمين لحكم الصليب". لذا فقد حرص على توظيف الخطاب الديني لحث الناس على القتال، وأعاد ربط المقاومة بالجهاد.

وقد أكد كذلك أن الوضع السياسي العام في الجزائر، وخاصة الاضطرابات داخل جهاز الحكم العثماني وضعف الدايات ساهم في تمكين الفرنسيين من التوغل، مشيرا إلى أن مقاومته جاءت في وقت متأخر بعدما انهارت الجبهة المركزية في العاصمة لكنه حرص على التأكيد أن قسنطينة واقفة كالطود مدافعة عن الدين والعرض والوطن، وقد واجهنا الفرنسيين وصدينا هجومهم في أكثر من مرة¹.

وقد بلغ به الإحساس بالواجب والمسؤولية الوطنية أن رفض الاستسلام حتى بعد الانهيار الكامل للسلطة العثمانية بالجزائر، وأصر على مواصلة المقاومة ولو بشكل منفرد، كحاكم محلي ملتزم ببيئته للسلطان العثماني في البلاد، وسأقاتلهم إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا².

وفي سياق مذكراته لا يكتفي أحمد باي بوصف الحملة الفرنسية من منظور جزائري بل يظهر إدراكا للتوازنات الدولية في تلك الفترة، متحدثا عن التواطؤ الأوروبي مع الفرنسيين، والصمت العثماني، وتراجع العالم الإسلامي عن دعم الجزائر، وبهذا يظهر وعيه السياسي الشامل بأن الاحتلال الفرنسي كان جزءا من منظومة استعمارية متكاملة تستهدف العالم الإسلامي برمته.

3. نظرة أحمد بوضربة للحملة الفرنسية من خلال مذكراته:

3-1. مولد ونشأة أحمد بوضربة:

¹-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص32.

²-العربي الزبيري، المرجع السابق، ص42.

يمثل بوضرية إحدى الشخصيات المثيرة للجدل في تاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، لكونه نموذجا معبرا عن فئة من النخب المحلية التي انخرطت في المشروع الكولونيالي الفرنسي، إما بدافع المصلحة أو نتيجة التنشئة الثقافية المزدوجة التي تعرضت لها من ظل منظومة التعليم الاستعماري.

ولد بوضرية سنة 1823 بمدينة مرسيليا، لأم فرنسية وأب جزائري يدعى أحمد بوضرية وهو من أعيان مدينة الجزائر، وقد عرف بثرائه ومكانته التجارية خاصة في علاقاته الوثيقة مع النخب الفرنسية بمدينة مرسيليا، حيث كان يتردد باستمرار لأغراض تجارية، الأمر الذي مكنه من لعب دور في مفاوضات الداي حسين مع الفرنسيين قبيل الاحتلال نظرا لكونه أحد وجوه البرجوازية الجزائرية التي تعاملت تجاريا مع فرنسا⁽¹⁾.

برز أحمد بوضرية كشخصية جزائرية مؤثرة ومعقدة خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، يرجع أصله إلى عرب الأندلس، وهو نموذج للتاجر المدني المتعلم الذي عايش تحولات سياسية كبرى، ينتمي بوضرية إلى فئة "الحضر" في المجتمع الجزائري، أي نخبة المدن، وكان من التجار الميسورين الذين تمتعوا بمكانة اجتماعية مرموقة، اتسمت علاقته بالحكام الأتراك قبل الاحتلال الفرنسي بالتوتر، لكنه كان راضيا بوضعه الاقتصادي والاجتماعي، عاش فترة في مدينة مرسيليا الفرنسية حيث مارس التجارة وتزوج من امرأة فرنسية، مما أتاح له التعرف على اللغة والثقافة الفرنسية عن قرب، لكن تعرضه للإفلاس المالي هناك اضطره للعودة إلى الجزائر، حاملا معه خبرات ومعارف أهلته لأن يكون وسيطا بين مجتمعه وبين الفرنسيين لاحقا⁽²⁾.

وكان بوضرية من المعجبين بالثقافة الفرنسية، متقنا للغتها، ومتفتحا على قيمها الفكرية، وقد انعكست هذه النزعة على خبراته التربوية تجاه ابنه إسماعيل، إذ كان من بين أوائل الجزائريين الذين سعوا إلى إدماج أبنائهم ضمن المدارس الفرنسية بعد احتلال الجزائر، ويشير المؤرخ أبو القاسم سعد

¹ -أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص153.

² -عابدة سلطان، قراءة في خصائص تجار مدينة الجزائر سنة 1830 : حمدان خوجة وأحمد بوضرية أنموذجا، مجلة الناصرية، مج 02، ع 01، 2012، ص342.

الله⁽¹⁾ إلى أن عائلة بوضرية كانت من أوائل الداعين إلى التعليم باللغة الفرنسية، معتبرا إياها إحدى العائلات النموذجية في فئة المثقفين الاندماجين وهي الفئة التي رأت أن السبيل إلى البقاء والنفوذ في النظام الجديد يمر عبر الانخراط في مؤسسات الدولة الفرنسية وتبني لغتها وثقافتها

3-2. موقف أحمد بوضرية من الحملة الفرنسية:

في مستهل عرضه لموقفه من القضية الجزائرية لم يخفي أحمد بوضرية مرارته من الطريقة التي استهل بها الاحتلال الفرنسي، حيث قال بصريح العبارة: "الاستيلاء بالقوة والعنف، وإقامة نظام السيف، والاضطهاد الرامي إلى طرد الأهالي وتقتيلهم ونهب أملاكهم"². إن هذا القول الجريء يعكس شعورا داخليا بالغضب والاستنكار إزاء الممارسات الاستعمارية لكنه في الوقت نفسه لا يتوقف عند النقد بل يتقدم بمقترحات بديلة يراها أكثر عدلا وإنصافا سواء للفرنسيين أو لأبناء وطنه.

أحمد بوضرية لم يكن من أولئك الذين يختارون المواجهة الصدامية، بل آمن كما يصرح أن الحكم بالعدل والاعتدال والصرامة هو الخيار الأكثر نفعاً لفرنسا والأكثر توافقاً مع مبادئها المعلنة لذلك. وقد أعلن صراحة أنه لا يرغب في مناقشة السياسات المرتبطة بالعنف أو التهجير، بل سيسهم فقط في عرض ما يخدم النقطة الخامسة التي تمثل في نظره الحل الأعدل والأكثر عقلانية³.

سعى أحمد بوضرية في إطار تصوره للإدارة الفرنسية العادلة إلى بناء نموذج مؤسساتي تشاركي يراعي التعدد الثقافي والديني، ولكنه في الوقت نفسه يبقى ضمن شروط السيادة الفرنسية التي لا ينازعها فيها أحد ويمكن اعتبار طرحه امتداداً لتوجهات إصلاحية شبيهة بما دعا إليه لاحقا بعض

¹-المرجع السابق، ص228.

²-العربي الزبيري، المرجع السابق، ص172.

³-ناصر الدين سعيديوني: منطلقات آفاق ومقاربات مواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 02، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص47، 48.

المفكرين الجزائريين في أواخر القرن التاسع عشر، كالأمير خالد الذي طالب بتمثيل المسلمين في المجالس البلدية ضمن حدود القانون الفرنسي¹.

"إن الجزائر قد سقطت في أيدي الفرنسيين ليس بقوة الحق، بل بعنف القوة"²، هكذا استهل أحمد بوضربة مذكراته، مشيراً إلى أن الحملة الفرنسية على الجزائر كانت نتيجة للاستيلاء بالقوة، وأن ما جرى ليس إلا نهبا لأراضي الأمة وممتلكاتها، وأثراً مدمراً على هويتها وثقافتها، ورغم ما يراه من ظلم وتهجير إلا أنه لم يغفل عن أهمية البحث عن حلول واقعية تتجاوز الصراع المباشر مع المستعمر وذلك من خلال دعوته إلى عدالة تحتسب لصالح الطرفين³.

من جهة أخرى، يوضح بوضربة أن السلطات الفرنسية لعبت دوراً محورياً في تنظيم الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، ففي مقترحاته الخاصة بالزراعة والصناعة، يشير إلى أن كل فرد يختار شيئاً في ميدان الصناعة أو الزراعة ينعم مدة عشر سنوات بالامتيازات التي تخولها له إجازته⁴، هذا الاقتراح يعكس فهمه لضرورة تشجيع المبادرة الفردية وتعزيز الاقتصاد المحلي ضمن حدود ما يفرضه الواقع الاستعماري.

إلى جانب ذلك، أشار بوضربة في مذكراته إلى ضرورة معالجة الصورة السلبية التي يحملها الجزائريون عن الفرنسيين بسبب تصرفات بعض الاستعماريين غير المتزنين حيث قال: "الأهالي الذين لم يعرفوا الفرنسيين إلا في الجزائر قد أخذوا فكرة سيئة عن هذه الأمة العظيمة، وذلك لأن معظم الفرنسيين الذين جاؤوا إلى هذا البلد ليسوا من ذوي الأخلاق"، هذه الكلمات تعكس قلقه من التأثير السلبي لتصرفات بعض الفرنسيين على الرأي العام الجزائري، معتبراً هذه الصورة تحتاج إلى تصرفات عادلة وصادقة من قبل الاحتلال.

¹ - عبد الرحمن حفيظ: تطور الفكر الاصلاحي في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2002، ص 127.

² - العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 173.

³ - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 122.

⁴ - العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 180.

المبحث الثالث: موقف الكتابات الجزائرية من كتابات الأجنبية الفرنسية

أولاً : بدايات الكتابات التاريخية الوطنية ودورها في مواجهة الكتابات الاستعمارية

كتبت أغلب الكتب باللغة العربية والقليلة بالفرنسية منبع هذه الكتابات يملؤها شعور وطني فكانت بدايات اليقظة كان في العشرينات الثلاثة الأولى من القرن 20، مثل كتاب حمدان خوجة وابن العنابي.

- عرفت المساهمة الوطنية في تاريخ الجزائر مرحلتين :

تميزت الأولى بإحياء التراث ونشر المصادر التاريخية الجزائرية وتراجم شخصيات ورحلات مثل هذه المرحلة أبي شنب 1869/1929م وأبو القاسم الحفناوي 1850/1942م صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف والدراية للفبرني 1910م ونزهة الأنظار للورتلاني 1908م وكتاب نحلة اللبيب لابن عمار 1920م، أما المرحلة الثانية للمساهمة الوطنية فقد بدأ مع بدايات الثلاثينات¹ أكد المؤرخون الجزائريون على المجتمع الجزائري كان منذ القدم كان يمثل الأمة تتميز عن باقي الأمم لها حدودها الجغرافية وتتمتع باستقلالها كما لها انتماء عربي إسلامي ولها دين ولغة رسمية كما اعتبروا أن المقاومات الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي كان مصدرها الوعي بأسس ومقومات الأمة، لقد كانت المدرسة الجزائرية أمام تحدي كبير في مواجهة الآثار المترتبة على ما خلفته السياسة الفرنسية في جميع المجالات كتسمية المناطق ومنظومة التعليم التي حاولت المدرسة الاستعمارية تشويهها كذلك إخلال المفردات العامية والفرنسية وألقاب العائلات، تعني أن المدرسة الوطنية صححت المغالط التي كتب بها تاريخ الوطن².

حاول المؤرخون الجزائريين توضيح التاريخ العريق للجزائريين دون إغفال أي مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر من طرف العديد من المشايخ والعلماء أمثال: الشيخ مبارك الملي، والشيخ ابن مريم

¹ - زرارة علي : المرجع السابق، ص ص 352/351 .

² - زرارة علي : مرجع نفسه، ص 351 .

التلمساني، والشيخ الحفناوي، هدف هذه المدرسة الوطنية الجزائرية إيضاح العديد من الحقائق التاريخية للجزائريين بناءً على تاريخ حافل بالأمجاد وذهنية يملأها الفكر التحريري¹، فقد سعى مؤرخو المدرسة التاريخية الجزائرية تقديم مفهوم الحركات الوطنية الجزائرية على أنها كل رد فعل ناتج عن إرادة شعب الجزائري لطرد المحتل وتختلف أشكال هذه المقاومة عسكرياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً².

ظهر عدد من المنادين لإنشاء مدرسة وطنية للتأريخ للحفاظ على التراث والموروث والذاكرة وإعطاء هوية لتوجه التاريخي بما يخدم التاريخ أولاً والعلوم ثانياً ومن بين المؤرخين الذين حققوا انطلاق المدرسة التاريخية الوطنية : أحمد توفيق المدني : 1899 - 1983 - الذي برز من خلال مؤلفاته العديدة على أنه رائد الكتابة التاريخية .

تعتبر الكتابات التاريخية المعاصرة بمثابة المرآة العاكسة لواقع الجزائر والجزائريين وأن هذه الكتابات ترمي في أساسها إلى بعض تاريخ أمجاد الأمن الجزائرية، لقد حاول أصحاب هذه الكتابات الوقوف بالمرصاد للكتابات الفرنسية التي تميزت بالأيديولوجية الاستعمارية رامية لاستهداف الوطنية الجزائرية وتاريخها³، وحسب مؤرخين المدرسة الوطنية أمثال: المدني والملي - سعد الله - بوعزيز - الزيري - الأشرف جمال قنان - سعدوني ، موقفهم من مسألة السيادة والوطنية واثبتوا تواجد الكيان الجزائري وسيادته قبل 1830م⁴، أبان الجزائريون من خلال كتابتهم على شجاعة الرد والتصدي للكتابات الفرنسية كما اعتبروا أن الوحدة الوطنية عامل مهم في بقاء كيان واستمرار الدول وإثبات وجودهم

¹ - زارقة علي : المرجع السابق، ص 356 .

² - يوسف دحماني: المؤرخون الجزائريون ومشروع كتابة الثورة الجزائرية: محمد حربي وعمار هلال نموذجين، مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، مج 12، ع 2، 2024، جامعة النعامة الجزائر، ص ص 32-33 .

³ - العربي عمر: الكتابات التاريخية المعاصرة ودورها في صون الوطنية الجزائرية " كتابات أحمد توفيق المدني نموذجا"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج 4، ع 2، جويلية 2023، جامعة تيبازة، ص 105 .

⁴ - فتح الدين بن أزواو : المرجع السابق، ص 427 .

التاريخي والحضاري، كانت تهدف الكتابات المعاصرة إلى إعادة التفكير في مقومات وحدتها واستعادتها من جديد، مع الاهتمام بالجانب الديني كعامل أساسي في الارتباط بالوطنية الجزائرية وهذا ما جعله محور اهتمام الكتابات التاريخية المعاصرة، كما ركزت أيضا الكتابات التاريخية على وحدة المصير والانتماء للوطن الواحد والوحدة اللغوية لأنها العامل الجامع بين الجزائريين على اختلاف أعراقهم وتنوع لهجاتهم¹.

ومهما تصور الكيان الجزائري كأمة متمثلة في دولة أو كأمة متمثلة في الشعب أو كمجرد وطن قومي موحد الكلمة فإن الجزائر توفر فيها عامل أساسي جعلها تصمد طيلة 130 قرنا أمام دولة إمبريالية قوية وترغمها على الرجوع للحق.

فلا يحق للمؤرخين الفرنسيين سواء من كان اتجاه استعماريا أو ليبراليا وكذلك لا يحق لرجال الثقافة الذين سجلوا بأقلامهم السيادة ملحمة هذا العنصر الجديد، والذين ضربوا صحفا عما تميزت به حركتهم من استهتار بالقيم الإنسانية أقوال لا يحق لهؤلاء أن ينكروا وجود الأمة الجزائرية².

فالكثير من المؤرخين الفرنسيين قد احتقروا الشعب الجزائري وكثيرا ما أهملوا الشهادات التي لا تتفق مع تصورهم لعظمة فرنسا أو لبطولة الشعب الجزائري³.

كما نجد مؤرخي مدرسة الوطنية أمثال محمد العربي الجبيري الذي اعتمد على منهج النقد التاريخي للوثائق في إثبات تمسك الجزائريين بمسألة السيادة كما توصل أيضا لكشف إحدى المغالطات مثل معاهدة التافنة وديميشال على أنها معاهدة ديميشال مزيفة حسب ما اكتشفه من خلال دراسته للوثيقتين فالمعاهدة الديميشال فسرت حسب ما جاء في النص الفرنسي لأن النص العربي مفقود وبعد جهد في

¹ - عبد العزيز الدوري: أوراق تاريخ وحضارة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص3.

² - مصطفى الأشراف: الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنيفة بن عيسى دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص12/7.

³ - مصطفى الأشراف: مصدر نفسه، ص13.

البحث في نسخ المطابقة لأصل العربي اكتشف تزييفا هاما شغل باعتراف الأمير عبد القادر بالسيادة الفرنسية لكن الأمير عبد القادر في الحقيقة لم يعترف في يوم من الأيام بسلطة فرنسا¹، كما يرى الزبيري أنه من الواجب من البحث والدراسة والتأريخ وقد تأسف لكون الجزائريين يدرسون يكتبون تاريخهم اعتمادا على ما كتبه ويكتبه المؤرخون الفرنسيون، كما انتقد المغالطات في ضبط المفاهيم والمصطلحات التي وردت في المؤلفات الفرنسية التي تخدم الأيديولوجية الفرنسية، كما اعتبر أن الكتابة التاريخية تبقى عرجاء لاعتمادها على الأرشفة الموجود في الدول الفرنسية، أكد العربي الزبيري على أهمية وضرورة تأسيس مدرسة وطنية جزائرية هدفها الخروج من المدرسة الفرنسية وإعادة قراءة التاريخ جديدة تعتمد على مبادئ علم التاريخ التي وضعها ابن خلدون².

كانت أولى الخطوات هي استعادة المرجعية التاريخية وإفتكاكها من قبضة الغربيين والمستشرقين، وتكذيب تفسيراتهم المعرصة فلقد أيقن بأن الجزائريين أولى وأحق من غيرهم بكتابة تاريخهم وتفسيره وتحليله³.

لقد وصف سعد الله أدبه من شعر ونثر لخدمة لقضايا الوطن والتعريف بالرجال العظماء حيث يقول : " أن الجزائر قبل كل شيء هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وهذا الوطن يؤمن بحضارة مجيدة ساهمت الجزائر نفسها في الدفاع عنها وتدعيمها "، وإن محاولة الفصل بين الجزائريين وأشقائهم التي قام بها الاستعمار لا يمكن أن تصبح نهائية، لقد أهتم سعد الله بكل ما هو جزائري فكر فني تحليله لتاريخ الجزائر كان يربطه بدائرة الحضارة العربية الإسلامية⁴.

¹ - محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999، ص13/12 .

² - سعيد جلاوي: نظرة محمد الزبيري لواقع المدرسة التاريخية في الجزائر من خلال المصادر المطبوعة والالكترونية، مجلة المعيار، مج13، ع1، جوان 2022، جامعة أكلي محند أو لجاج، البويرة، ص104 .

³ - فوزية برون : سعد الله حمل معه اللوح إلى أمريكا، القرآن الكريم .

⁴ - بن شيخ حكيم : الدكتور أبو القاسم سعد الله رائد المدرسة التاريخية الجزائرية وباعثها، المجلة المغربية للدراسات التاريخية، مج7، ع2، ديسمبر 2016، المدينة، الجزائر، ص69 .

لقد أرس سعد الله قواعد المدرسة التاريخية وساهم في بناء صرح التاريخ الوطني وبناء الدولة التاريخية الجزائرية وفق قاعدتين .

- قاعدة تاريخ الجزائر السياسي والعسكري المعاصر بتتبع مسار الصراع بين الجزائريين والفرنسيين خلال فترة الاستعمار الذي لم يدرس باستيعاب .

- وقاعدة أوسع لتاريخ الجزائر الثقافي الذي حاول من خلالها الكشف عن ميراث الثقافي الضخم الجزائريين عبر العصور، لقد نجح سعد الله في بناء أسس مميزة للمدرسة التاريخية الجزائرية في تخطط معالم المدرسة التاريخية الجزائرية ذات منهج عصري ولسان عربي ومضمون أصيل¹ .

ذكر سعد الله في إحدى مقالاته عن دور المؤرخ النزيه الذي يخدم وطنه بالكشف عن الحقائق قائلاً: " طالما تحدث المؤرخون عن الموضوعية وطالبوا بأن يكون المؤرخ مجرد في أحكامه بعيداً عن الأهواء والتأثيرات الخارجية بحثاً عن الحقيقة حيثما وجدها مصدر أحكامه مهما كانت قاسية ضد الذين يكتب عنهم أو ينتسب إليهم مستخرجاً حجم من النصوص والوثائق والآثار² .

حاول سعد الله التركيز على تاريخ بلاده وحاول الإلمام بتاريخ البشرية لوضع مقاربات تاريخية مشتركة مع وجهه الآخر في مجال التحقيق وتأصيل المادة التاريخية وتحويل المادة الخام الى كلمات معبرة عن حركة الشعوب التاريخية، أهتم سعد الله لكتابات الجزائريين خاصة في الفترة الحديثة وكشف عن أهمية تلك المصادر التي أرخت لتاريخ الجزائر³ كابوراس النصاري وأبن الفكون - الأغواطي - كما نجده يشاور كتابته بالموضوعية محاولاً نقد المصادر التي اتخذت منها معلوماته فنجد في الكثير من المرات يستشهد بما كتب أنصار المدرسة الاستعمارية في مقالات له عن تاريخ الجزائر ويتطرق

¹ - الدكتور محمد بلبل : المرجع السابق، ص296 .

² - مراد ورتاجي: معلمة تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله، مجلة المعيار، مج25، ع56، 2021، جامعة الجزائر3، ص979 .

³ - مريم خالدي: مساهمة أبو القاسم سعد الله في بعث التراث المخطوط، مجلة تاريخ العلوم، ع6، جامعة سيدي بالعباس، ص454 .

لمقاصد الكتابة عندهم ثم الكشف عن خباياها ففي مقال له حول منهج الفرنسيين نجده يتبع صيرورة هذه الكتابة عند العسكريين الفرنسيين والمؤرخين الأكاديميين لكن ينتقد بعضهم بشكل موضوعي¹.

أبو القاسم سعد الله كان من بين المدافعين عن اللغة العربية في الجزائر لأن فرنسا عندما خرجت تركت وراءها ألغاما لغوية في أنها أرادت أن تجعل للغة العربية لغة منافسة ألا وهي اللغة الفرنسية، فالفرنسيون شجعوا اللهجات العربية والليبرالية والدارجة من أجل القضاء على اللغة العربية وإحلال محلها الفرنسية فيقول سعد الله يجب علينا أن نسعى جميعا أن تكون لغتنا العربية تواكب ركب التطور العلمي والتطور التكنولوجي فجمود اللغة جمود لنا ووحدة اللغة وازدهارها حياتنا وازدهارنا نحن.

صرح أبو القاسم سعد الله بتصريح له معتزا بهويته الثقافية بمقاربة تاريخية ترتبط بالحاضر فيقول: "وقد كانت هذه الثقافة عربية وإسلامية اشترك فيها الجزائريون من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها وهذه ثقافة مهمة قيل أنها متقدمة أو منحلة هي نحن في ماضينا وهي التي نستمد منها اليوم ذاتنا وحقيقتنا"².

فلم نكن قبل سعد الله نفقه التاريخ إذا استثنينا المصادر والدراسات الفرنسية ذات التوجه الغربي في التاريخ نفقه فالحقيقة التاريخية امتزجت بالزيف والأباطيل من قبل المدارس والأقلام الأوروبية، لقد كنا ندرس تاريخ الجزائر من وجهة نظر واجهة ومن زاوية منفردة بالاعتماد على المراجع والمصادر الغربية ولاسيما الفرنسية ذات التوجه العنصري³.

كما يرى سعد الله أن بلدا كالجزائر تعرضت إلى امتحانات وشخصياته تعرضوا إلى هزات ومفاهيمه إلى تعديلات جذرية فيقول: "كنت وما أزال أعتقد أن المؤرخ الحق يجب أن يترك الزمن

¹ - الدكتور محمد بلبل : المرجع السابق، ص 56.

² - بوحسين جلول: أبو القاسم سعد الله وإسهاماته في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية من خلال مؤلفه تاريخ

الجزائر الثقافي، مجلة المعيار، ع خ، أبريل 2024، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، ص ص 14-15.

³ - يعقوب قادة: كتاب تريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله من الدراسات الثقافية إلى النقد الثقافي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مج 17، ع 1، 2023، جامعة ألكلي محند أولجاج، البويرة الجزائر، ص 809.

يعمل عمله في الأحداث التاريخية قبل تناولها بالدرس والتطليل فالبعد الزمني عنصر أساسي للوصول إلى الموضوعية الموجودة والنظرة الزمنية القصيرة للمؤرخ ولا سيما إذا كانت من مواطن عاش الأحداث وشارك في صنعها ستترج به في مآهة التفسير الشخصي والحكم الذاتي¹.

كما كانت نظرتة للكتابات التاريخية للجزائريين : يعتبر أن الكتابة في الجزائر معجزة وأن الشعب الجزائري يقرأ ولا يكتب ولا يدون حياته أنه شعب يخاف عن التاريخ ويقول " فأنا لم أقل أنه لا يقرأ إنما قلت لا يكتب أما القراءة والحمد لله فنحن شعب قارئ ومستهلك لأفكار، ولا ينقصنا الذكاء والفتنة لكن ينقصنا التعبير بالقلم"، كتاب التاريخ الجزائر الثقافي أزال فيها الستار عن صفحات مجهولة من تاريخ الجزائر الثقافي² وكشف لنا جانبا مهما من جوانب التاريخ الجزائري لولا سعد الله ما عرف أبناء هذا الشعب تاريخهم الثقافي ولا عرفوا أمجادهم القديمة .

ثالثا : إسهامات الشيخ مبارك الملي في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية

يعتبر الشيخ مبارك الملي من بين المؤرخين الجزائريين الذين ساهموا في تدوين تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، وكان من بين رواد المدرسة الجزائرية الوطنية الذين دافعوا عن تاريخ بلادهم مواجهين مؤرخين المدرسة الكولونيالية³.

اتخذ مبارك الملي منحى آخر تمثل في كتابة تاريخ وطني تتمازج فيه الأحداث التاريخية مع الوطنية المكافحة، لقد رسم الخطوط الأولى للتاريخ الوطني الجزائري في كتابة موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، نجد أن الملي اكتفى بترجمة ونقل معلومات المؤلفين الفرنسيين المعتمدين على الكتابات اليونانية والذاتية ومحاولة مزجها بالمعطيات الخلدونية حول الفترة اللاتنية .

¹ - حاج عبد القادر يخلف : مساهمة الشيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله في التاريخ للجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي الحركة الوطنية الجزائرية نموذجا، مجلة عصور جديدة، ع13، أبريل 2014، جامعة وهران، ص320 .

² - محمد الزاهي: المرجع السابق، ص81 .

³ - رشيد مياد : المرجع السابق، ص8 .

لقد أدى كتاب " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " الهدف الذي رسمه خدمة الوطن والعربية فقد شكل مرجعية هامة لمعرفة التاريخ الوطني¹ .

*مساهمة مبارك الميلي في كتابة تاريخ الجزائر :

لقد لعب دوراً هاماً في وضع أسس المدرسة التاريخية خاصة أنه رجل من رجال الإصلاح باعتباره من مؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، تميزت الكتابة التاريخ عنه بتمازج الأحداث مع المشاعر الوطنية، كما زامن تأليفه كتاب "الجزائر في القديم و الحديث" مع الاحتفالات الفرنسية بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر² .

رغم ابتعاده عن المنهج الأكاديمي لكن هذا لا يعني أن الكتابة التاريخية عنده تخلو تماماً عن المنهجية، فنجده يعتمد على أسلوب الاستقراء³ نظراً لتزامن الأحداث أيضاً التحكم الجيد في البناء الزمني يعني التحكم في تسلسل الأحداث والربط فيما بينهما والابتعاد عن الأحكام المطلقة في تناول لنتائج الأحداث كما كان يهدف من خلال كتابه إلى تحريك الهمم وبعث الشعور الوطني في نفوس الناشئة .

- استعمال الكتابة التاريخية لمحاربة النظام السياسي الاستعماري .

- تحسيس الجزائريين بدور وأهمية الكتابة التاريخية والتصدي للمدرسة الاستعمارية⁴ .

¹ - علاوة عمارة : الشيخ مبارك الميلي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع3، ديسمبر 2008، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص ص101/96 .

² - أحمد زاوي ورشيد مياي : منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين، الشيخ مبارك الميلي نموذجاً، مجلة الدراسات في التنمية والمجتمع، مج7، ع1، 2022، ص 66 .

³ - مراد قبالي : كتابة التاريخ الجزائر عند مبارك الميلي " شيخ المؤرخين "، مجلة روى تاريخية للأبحاث ودراسات المتوسطية، مج1، ع2، أكتوبر 2020، جامعة خميس مليانة، ص 11 .

⁴ - أحمد زاوي ورشيد مياي : المرجع السابق، ص 69.

إن تحليل تفاؤل الشيخ مبارك الملي لتاريخ الجزائري يكشف عن مسعى وطني واضح من أجل توظيف التاريخ في إيقاظ الشعور القومي كما ناقش أطروحة بعض المؤرخين الاستعماريين الذين يريدون ربط الماضي الجزائري بأوروبا تمهيداً لفرنستها .

سعى من خلال مؤلفاته إعطاء مضمون حي لفكرة الوطن الجزائري الذي تكون عبر التاريخ، ذلك المسعى الذي انتصر في النهاية على المسعى الاستعماري الذي أراد أن يتجاهل التكامل بين عهد ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام لقد دافع الملي عن وحدة التاريخ الجزائري وتصدى لأولئك الاستعماريين الذين حاولوا القضاء عليه¹ .

***مساهمة أحمد توفيق المدني في كتابة تاريخ الجزائر :** لقد بدأ مفهوم التاريخ بتطور مع نهاية الحرب العالمية² ومع الوعي الوطني والسياسية والبحث عن الماضي الجزائري تعبيراً عن رفض الاندماج وتغيب الذاكرة ويتمثل هذا التغيب الذي فرضه الفرنسيون عن طريق تعليم تاريخهم فقط وقطع الصلة بين الجزائريين وتاريخهم دعا المؤرخ إلى الالتزام الموضوعية في معالجة وأن تكون كتاباته تعبيراً صادقاً عن أحاسيسه المبنية على الإيمان والافتتاح بسير الأحداث عمل أحمد توفيق المدني على تأليف مؤلفات قيمة، فتحت أفاقاً عريضة وواسعة، اعتبر أحمد توفيق المدني أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء بما في ذلك تاريخهم فكأنهم بذلك يعيشون في ديار غير ديارهم وأرض لم تنبت آبائهم وأجدادهم أو كأنهم خلقوا على أرض مبتورة الأصل مجهولة النسب³ .

¹ - مبارك بن محمد الملي : تاريخ الجزائر في القدام والحديث، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص37 .

² - عبد القادر خليفي : أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899/1983م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بو الصفا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2007، ص101 .

³ - أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، ص5 .

- سعى أحمد المدني من خلال كتابة الجزائر الدفاع عن الأمة الجزائرية المسحوقة ورفع شعارات الهوية الوطنية (الإسلام ديننا - العربية لغتنا والجزائر وطننا)، كما ساهم في بلورة بعض المفاهيم ذات البعد الوطني التي كانت غائبة أو غائبة عن أذهان الجزائريين مثل: أرض الجزائر - الوطن - الأمة الجزائرية - الشعب، اعتماده على المنظور الوطني والحس الديني في كتابة مؤلفة " الجزائر" ¹.

- أهتم أحمد توفيق المدني كثيرا بالتاريخ الجزائر من أجل التأكيد على هويتها العربية والإسلامية ودحض أفكار الفرنسية القائمة على إمكانية إدماج الشعب الجزائري في الأمة الفرنسية، فأحمد توفيق المدني كان يهدف إلى دحض الأحكام التي أطلقها المؤرخون الاستعماريون على ماضي الجزائر فقد كانوا يعتبرون أن الجزائر بلا تاريخ ولا دولة ولا سيادة ولا وطن فكان أحمد المدني يغتنم الفرصة ويعبر عن رأيه الخاص في تاريخ الجزائر فقد كان يدعو إلى الوطنية والتحرر من الاستعمار الحديث، وإدانة الاستعمار القديم الروماني، وإظهار الشخصية ببلاد المغرب المتكونة من البربر والعرب، كما تضمنت كتابات أحمد توفيق المدني ردود فعل واضحة على أطروحات الفرنسيين ² : كما ألف كتابه الشهير " الجزائر " 1931م رد فعل على الاحتفالات المئوية الفرنسية الجارية، وقد حضي مؤلف هذا استحسان كبيراً من كبار المفكرين والمؤرخين على المستوى الداخلي والخارجي ³.

خامساً : إسهامات يحي بوعزيز في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية

سخر يحي بوعزيز روحه وقلمه ولسانه وجوارحه في خدمة الجزائر وتاريخها وهو بذلك يعتبر أروع الأمثلة وأصدقها في خدمة تاريخ المسلمين ونشر الحقائق ودحض الشبهات بالدليل والبرهان

¹ - موسم عبد الحفيظ: الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني " كتاب الجزائر نموذجاً "، مجلة الدراسات، مج3، ع2، 2022، جامعة مولاي طاهر سعيدة، ص596 .

² - بودلاعة رياض : الهوية الوطنية في خطاب رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحمد توفيق المدني 1899-1983م " أنموذجاً "، مجلة رؤية تاريخية لأبحاث الدراسات المتوسطة، مج4، ع1، جانفي 2023، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، ص ص292/230 .

³ - موسم عبد الحفيظ : المرجع السابق، ص519 .

التاريخي¹، كما ورد بوعزيز على أطاريح المؤرخين الفرنسيين في مقال خصصه لهذا الغرض، اعتمد فيه منهجية تعتمد على عرض هذه الأطاريح ثم نقضها بالحجج حتى يطلع القراء على الاتهامات الخطيرة التي وجهتها الكتابات الفرنسية للمقاومة الشعبية لإفراغها من محتواها الوطني، كما أشار لأطروحة التي اتهمت المقاومة الشعبية بالتعصب والعنصرية، وعدم القدرة على العيش مع الأجانب وتقيدتها بالأدلة التاريخية: مفادها العيش بمختلف الجاليات الأوروبية المسيحية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ولقرون في سلام وطمأنينة، خاصة الجالية الفرنسية، التي كانت تتمتع بكامل حقوقها الدينية والاقتصادية².

كما تطرق للدعاية الاستعمارية التي ربطت اندلاع المقاومات الشعبية بتردي الأوضاع الاقتصادية للسكان، يقول بعزيز في هذا الصدد لقيت روجا في أوساط المؤرخين الفرنسيين أمثال: لويس راين - وبليس - وشارل رشيار - وبول أزان وغيرهم، أنهم زعموا بأن المقاومات ليست وطنية كونها موجهة من جهات خارجية فقط سعى بوعزيز ومؤرخين إلى استرجاع السيادة في النزعة الوطنية الجزائرية بالنسبة لهؤلاء المؤرخين تولدت في خضم المقاومة المسلحة عقب الاحتلال مباشرة³.

لقد تمكن يحيى بوعزيز من الظفر بلقب مؤرخ الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال الوطني يعتبر أحد رواد المدرسة التاريخية الجزائرية التي بدأت إرهاباتها خلال العهد الاستعماري بظهور عدة محاولات لكتابة تاريخ الجزائر كرد فعل عما كتبه المؤرخون الفرنسيون غير أن هذه المدرسة لم تحتسب معالمها إلا بعد الاستقلال فسعت إلى كتابة تاريخاً وطنياً بكل مراحله وفق نظرة وطنية

¹ - بن عتو بلبروات : الاهتمامات التاريخية بالدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، ع1، 2011، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، ص23.

² - يحيى بوعزيز : حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية، مجلة الدراسات التاريخية، تصدر عن جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، مج23، ع5، 1988م، ص ص160/162 .

³ - فتح الدين بن أزواو : المرجع السابق، ص424 .

محلية وهذا من خلال الاعتماد على عدد هائل من الوثائق المتواجدة في الجزائر وخارج الوطن أيضا¹.

كان يحيى بوعزيز من الذين كانت لهم مسؤولية كبيرة وهي الرد على الكتابات الفرنسية الاستعمارية، حيث قام بتصحيح المغالط التي كتب بها المؤرخون الفرنسيون الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر لارتباطهم بالفكر الاستعماري الذي سعى جاهدا لتثبيت وجوده وإلغاء كل مقومات الأمة الجزائرية ونجد بذلك أن كتابات يحيى بوعزيز سواء كتب أو مقالات شكلت رداً على المؤرخين الفرنسيين أمثال **Louis Rine / Paul Azan** وغيرهم²، حيث كانت أطروحته للدكتوراه ب ثورة 1871م دور عائلي المقارني والحداد تصحيحا لما جاء في كتابات لويس راين كما نجد أيضا : مراسلة الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة كذلك من رد على ما كتبه بول أزان³.

من العوامل التي شجعت على التأليف الضخم أعترف يحيى بوعزيز أن وراء ذلك هو مولود قاسم نايت حيث قال أنه هو الذي شجع قلبي كذلك العوامل التي أثرت فيه في التأليف رغبة الوفاء بحق التراث الجزائري الذي أغفله مؤرخ الحضارة وبالتالي بقائه مجهولا كما نجده يهتم بالوثائق باعتبارها المصدر الأول واكتشف بالتجربة والممارسة أن فهم تاريخنا للحديث والمعاصر يفتقر إلى المادة الخام كما سعى سيعدونني إلى تجاوز الدراسة التقليدية عنه التي تعتمد فقط على التقرير الوصفي لأعماله الفردية وببطولاته الجهادية كما اهتمت أيضا بإحياء مآثر المجاهدين الجزائريين ونضالهم وكفاحهم⁴.

¹ - محمد بوشنافي: أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، ع1، 2011، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بالعباس، ص ص 33-34 .

² - المرجع نفسه، ص34 .

³ - روابحي العياشي: الأمير عبد القادر في منظور مؤرخي وكتاب المدرسة الكولونيالية الفرنسية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج7، ع1، 2023، جامعة عنابة، الجزائر، ص ص 396/400 .

⁴ - سليمان قوراري : يحيى بوعزيز ودوره في إبراز أعلام الجزائر ومآثرهم، مجلة رفرف، مخبر المخطوطات في غرب أفريقيا، ع7، 2015، جامعة آدرار، الجزائر، ص ص 240-244-246 .

وإحيائه لجهود العلماء الجزائريين الذين ساهموا بمساهمة فعالة في خدمة علوم العربية والإسلامية، كما أهتم بشخصية وكفاح الأمير عبد القادر .

سادسا : إسهامات جمال قنان في تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية

للأستاذ جمال قنان دور كبير في فضح جرائم الاستعمار الفرنسي وكشف زيف مدرسة التاريخ الاستعماري وحتى نفي وجود أمة جزائرية، قام جمال قنان بتصحيح المفاهيم، وعدم ترك المجال شاغل للأدبيات الاستعمارية التي طمست معالم جوهريّة في تاريخنا الوطني، لقد حذر المؤرخين من مدرسة التاريخ الاستعماري وتناول تاريخ الجزائر ليس بنظرة علمية بل بنظرة أيديولوجية تتنافى مع الطابع العلمي¹ .

كما حمل في كتابه دراسات في التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر مسؤولية بناء شخصية وطنية وخلق وعي قومي للشعب الجزائري بكتابة تاريخهم في شتى المواضيع والفترات² .

¹ - سعودي مراد : المرجع السابق، ص 870.

² - جمال قنان : المرجع السابق، ص 96 .

الفصل الثالث : دور الفاتيكان في الحملة الفرنسية على الجزائر

المبحث الأول : نشأة دولة الفاتيكان

المبحث الثاني : دعم الفاتيكان لفرنسا أثناء عملية الغزو

المبحث الثالث : الإشاعة الفرنسية لغزو الجزائر (حادثة المروحة

نموذجاً)

المبحث الأول : نشأة دولة الفاتيكان

* تعريف دولة الفاتيكان :

سميت الفاتيكان بمدينة دولة الفاتيكان لأنها تقع في حدود دولة أخرى هي إيطاليا تحديداً داخل العاصمة روما بمساحة جغرافية لا تتعدى نصف كيلو متر وتعداد سكاني لا يتجاوز 1000 نسمة تعني أن مساحتها تبلغ أقل من نصف كيلو متر مربع، تعتبر الفاتيكان مقر البابوية أو الكنيسة الكاثوليكية التي يحج إليها المسيحيين سعت دولة الفاتيكان من خلال دبلوماسياتها إلى تحقيق حدة الصراع بين الدول المتنازعة بحكم ثقلها الديني وشخصية البابا المقدسة التي تلقى احترام كبير على مستوى الدول كما أنها تسعى إلى نشر تعاليم الدين المسيحي، تقوم دولة الفاتيكان بمساندة أنشطة الكرسي الرسولي والمحافظة على إرثه الديني والثقافي من أجل حرية استقلالية الكنيسة الكاثوليكية وخاصة كنيسة العالمية التي يسعى الفاتيكان إلى إنشائها على الأرض وفقاً لكاثوليكية روما كما نجد أيضاً أن هناك فرق بين الكرسي الرسولي الذي يتولى مهام العلاقات الدبلوماسية وليس مدنية دولة الفاتيكان، استطاعت دولة الفاتيكان أن تستمد في قوتها المعنوية كنوزها المرجع الروحي لأكثر ما يزيد مليار على كاثوليكي حول العالم¹.

يمكن تقسيم سكان الفاتيكان إلى قسمين رئيسيين هما رجال الدين ويشغلون أغلب مراكز المسؤولية في المدينة ويكتسبون الجنسية الفاتيكانية أو الركوية البابوية بحكم وظائفهم فبمجرد تركهم لوظائفهم يعودون إلى الجنسية الأصلية.

أما القسم الآخر هم المواطنون العاديون الذين يقومون بخدمه الفاتيكان من أعمال التنظيم والحراسة وغيرها إن سيادة الفاتيكان لا تقتصر على حدود الدولة الصغيرة لكنها تتجاوز لتشمل نحو مليار 147 مليون نسمة يعني مجموع المسيحيين الكاثوليك في العالم أما بابا الفاتيكان هو بمثابة رئيس الدولة فهم

¹ - ولاء علي : ورقة بحثية بعنوان، دبلوماسية الفاتيكان سياسية أم دينية، معهد إبراهيم أبو الغد للدراسة الدولية العليا، جامعة بيرزيت فلسطين، 2020، ص 3.

يعتبرون أن شخصية البابا تتمثل في كونه رسول المسيح ويتمتع بسيادة روحية على العالم المسيحي الكاثوليكي¹.

تسعى الفاتيكان إلى التبشير ونشر تعاليم المسيحية الكاثوليكية حول العالم، تمتلك الفاتيكان شخصية قانونية دولية لها القدرة على التأثير في العلاقات الدولية وذلك من خلال أقدس شخصية دينية في الطائفة المسيحية في العالم، وهذا البابا ومن خلال جهاز دبلوماسي يتكون مما يقارب 130 ممثلاً وسفير حول العالم².

تمثلت سياسة الدولة البابوية وأهدافها منذ نشأتها بأنها تتبع من الرغبة في دفع المخاطر التي قد تهدد أركان ووظائف الهياكل الكنسية والدينية، واعتمدت الدولة البابوية على مركز ثقل ديني يتمثل في الهيئة السلطوية للكرسي الرسولي التي تدعمه بيروقراطية لها مكاتب وأعوان أخذت في التوسع ومدعومة بالقانون الكنيسي، القانون الأول الكنيسي والكرسي الرسولي الأول ذو طابع نظري... والثاني ذو مهام عملية هما الأدوات اللتان تمارسه بواسطتهما البابوية صلاحيتها في تسيير شؤونها في الحكم³.

كما أن البابوية لم تكن موجودة في الديانة المسيحية أو في التنظيمات الإدارية الرومانية وأنها ظهرت نتيجة لانتشار التي حققتها المسيحية على أراضي الإمبراطورية كما إدعى أيضا البابوات أنهم أصحاب السلطة العليا والوحيدة على المجتمع المسيحي، واعتبر البابوات أنفسهم بمحض إرادتهم فنتيجة الصراع والنزاع مع السلطات الإيطالية 1929م تم التوقيع على معاهدة لاتيران بين البابا بيوس

¹ - محمد بوبوش: القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة، معهد المصري

للدراستات، <https://tinyurl.com/y37wlxxz>.

² - مصطفى كامل: بابا الفاتيكان عن جدار ترامب، الخوف من المهاجرين يدفعون إلى الجنون، الموقع الرسمي

لوكالة الأناضول، <https://tinyurl.com/y3tegvsv>.

³ - إباد فرحان بدرية: نظرية الدولة في القرون الوسطى، مجلة الاستقراء، ص 31.

الحادي عشر والحكومة الإيطالية بإقامة دولة متينة الفاتيكان داخل مدينة روسا كدولة مستقلة بزعامة البابا¹.

* أرشيف مكتبة الفاتيكان :

تحتوي مكتبة الفاتيكان على مخطوط باللغة الإيطالية يضم أسماء المعلمين والمحافظين والعمداء المعتمدين من طرف إدارة الفاتيكان لإدارة بيت التعميد، كما تحتوي المكتبة على سجل المخطوط يتضمن أسماء العائلات الرومانية المنتسبة لمدينة روما والتي وردت أسمائها في وثائق الفبكراتو والخاصة بتعميد الأسرى المسلمين وحتى الأسرى من اليهود كما يوجد أيضا مخطوط يتعلق بتعميد الأسرى المسلمين يعود إلى فترة الكاردينال **Cardnal Sirleyo** القرن 16 كما تحتوي المكتبة على سجل أرشيفي خاص بالحملة الإسبانية على مدينة الجزائر²، كما يضم أيضا وثائق اسرى السفن البابوية الذين تم تحويلهم من بيت التعميد ويعرف بالاسم أسرى السفن والترسانات البحرية.

* المكتبة الفاتيكانية:

أنشأها أوائل الباباوات ثم زالت أوائل القرن 13 لكن البابا نقولا الخامس أعاد تأسيسها بين 1447/1455 وجعلها ما قل التراب العبقريّة اليونانية والرومانية لقد كانت غنية بالمخطوطات البيزنطية والعثمانية والعربية خاصة تلك المخطوطات التي جمعها يوسف السمعاني ابن أخ إلياس السمعاني رئيس كهنة أنطاكية لما قام بوضع فهرس للمكتبة³.

¹ - أحمد تركي الشريدة: نشأة الباباوية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 45، ع4، ملحق1، 2018، الجامعة الأردنية، ص398.

² - إبراهيم سعيد: وثائق تاريخ الجزائر الحديث المحفوظة في دور الأرشيف الإيطالية، مجلة الدراسات التاريخية، مج 25، ع2، ديسمبر 2024، جامعة الجزائر، ص16.

³ - حباك عمر: المدرسة الاستشرافية الإيطالية، مج5، ع1، جانفي 2024، ص91.

المبحث الثاني: دعم الفاتيكانيان لفرنسا أثناء عملية الغزو

إن الحملة الفرنسية على الجزائر تعتبر فصلا من فصول الحروب الصليبية على العالم الإسلامي بفضل الدور الذي لعبته الكنيسة في شحذ همم الشعوب الأوروبية لدعم مساعي شارل العاشر في استرجاع أرضا كانت تعتبر مسيحية في السابق مما جعل الأسطول الفرنسي يشهد موجة من المتطوعين المسيحيين من مختلف الجنسيات فالمنطق الحملة الفرنسية على الجزائر كان دينيا بل يعتبر العام الديني أهم عامل في الحملة وذلك بالنظر لتلك الحملة التي شنتها عدد الدول الأوروبية على الجزائر خاصة قبيل التواجد العثماني، كانت كل الحملات السابقة مثل الحملة البريطانية والإسبانية كلها تحمل في طياتها الثأر للصليب واستعادة أرضا يعتبروها المسيحيون أرض أمجاد وأرث الأجداد، هذا هو السبب ظهور مختلف المشاريع والمخططات لاحتلال الجزائر¹.

لقد اتخذت الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر الطابع عن صليبيبا ان درجه ضمنه الصراع الحضاري القائم بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي².

إن للجانب الديني أثر كبير في احتلال الجزائر فمن العوامل التي ساعدت فرنسا على الغزو هو عودة الكنيسة إلى نشاطها ومحاولة إعادة الاعتبار إلى المسيحية وإنقاذ المسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين ففرنسا كانت تعتبر نفسها حامية الكنيسة الكاثوليكية وراعية لنشر المسيحية وقد عبر الملك شارل العاشر: حينها خاطب كل الأساقفة " أن مرادنا أن تقيموا صلوات في جميع الكنائس وتطلبوا من الله ان يحمي الراية ويعطينا النصر"، ويقول أيضا " أن العمل الذي سأقوم به (احتلال الجزائر) ترضية لشرف فرنسي وسيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها " .

¹ - مصطفى سعاد: موقف رجال الدين المسيحيين الفرنسيين من الثورة الجزائرية (1962/1954)، مجلة المفكر، مج8، ع1، جوان 2024، جامعة الجزائر 2، ص251 .

² - بون غانم: الأوقاف الإسلامية في نضال حمدان خوجة، مجلة القضايا تاريخية، مج8، ع2، السنة 2023، مركز الجامعي تيبازة الجزائر، ص26 .

كما يرى : كلموني تونير: وزير الحربية بقولية النائر من أعداء المسيحية وفتح أبواب شواطئ إفريقيا خدمت لأوروبا والإنسانية معا¹، حتا كارسى لم يخرج عن الجانب الدينى فى مشروعـه وغير مسألة الاحتلال هى من أجل الدفاع عن الدين المسيحى وأن المسيح أمرهم بالذهاب لتعليم جميع الشعوب الدين المسيحى إضافة إلى أن الجزائر بلد بربرى مسيحى يعود أصله للرومان² .

كان شارل العاشر يرى نفسه محقا فى الدفاع عن الدين لأنه من سلالة الملك القديس لويس 19 إذا كان عليه أن يسير على خطى أجداده فى نصرته الدين وتبشيرـه وكانت رغبة فرنسا فى نشر المسيحية فى إفريقيا انطلاقا من الجزائر³، وباعتبار أن فرنسا حامية للكنيسة الكاثوليكية كانت ترى احتلال الجزائر خدمة كبيرة للعالم المسيحى، فى الحملة الفرنسية على الجزائر كانت مدعمة بالعامل الدينى من خلال الدور الذى لعبه رجال الدين فى الحملة فقرر شارل للعاشر كان مدعما من طرف الأسقف الكبيرة ووزارة الشؤون الدينية⁴ .

الأسباب والدوافع الحقيقية وراء عملية الغزو الفرنسى للجزائر لم تكن أبدا تتعلق بمسألة المروحة وتأديب الداى كما جاء فى الكتابة الفرنسية إنما لأسباب أخرى خفية وأطماع قديمة وحقد صليبي، كما جاء فى الكتاب أيضا أن غزو الجزائر 1830 كان بغية الاستيلاء على كنز الجزائر المحروسة ويذكر

¹ - رامي سيدي محمد: قراءة مقارنة فى خلفيات ودوافع الإحتلال الفرنسى للجزائر و تونس، مجلة القرطاس، العدد7، جانفى 2018، ص184 .

² - حصاد عبد الصمد: مشاريع الاحتلال، مجلة متون ج- د، مولاي الطاهر سعيدة للنشر، 2012/9/15، مخبر الدراسة التاريخية المتوسطة على مر العصور، المدينة، الجزائر، ص181 .

³ - خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية فى الجزائر 1871/1830م، د ط، حلب الجزائر، ص16 .

⁴ - علي محمد صلابي: كفاح الشعب الجزائري منذ الاحتلال الفرنسى وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية1، دار المعرفة، لبنان، ص284.

بياربيون أن الغزو الفرنسيين الجزائر لم تكن يتعلق أبدا بمسألة الشرف والفرنسي بل ارتبط بسرقة مالية لم يتم الاعتراف بها¹.

اتخذت الكنيسة من النشاط البحري المغاربي عامة والجزائري خاصة وسيلة لتوحيد جهود المسيحيين لقد كانت الدول الأوروبية ترى في الجزائر مركز لمجموعة من النصابين وقطاع الطرق واللصوص ويجب محاربتهم²، أما القراصنة الأوروبيين فكانوا في نظرهم محاربين في سبيل الوطن والعقيدة المسيحية فهم بذلك جنود الله والمسيح، كما افتتح السيد السميث في مؤتمر فيينا إجبار الجزائر بصفة³ عامة وطرابلس الغرب على التخلي وعلى النشاط القراصنة .

كما نجد فرسان مالطا قد قدموا عدة مذكرات الى المؤتمرين في فيينا يطالبون فيها بإعادة تشكيل خطاهم القديم ومنحهم مقرا في البحر المتوسط تجتمع في جميع الأساطير المسيحية لمحاربة القراصنة الدول المغاربية⁴.

لقد إدعت حكومة شارل العاشر التي كان يرأسها بوليناك بأن العناية الإلهية قد خصتها بهذا الانجاز التاريخي المقدس الرامي إلى استيراد أرض كانت من قبل مسيحية كما أكد شارل العاشر على لسان رئيس وزارته (بولونياك) أن احتلال الجزائر في حد ذاته يجب أن يباركهم كل المسيحيين وكل العالم المتحضر، جاء التوقيع على صليبية الحملة بعد نجاحه على لسان رئيس أساقفة باريس عند صقيلة الملك شهر العاشر قائلا : " لقد انتصرت الإنسانية على البربرية... الصليب على الهلال، فإن قصار إفريقيا تتردد فيها الآن أناشيد الإيمان " .

¹ - لورéal فشيا فاغليري: أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو

الحروب الصليبية المجهولة ناثق، ايمانويل باتاي، تر: حميد عبد القادر، عالم الأفكار، ص9 .

² - حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الأيالة 1830/1815، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص7 .

³ - (Mgr)(p=337) Pavy – " La piraterie barbaresque" im _ R _ A (N2) 1857-

⁴ - حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص8 .

كما جاء في رسالة 12 ماي 1830 من بوليناك رئيس الوزراء الفرنسي الى سفير بلندن أن أهداف الحملة احدهما تقص فرنسا وهذا الثأر لشرف رايتنا ثم الحصول على تعويض مالي أما المصلحة الثانية التي تهم البلاد المسيحية عامة فهي إلغاء نظام الرق والقرصنة ودفع الجزية التي ما زالت أوروبا تدفعها لولاية الجزائر¹.

لقد قررت فرنسا إرسال أسطول مهم ومدجج للحرب ضد الجزائر وهذا من أجل احترام الملاحة البابوية وهذا من أجل توثيق جرأة البرابرة وإرغامهم على احترام السفن البابوية السليمة ففرنسا قررت القيام بهذه العملية البحرية للدفاع عني السفن البابوية وهذا قبل أن يتلقى القنصل دوفال ضربة المروحة الشهيرة كما اعترفت الحكومة الفرنسية أن الكرسي الرسولي² كانت له مصلحة خاصة في الحملة الموجهة ضد الجزائر، كما نلمس أن العامل الديني في الاحتلال له دور كبير وهذا من خلال الدور الذي لعبه رجال الدين في الحملة كما علقت الصحافة الياسرية على هذا الطابع الديني لاحتلال وذكرت أن عمل القنصل دوفال كان من بوحى من الفاتيكاني وكذلك الحال لعمل بكري وبوشناق البوهدين فروما استبشرت خيرا بغزو الجزائر واعتبرته عملا مقدسا لفائدة المسيحية³.

كما نجد أيضا وزير الحربية الفرنسية مونتانيك : فقد أبان الهدف الحقيقي من الغزو " إنما هو حملة من هذه الحملات الصليبية التي تواجهها أوروبا إلى الشرق بين حين وآخر " .

ويقول أيضا " أنها المشيئة الإلهية التي قضت بأن تدعو سليل القدس لويس وقصد به لويس التاسع الذي قاد الحملة الصليبية 9 في مصر فأفسره المصريون في دمياط أطلق سراحه بغداء ثم قاد الحملة

¹ - سباعي سيدي عبد القادر: الغزو الفرنسي للجزائر خلفياته وأبعاده، مجلة البدر، ع6، أكتوبر 2009، كلية الآداب، جامعة بشار، ص61 .

² - لورى فشيا فاغليري: ، المرجع السابق، ص9 .

³ - علي محمد محمد لهلابي: موسوعة كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، بيروت، لبنان، ص276 .

الثامنة إلى تونس فلقى حتفه بها"¹، ليأخذ بالثأر ولينتقم إلى الدين والإنسانية وليغسل العار الذي لحق بذاته"، ويقول أيضا "لسنا بحاجة إلى اقتناع جديد بأن لا سبيل إلى الاستقرار الأمن في الجزائر إلا بإبادة أهلها جميعا".

فالأوروبيون وفرنسا خاصة تعتبر أن الاحتلال حق تاريخيا مكتسبا ممنوحا للمسيحيين، "أنه حق القوة - العنصرية - الاحتلال - الحياة الاستعمار لأنشر المدينة .

اعتبر الفرنسيون سقوط الجزائر تحت الاحتلال سقوطا لإبراز قلاع الإسلام كما أن الحملة الفرنسية على الجزائر كانت امتداد للحروب الصليبية وحتى التقارير العسكرية والفرنسيين كان هناك رجال دين وقساوسة جاءوا لمباركة الحملة واعتبروا القتلى الفرنسيين شهداء للمسيحية²، نجد حتى أثناء توقيع معاهدة التسليم بين الداوي حسين ودي بورمون **Di Bourmo** القائد العسكري للحملة مخاطبا القساوسة³ "إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية بإفريقيا ونأمل أن تتبع قريبا الحضارة التي انطفت في هذه الربوع"، وبذلك بدأت الانطلاقة الحقيقية للسياسة الاستعمارية التشويهية التي قادتها الكنيسة في الجزائر إتجاه المسلمين ودينهم وكان المستشرقون هم الموجه للكنيسة يدرسون أهم الطرق لتحقيق الأهداف⁴.

¹ - محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط1، 2، دار الغرب الإسلامي، 1982، ص102/89.

² - جغلولي يوسف وتالي جمال: الاستشراق في الجزائريين الأطروحات والوسائل، دراسة نقدية الأعمال الاستشراقية الفرنسية، مجلة الحقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع6، جامعة المسيلة، جامعة جيجل، ص521.

³ - عبد الجليل التميمي: تفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19، المجلة التاريخية المغربية، ع1، تونس، 1974، ص14.

⁴ - جغلولي يوسف وتالي جمال: المرجع السابق، ص521.

المبحث الثالث: الإشاعة الفرنسية لغزو الجزائر (حادثة المروحة آموذجا)

/قضية ديون القمح :

منذ القرن السادس عشر، بدأت الشركات الفرنسية للتجارة على الساحل الشرقي للجزائر، ومن أبرزها شركة أفريقيا التي نشطت بين سنتي 1717 و 1741م، ثم الشركة الملكية لأفريقيا بين 1741 و 1792م : وخلال سنة 1723م، استقرت في الجزائر عائلات يهودية قادمة من مدينة ليفورنه الإيطالية، وامتزجت هذه العائلات بالسكان المحليين، ونشط أفرادها في مجال تجارة " نفتالي"، التي عرفت بعدة تسميات مثل بوشناق، بورناك، وبوجناح¹.

نشطت شركتا التاجرين اليهوديين الجزائريين، نفتالي أو بوجناح والأخوة بكري، في مجال تجارة الصوف والحبوب، حيث كانت تشتريان هذه السلع من الفلاحين بأسعار منخفضة جداً، ثم تبيعها بأسعار مرتفعة جداً للشركات الملكية الأفريقية، التي كانت تحتكر التجارة الخارجية في موانئ الشرق الجزائري، ووفق لما ورد في معجم التراجم كان هؤلاء التجار يشترون صاع الحبوب بأربعة فرنكات فقط، ثم يعيدون بيعه بخمسين فرنكا، ما يعكس هامش ربح كبير وممارسات تجارية استغلالية²، إتخذ بكري كوهين المسمى ابن زاهوت يوسف مارسيليا مركز لتنشيط تجارتهم معتمدا على إخوته بالجزائر، أما بوجناح (بوشناق - نفتالي)، الشرق الجزائري مركز نشاطه منافسا للشركة الملكية الإفريقية³، فرأى أبناء بكري ابن زقوط أن يؤسسوا شركة واحدة مع نفتالي (بوشناق - بوجناح) لمضاعفة الأرباح فتأسست هذه الشركة على الأرجح

¹ - محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 257.

² - محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص 258.

³ - المرجع نفسه، ص 260.

سنة 1793م وسميت بشركة بكري وبوجناح¹، بعد فترة وجيزة من تأسيسها، أبرمت مصالح التموين في باريس صفقة تجارية معا ممثلة بكري وبوجناح، نصت على تزويدها بمئة ألف حمولة من القمح، بحيث يباع نصف الكمية بسعر مئة فرنك للحمولة، بينما يباع النصف الآخر بسعر بمئة وعشرين فرنكا للحمولة².

أقرض الداوي حسان فرنسا 250.000 فرنكا لشراء القمح خلال فترة الحصار الأوروبي عليها³، وقد عرف هذان اليهوديين كيف يستحوذان على ثقة حسان باشا، إذ أنهما استغلا وأنها أصبحتا يسيطران على الجهاز الإداري الجزائري بأكمله ويتحكمان في تكييفه حسب مصالحهما⁴، لقد تكلم حمدان خوجة عن نفوذ اليهود في التجارة الداخلية والخارجية على لسان أحد أعوان مدينة عنابة الذي قال: "إن كمية القمح التي صدرت إلى أوروبا في سنة 1795م بلغت ستة وتسعين حمولة"⁵، أما الديون المترتبة عن نشاطهم فبلغت في نفس السنة مليوني فرنك⁶، استمر بكري وبوجناح يزودان الجيوش الفرنسية بالقمح خلال حروب نابليون التوسيعية بين 1796م - 1797م، وخلال الحملة الفرنسية على مصر أستقبل تاليران التاجر بوشناق (بوجناح) الذي قدم له فاتورة ديونهما المقدرة بقيمة 2.297.415 فرنك، ووعده بتسديد له 170000 جنيها كل أسبوعين لتصفية الديون، لكن الحرب منعت الأمر في الالتزام خاصة بعدما أمر البابا العالي الجزائر إعلان الحرب على فرنسا خلال فترة حكم الدين مصطفى باشا 1798م - 1805م، حيث أن فرنسا قامت بسجن بكري وممثله بمرسيليا أبو قاية ثم أطلقت سراحهما.

¹ - المرجع نفسه، ص ص 263/260.

² - المرجع نفسه، ص 268.

³ - أحمد توفيق المدني: تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، غزة محرم 1350، ص 39.

⁴ - مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ج3، الجزائر، 1964، ص 249.

⁵ - محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791/1830م)، مطبعة دحلب، 108 شارع طرابلس، حسين داي الجزائر، 1994، ص 28/27.

⁶ - محمد زروال: المرجع نفسه، ص 27.

من أجل استعادة نفتالي أمواله سعى للسلام بين فرنسا والجزائر ولجأ إلى توقيع معاهدة 17 أكتوبر 1801م، نصت في بندها 13 على تعهد الحكومة الفرنسية بدفع المبالغ التي يطالب بها الرعاية الجزائريون المقدرة بـ 8.151.000 فرنك¹، لقد حصل التاجران اليهوديان بكري وبوشناق على أربعة ملايين فرنك، لكنهما لم يدفع للداي أية أموال فتأثر بشدة كون معظم البضائع التي صدرت لفرنسا كانت تخصه²، لكن فرنسا ادعت أن الشحنات الأخيرة من القمح التي استلمتها من بكر وبوجناح كانت فاسدة وغير صالحة للاستهلاك³، استغل التجار اليهود في الجزائر مجيء دوفال مقدم كشفا لديونهم دون سندات قدرت بـ 24 مليون فرنك، وبعد مفاوضات في باريس سنة 1819م قبل التاجران بكري وبوشناق بتخفيف الديون إلى 18 مليون فرنك ثم إلى 8 ملايين فرنك⁴، صدر قانون عن برلمان الفرنسي في سنة 24 جويلية 1820م خصصت سبعة ملايين فرنك تسدد إلى يعقوب بكري، وعندما ظهر مدينين له أحييت القضية إلى العدالة فتوترت العلاقة بين الداي حسين والقنصل دوفال خاصة بعد أن علم بأن يعقوب بكري قدم أموالا للقنصل⁵.

وما زاد في غضب الداي حسين أن فرنسا أحلت قضية المبلغ المتبقي وهو 2.5.00.000 فرنك على مجلس التجارة بباريس، بينما طالب الداي حسين بإحالة القضية على مجلس التجارة بالجزائر، وحتى المبلغ الذي سدده فرنسا المقدر بـ أربعة ملايين ونصف فرنك استولى عليه التاجران يعقوب

¹ - ويليام سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر، تعريف وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، سعيد حمدين، الجزائر، 2006، ص 2017.

² - محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969، ص 149.

³ - محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 271.

⁴ - محمد خير فارس : المرجع السابق، ص 151.

⁵ - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 24/18.

كوهين (بكري) وبوشناق حيث فر يعقوب نحو ليفورن، بينما تجنس ميخائيل بوزناك الجنسية الفرنسية وفر إلى باريس، ولما راسل الداى حسين الملك شارل العاشر لم يجيبه على مراسلاته بحجة أن القضية شخصية¹، ضل الوضع متوتراً، وفي عام 1824م قام الداى حسين بسحب الامتيازات التي كانت ممنوحة للفرنسيين، تحت إشراف ممثل بكري وبوشناق، المدعو اسكينيرو، ومع مرور الوقت، تصاعدت شكاوى الداى اتجاه القنصل الفرنسي دوفال حتى وصلت حد اعتقال التاجر بكري في شهر أوت سنة 1826م، بعد أن شعر بخسارة لكل شيء واتهم دوفال بتلقي مبالغ مالية ضخمة منه، إثر ذلك وجه الداى رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسية البارون دوداما، عبر ممثل بكري مطالبا فيها بتسوية مسألة الديون وتسديدها بسرعة، أو تقديم مبررات واضحة لعدم السداد، محذراً بأنه في حال الرفض ستضطر الجزائر لإتخاذ الإجراءات المناسبة، كما طالب بتغيير القنصل حرصاً على العلاقات الثنائية، وفي ظل هذه الأجواء المشحونة، حضر القنصل دوفال إلى قصر الداى حسين عشية عيد الفطر، الموافق لـ 29 أبريل 1827م، بغرض تقديم التهاني، غير أن النقاش بينهما تطرق إلى مسألة الديون، ليجيب دوفال بأسلوب استفزازي، فما كان من الداى إلا أن لوح في وجهه بريشة كانت بيده، وهو ما اعتبرته فرنسا إهانة، لترد بعدها بفرض حصار بحري على الجزائر في 16 جوان 1827م².

* حادثة المروحة:

فرنسا تعد من الدول الأوروبية التي تمتعت بامتيازات في الجزائر لكن هذا لا يمنع من توتر العلاقات بين الدولتين وقد وصلت العلاقات لحد القطعية بين الطرفين خاصة بعد حادثة المروحة وهذه

¹ - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 43/42 .

² - عبد القادر بورمضان : المجتمع والعمران في مدينة عنابة خلال فترة الاستعمارية (1830/1900م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم، إشراف رمضان بورغدة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة 8 ماي 1945م قالمة، 2021/2022، ص 46 .

الأزمة راجعة إلى قضية ديون القمح، حيث دعا حسين باشا قنص فرنسا دوفال ودار بينهما حديث حول قضية القالة التي بني فيها الفرنسيون بناء ووضعوا فيها مدافع حيث نفى القنصل هذه الأخبار¹.

اتخذت فرنسا من خرافة المروحة حجة من أجل الأخذ بالتأثر كما عملت على إدراج مسألة الديون الفرنسية مجرد مسألة تناولها المؤرخون من أجل تبسيط مسألة احتلال الجزائر، لأن الأسباب المباشرة لاحتلال الجزائر قد أعد له حسب خطط متدرجة فالظروف لم تسمح فرنسا في تنفيذه حتى عام 1838م².

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر ليس وليد حادثة كما يروج له الكتاب الفرنسيون بل هو عبارة عن أطماع دفين منذ وقت بعيد لأن الفرنسيون خططوا لإحتلال الجزائر ووضعوا العشرات من المشاريع لبلوغ هذا الهدف لكنها فشلت بسبب ظروف فرنسا الداخلية والخارجية لكنها في نهاية المطاف تمكنت من تحقيق مبتغاها بمباركة بابوية أوروبية لتدخل الجزائر في فترة تاريخية مظلمة عاش فيها المستعمر فسادا أو ظلماً³، فالجزائر على رأس بلدان التي تركزت عليها أطماع الدول الاستعمارية بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي ومكانتها الدولية هذا ما جعلها مستهدفة بصفة خاصة من قبل الدول الأوروبية خاصة فرنسا، بريطانيا واسبانيا وقد تعرضت الجزائر قبل 1830م لعدة هجمات من قبل هذه الدول لكنها فشلت بفضل قوة الأسطول البحري الجزائري الذي فرض إرادته وقوته وإتاوته،

¹ - عبد القادر بوررمضان : الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة (1830/1832م)، دورية كان التاريخية، ع48، يونيو 2020، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، ص133 .

² - أبو بومخيلة ممدوح : الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال الدراسات الأكاديمية المترجمة : أطروحة الدكتوراه للمؤرخ " أرجمنت كوارنا أنمودجا"، مجلة الراصد العلمي، مج10، ع1، جامعة وهران1، ص46 .

³ - حصاد عبد الصمد : المرجع السابق، ص191 .

وكانت فرنسا أكثر هذه الدول حرصا وطمعا كانت تبعث الجواسيس وتسعى لعقد صفقات تجارية وتفتعل الأسباب لجر الجزائر إلى مواجهة أو الانقضاض عليها حتى وقت حادثة المروحة¹.

تعدت الأجواء السياسية الداخلية وظهور معارضة داخلية في البرلمان إذا بحكومة البوربون وعلى رأسها شارل العاشر (1830/1824) تدبر مكيده لتحويل اتجاه استناد الرأي العام الداخلي حتى تظهر منتصرة، فرنسا كانت عازمة على العدوان فأوحت يومئذ لممثليها بالجزائر القنصل (دوفال) باستفزاز الداوي لإذكاء الحرب، فأخذ يراقب الفرصة المواتية حتى جاءت مناسبة عيد الفطر لقد دار حديث طويل بين الطرفين حيث استفقر الداوي عن أسباب التعزيزات العسكرية والاقتصادية التي قامت بها فرنسا بالقالة وكان من الواجب على "دوفال"² أن يقدم تبريرات وتوضيحات منطقية ولكن دوفال تمادى في كلامه مما أثار³ سخط الداوي : يقول أحمد الجزائري " أن الضرب في حد ذاته لم يقع بل أن الداوي لما تحداه القنصل بكلامه هم بقتله وعند ذاك توسط نائب الداوي إبراهيم بين الطرفين وقال للداوي أن الشريعة لا تجوز قتل المستأمن"⁴.

¹ - محمد الطيب العلوي: التربية بين الأصالة والتغريب، منشورات دحلب، 108، شارع طرابلس، حسن داي الجزائر، ص 14.

² - قنصلا عاما لفرنسا بالجزائر، وتحصل على في 20 أوت 1715م، واستمر في عمله حتى 11 جوان 1827م وسبب انزعاجا للداوي حسين في مناسبات عدة، بل اعتبر أحد أسباب الأزمة والقطيعة في العلاقات الجزائرية الفرنسية مطالبا في ممرات عديدة استبداله إلى أن وقعت حادثة المروحة 29 أفريل 1827م، وكان تحت تأثير النفوذ المالي والتجاري لليهود، ولم يعمر كثيرا بعد الحادثة إذ مات سنة 1829م، وممر موته في صمت ولا مبالاة من فرنسا، انظر: عبد الهادي حسين: الحصار البحري الفرنسي وسقوط الجزائر (1830-1827)، دورية كان التاريخية، ع35، مارس 2017، جامعة تلمسان، ص 59.

³ - محمد قن: الداوي حسين باشا والأزمة الجزائرية الفرنسية 1830/1827م، مجلة التراث، العدد 25، جامعة الجلفة، ص 176/177.

⁴ - أحمد الجزائري: كيف دخل الفرنسيون الجزائر وضعه ونشره وقدم له صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962، ص 21.

تعتبر حادثة المروحة سبب سخياف الاحتلال الجزائري حيث أدعت فرنسا أن السبب الذي اجبرها على احتلال هو حادثة المروحة وهو ذريعة سخيفة جدا فقط أمام الرأي العام لأن نوايا الاحتلال كانت مخطط لها من قبل بعشرات السنين، حيث قامت فرنسا باستئجار ميناء القالة وحولته مركز لتجسس¹ كما قامت سنة 1808 بإرسال الضابط بوتان² في مهمة تجسسية من أجل وضع خطة لغزو الجزائر، كما أن هناك مؤشرات أخرى عديدة تدل على أن مخطط الاحتلال قديما والنوايا كانت مبنية منذ زمن بعيد بسبب عدة أغراض توسعية والاقتصادية والدينية وأهم ما قاله وزير الحربية الجنرال فورتورول " أن هذا الاحتلال يستند على ضروريات هامة جدا ويرمي لفتح منفذ واسع لتصريف بضائعها، أن هذا الغزو قائم على حاجات حتمية في غاية الأهمية ومرتبطة بحفظ النظام بفرنسا وفي أوروبا"، ومن بين هذه الحاجات هي فتح مجالات واسعة للفائض من مواطنيها ومنتجاتنا الصناعية³ .

استغلت فرنسا حادثه المروحة ورأت فيها إهانة لها بل وللشعب الفرنسي كله وتظاهرت بأنها مظلومة وحضرت لهذا الغرض جهازا دعائيا ضخما لتغطية تلك المبررات الكاذبة من جميع الشكوك التي تتمحور حولها، واستطاعت بالفعل أن ترفق تلك المبررات الكاذبة واتخذتها وسيلة للتخدير وتكييف الرأي العام الفرنسي وتشغيل بال الفرنسيين بحرب خارجية وجعلهم يقبلون بهذا الاعتداء على الجزائر⁴،

¹ - محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث قسنطينة، الجزائر، 1985، ص 28 .

² - الضابط بوتان: ولد ابيق قانسون بوتان عام 1772 شمال غرب فرنسا في منطقة لابرومان، بدأ تكوينه العسكري سنة 1793 بمدرسة الهندسة بشار لفيل مزيان شمال شرق فرنسا شارك في الثورة الفرنسية عمل في جيش الفرنسي إلى جانب نابليون بوناپرت، شارك في الحروب النابولونية صاحب تقرير المعروف بإسمه توفي مقتولا عام 1815 على يد مجموعة أفراد من فرقة الحشاشين، أنظر: ابيق قانسون بوتان، مخطط الحملة العسكرية الفرنسية على مدينة الجزائر سنة 1830، تح محمد الصلاح بو قشور، دار الروافد الثقافية، ناشرون، ص 19 .

³ - محمد الطيب العلوي: المرجع السابق، ص 14/15 .

⁴ - عمر سعد الله: الحملة الفرنسية على الجزائر 1830 في ظل القانون الدولي، جريدة الجزائر نيوز، ع 12، صادرة في 10 مارس 2005 ص 11 .

وعندما ترجع كتب المؤرخين الفرنسيين ومذكرات التي كتبها الضباط الفرنسيين الذين شاركوا في عملية الاحتلال هناك تناقضات بين تصريحات رجال الحكومة الفرنسية والضباط العسكريين، وهذا يؤكد أن العدوان والرغبة في الاحتلال ليس قضية مروحة أو موضوع القرصنة .

إن حادثة المروحة ذاتها لا تخلو من الغموض فقد أنكرتها بعض التقارير الفرنسية وشككت في أمرها نذكر ما سجله الكاتب الفرنسي **بياريان** ذكر في كتابه " السيطرة على الجزائر " لقد شكك في حادثة المروحة مبينا ظروفها الغامضة حينما قال " أن بطل حادثة القنصل (بير دوفال) كانت له شخصية مثيرة للجدل ومن خلال البحث المعمق في مسار هذا الرجل نلاحظ بأنه شخص غير موثوق فيه إلى جانب انه كان محل قلق لدى الجزائريين وخاصة الداي حسين الذي راسل في العديد من المرات شهر العاشر واخبره أن القنصل دوفال يقوم باختلاس الأموال الديون ¹ .

إن ربط الجزائر بموضوع الديون وحادثة المروحة التي أخذت منحى المساس بكرامة دولة الممثلة في شخص قنصلها وأنه اعتداء على الأمة ذات سيادة كل ذلك ما هو إلا ستار تختفي وراءه حقيقة الغزو فهي مغالطة تاريخية كثيرا ما ردها وذكرها المؤرخون من الصنفين وتغاضوا عن طرح الموضوع في إطاره الأوسع²، والحقيقة الأساسية هي متمثلة في مسألة الصراع المسيحي الإسلامي فقد كانت الهجمة الفرنسية على الجزائر في القرن 19 استمرارا للمعارك التاريخية الصليبية³ ومع فتور العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا بعد 1820م أي مع اعتلاء شارل العاشر العرش والذي كان متعصبا ومتطرفا كاثوليكيًا في الحملة قد احتوت بشكل مذهل السياسة العامة للملكيين المتطرفين

¹ - عمر سعد الله: المرجع نفسه، ص 11 .

² - عقيلة ضيف الله: سياسات الاحتلال الفرنسي في الجزائر 1830/1954م، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ص 297 .

³ - لخضر بوطبة: الصراع المسيحي الإسلامي، في حوض البحر الأبيض المتوسط القرن 16 احتلال الاسباني للمدن الساحلية أنموذجا، مجلة التاريخية الجزائرية، ع10، ديسمبر 2018، جامعة لمين دباغين، سطيف، ص117 .

وتجسيدا لأمني وطموحات الكنيسة البابوية ففي مؤتمر إكس لاشابيل اقترحت النمسا أن يعاد تأسيس منظمة فرسان القديس يومنا في جزيرة آلبا باعتبارها قوة مهمة لطرد الأتراك، فهذه الفكرة البابوية احتضنتها فرنسا بقوة وعملت كل ما في وسعها لتنفرد بها لأن فرنسا كانت البلد الأكثر عداء لإسلام¹.

إن التفكير في احتلال الجزائر قديم عند القادة الفرنسيين ففرنسا كانت تتطلع دائما لضم الجزائر، ظهر هذا التفكير خلال السنوات والحقب السابقة لفترة (1246هـ/1830م) يعود التفكير في احتلال الجزائر إلى القرون الوسطى²، إن الحملة العسكرية الفرنسية عندما اتجهت إلى الجزائر كانت تحمل في ظهرها أخذ ثأر خرافة المروحة من داي الجزائر بحجة أن قنصلها قد أهين وضرب بالمروحة من طرف الداي.

لكن في الحقيقة كانت تحمل نوايا أخبث من ذلك وابتعد من ذلك، إذا لم تمر أيام على ساعات معدودات على دخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر حتى بدأت تتضح نوايا الحملة الفرنسية بفرنسا لم تقدم على احتلال الجزائر عام 1830م إلا بعد تخطيط صليبي أوروبي دقيق³، وفي هذا الصدد يقول جمال قنان " إذا كان جميع المؤرخين عند تناولهم لهذا الموضوع قد تعودوا على إدراج مسألتني الدين البكري على الخزينة الفرنسية وقضية المروحة في مقدمة الأسباب التي أدت إلى نشوب الأزمة فإننا نعتقد أن هذا التناول هو نوع من التسليط لمسألة معقدة ذات أوجه عدة تعتمد الجانب الفرنسي إسدال الستار عن الأسباب الحقيقية لما فيها من إدانة بالنسبة إليه"⁴.

¹ - سباعي سيدي عبد القادر: المرجع السابق، ص 61 .

² - حصاد عبد الصمد: المرجع السابق، ص 181 .

³ - عقيلة ضيف الله: سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، حويلات جامعة الجزائر، 1998، ص 298 .

⁴ - جمال قنان: عنصر في الأزمة الجزائرية الفرنسية عام 1827 وحدة التراب الوطني، مجلة التاريخ، ع خاص، النصف الثاني من عام 1984، ص 9 .

الفصل الرابع : دراسة وصفية للكتاب

المبحث الأول : تعريف المؤلفة

المبحث الثاني : التأطير العام للكتاب

المبحث الثالث : تحليل سمائي لواجهة الكتاب

تمهيد :

شهدت الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 تغطية واسعة من قبل مختلف المصادر التاريخية والسياسية، إلا أن ما بقي خفياً لزمان طويل هو الدور الذي لعبته الدولة البابوية والكرسي الرسولي¹ في التمهيد لهذه الحملة، وهو ما كشف عنه كتاب "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة" للمستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغلييري.

حيث يتميز هذا المؤلف بكشفه لمجموعة من الوثائق السرية التي توضح الخلفيات الدينية والدبلوماسية والتاريخية التي ساهمت في تشكل الحملة الاستعمارية الفرنسية. وانطلاقاً من أهمية هذا الكتاب وما يطرحه من معطيات تاريخية جديدة، جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على مضامينه وتحلل رسائله وتُقيّم قيمته العلمية والتاريخية، مع التركيز على البعد الصليبي للحملة كما عكستها الوثائق البابوية.

¹-يمثل حكومة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي يقودها البابا بصفة أسقف روما فهو الحكومة المركزية للكنيسة وتتخذ القرارات بشأن قضايا الإيمان والأخلاق للكاثوليك، يطلق على الحواريين لقب الرسل لأنهم رسل المسيح الذين اعتمدت على أقوالهم وكتاباتهم التعاليم المسيحية، لذلك يطلق على منصبهم اسم الكرسي الرسولي لأنهم الآباء الرسل أو الآباء الكنسيون لذلك مثل الكرسي الرسولي، الهيئة العليا لإدارة الكنيسة الذي يتزأسه البابا المنتخب من طرف كبار الأساقفة. أنظر: تركي الشريدة، نشأة البابوية وتطورها، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 45، ع4، 2018، ص394.

المبحث الأول : التعريف بالمؤلفة

تُعدّ المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغلييري (Laura Veccia Vaglieri) من أبرز الباحثين الإيطاليين في مجال الدراسات الإسلامية والتاريخ العربي الوسيط. وُلدت سنة 1893، وتوفيت سنة 1989، وقد كرّست جزءًا كبيرًا من مسيرتها العلمية لدراسة التاريخ الإسلامي من منظور استشرافي أكاديمي، تميّز بالموضوعية والعناية بالمصادر الأصلية. كانت أستاذة للغة العربية في جامعة نابولي، كما ساهمت في ترجمة وتحقيق عدد من النصوص العربية إلى اللغة الإيطالية،

وكتبت دراسات مرجعية في الفكر الإسلامي والحضارة العربية¹.

برز اهتمامها بالتاريخ المغاربي من خلال دراستها لحركة الاستعمار الأوروبي، لا سيما الغزو الفرنسي للجزائر، وهو ما تُوج بكتابها الموسوم: "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة"، والذي صدر أول مرة بالإيطالية، قبل أن يُترجم إلى اللغة الفرنسية عن طريق الباحث (إيمانويل باتاي Emmanuel Bataille).

استندت فاغلييري في هذا العمل على أرشيف الفاتيكان السري الذي أُفِرَج عن جزء منه في منتصف القرن العشرين، ما أتاح لها الاطلاع على مراسلات ومواقف كانت خفية حول خلفيات الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830².

وقد امتازت فاغلييري بأسلوب علمي رصين يجمع بين التحليل التاريخي الدقيق والتوثيق، ما جعلها محل تقدير لدى الباحثين العرب والغربيين على حد سواء. ويُحسب لها أنها تعاملت مع الوثائق البابوية لا باعتبارها مسلمات، بل قامت بتحليلها نقدياً، مبرزة تواطؤ المؤسسة الدينية مع المشروع الاستعماري الأوروبي، في وقت كانت فيه كثير من الكتابات الأوروبية.

¹ Laura Veccia Vaglieri, in: Encyclopedia of Islam, Second Edition, Brill Online, 2012

² لورا فيشيا فاغلييري: المرجع السابق، ص. 9.

تسعى إلى تبرئة الكنيسة من أي دور في الاستعمار¹ لقد أثار هذا الكتاب جدلاً واسعاً بين المختصين، لما يتضمنه من وثائق لم تكن متاحة من قبل، تكشف عن البعد الديني- الصليبي للغزو الفرنسي، وتعيد تشكيل صورة جديدة للعلاقات بين أوروبا الكاثوليكية والعالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر². امتد اهتمام فاغلييري بالإسلام إلى ما هو أبعد من الجانب اللغوي، فقد ألّفت كتباً ودراسات عميقة سعت من خلالها إلى تقديم صورة موضوعية عن الإسلام، خالية من التحيزات التقليدية التي وسمت كثيراً من كتابات المستشرقين في تلك الفترة. من أبرز أعمالها في هذا المجال كتابها "الإسلام في ضوء الفكر الحديث" الذي عُرف بالنسخة الفرنسية بعنوان *L'Islam à la lumière de la pensée moderne*. وفي هذا العمل، سعت إلى تحليل العقيدة الإسلامية بلغة عقلانية ومنفتحة، مما جعل الكتاب يُترجم إلى لغات عدة، ويُعتمد مرجعاً في عدد من الجامعات الأوروبية.

تميزت فاغلييري بإلمامها العميق باللغة العربية، وهو ما مكّنها من قراءة وتحليل النصوص الأصلية دون الاعتماد على ترجمات ثانوية. هذا التمكن اللغوي منحها مصداقية عالية بين الباحثين، وأسهم في إثراء مقالاتها التي شاركت بها في "الموسوعة الإسلامية"، حيث كتبت عن موضوعات متعلقة بالفكر الإسلامي، والتاريخ العربي، ومفاهيم دينية مركزية.

من الناحية المنهجية، اتسمت كتاباتها بالدقة والتوثيق والابتعاد عن الأحكام المسبقة. كانت ناقدة للمقاربات الأوروبية التي حاولت تبرئة الكنيسة من التورط في المشاريع الاستعمارية، وظهر هذا التوجه بوضوح في دراستها المهمة حول غزو الجزائر، والتي اعتمدت فيها على وثائق من "أرشيف الفاتيكان السري". بهذا، وضعت فاغلييري تصوراً جديداً للعلاقة بين الدين والسياسة في التاريخ الأوروبي الإسلامي، كاشفة عن أبعاد دينية كانت مغفلة في قراءات سابقة.

¹-Emmanuel Bataille, Préface de la traduction française, dans: Vecchia Vaglieri, Les Archives secrètes du Vatican sur la conquête d'Alger, op. cit., p. 11.

²-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص. 223

وقد نالت فاغلييري تقديرًا واسعًا داخل الأوساط الأكاديمية، ليس فقط في إيطاليا، بل أيضًا في العالم العربي، حيث اعتبرها كثير من الباحثين نموذجًا للاستشراق المنصف والرصين. وبعد وفاتها سنة 1989، بقيت أعمالها حاضرة في المكتبات والدراسات، وتمت إعادة طباعة بعض مؤلفاتها، كما تناول عدد من الباحثين إرثها العلمي ضمن دراسات نقد الاستشراق، مشيرين إلى اختلافها الجوهرى عن الاتجاهات الاستشراقية الاستعلائية التي سادت في أوروبا آنذاك.

المبحث الثاني : التأطير العام للكتاب

يتناول كتاب "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر" لمؤلفته لورا فيشيا فاغلييري مضمونًا وثائقيًا حساسًا يسلط الضوء على الدور الدينى الذى لعبه الكرسي الرسولى فى التخطيط غير المباشر للحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830. وقد بُنى هذا الكتاب على وثائق أصلية محفوظة فى أرشيف الفاتيكان السري، تُظهر شبكة من الاتصالات بين الفاتيكان والسلطات الفرنسية قبيل الحملة، وتبرز الخلفيات الدينية والإستراتيجية التى رافقت الغزو.

* إسم المؤلف/المؤلفة: لورا فيشيا فاغلييري تقديم ايمانويل باتاي وترجمة حميد عبد القادر¹.

*عنوان الكتاب: أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة " يشير إلى مصادر أصلية، و"الحرب الصليبية المجهولة" يلمح إلى بعد ديني مخفي.

¹ - هو كاتب وروائي جزائري، برز اسمه في الساحة الأدبية الوطنية مع بداية الألفية الجديدة، يعمل في مجال الإعلام وله خبرة في الصحافة والتدريس في المدرسة العليا للإعلام والاتصال بجامعة الجزائر 03، له عدة مؤلفات روائية مثل الاتراق، مرايا الخوف، توابل المدينة (2013)، رجل في الخمسين (2019)، بالإضافة إلى مجموعة قصصية بعنوان حكايات مقهى ملاكوف الحزينة، ولا تقتصر كتاباته على المواضيع العاطفية بل يتناول أيضا موضوعات حساسة معقدة تتعلق بتاريخ الجزائر الحديث بما في ذلك أزماته وخفاياه. أنظر: هدى عماري، تعدد الأصوات في رواية توابل المدينة للروائي حميد عبد القادر، مجلة علوم اللغة وآدابها، مج15، ع02، ديسمبر 2023، ص217.

* دار النشر : عالم الأفكار.

* الغرض من الكتاب : وثائقي لأنه ينشر وثائق أصلية من أرشيف الفاتيكان .

المبحث الثالث: تحليل سيميائي لواجهة الكتاب :

01. الدلالة اللفظية: يوحي العنوان بوجود وثائق سرية وحقائق غير مكشوفة سابقاً، تتعلق بغزو

الجزائر، محفوظة في مكان رمزي ومغلق هو "أرشيف الفاتيكان".

02. الدلالة الإيديولوجية: يثير تساؤلات حول العلاقة بين المؤسسة الدينية المسيحية (الفاتيكان)

والاستعمار، مما يضفي طابعاً نقدياً وتاريخياً محملاً بالأبعاد السياسية والدينية

03. الخلفية البصرية: تظهر في الصورة شخصيتان من الخلف ترتديان ألبسة دينية:

- الأولى على اليمين ترتدي زياً كنسياً (بابوياً) بلون ذهبي وتحمل عصا الصولجان.

- الثانية على اليسار ترتدي لباساً أبيض يوحي بالزي ديني الإسلامي.

* تحليل بصري: يخلق هذا التقابل البصري توترًا رمزيًا بين الديانتين المسيحية والإسلامية، ويستحضر

المواجهة بين الشرق والغرب أو بين المستعمر والمستعمر.

* التوضع الخلفي للشخصيات: عدم إظهار الوجوه يُضفي طابعاً غامضاً، كأن القارئ يُطلب منه أن

"يكشف" الحقائق المخفية.

04. الألوان والإضاءة: الطغيان اللوني للأسود في الخلفية يعزز الإحساس بالغموض والسرية، اللون

الذهبي للزي الكنسي يوحي بالسلطة والهيبة، بينما الأبيض يرتبط بالنقاء والقداسة، الوميض وسط

الصورة يرمز ربما إلى "كشف المستور" أو ظهور الحقيقة وسط الظلام.

05. الرموز النصية الأخرى: عبارة "من قبل القوات الفرنسية" وذكر "شارل العاشر" توثق سياقاً تاريخياً

محددًا (الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830).

- ظهور اسم المترجم (حميد عبد القادر) يعزز الطابع البحثي والتوثيقي للكتاب.
- اسم دار النشر "عالم الأفكار" يضيف مصداقية ويوحى بأن العمل موجه للباحثين والجمهور المهتم بالمعرفة الجادة.

- 06. رمزية التقديم:** اسم المقدمة "إمانويل باتاي" يوحي بمشاركة باحث غربي، مما قد يُضفي طابعًا موضوعيًا أو يفتح النقاش حول "وجهة النظر الغربية" في موضوع استعماري حساس.
- 07. الخلاصة السيميائية:** الواجهة تدمج بين الدلالة النصية والبصرية لتنتج خطابًا مزدوجًا: خطاب توثيقي يكشف وثائق سرية ويعيد قراءة تاريخ الغزو الفرنسي، خطاب نقدي رمزي يبرز التداخل بين الدين والسياسة في مشروع استعماري، ويوجه القارئ للتفكير في الأبعاد الخفية للعلاقات الدولية في ذلك العصر.

الفصل الخامس : دراسة تحليلية للكتاب

المبحث الأول : تحليل مضمون الكتاب (المحتوى)

المبحث الثاني : القيمة التاريخية للكتاب

المبحث الثالث : البعد الصليبي للحملة من خلال الكتاب

- تلخيص مقدمة الكتاب :

يُعد كتاب "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية لشارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة"، تأليف المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغلييري، مرجعاً نادراً يكشف عن الدور الخفي للفاتيكان في دعم الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، من خلال وثائق سرية تسلط الضوء على البعد الديني للحرب، حيث اعتُبرت امتداداً للحروب الصليبية.

كما توضح المراسلات خاصة تلك الصادرة عن السفير البابوي في باريس كيف سعى الفاتيكان لإقناع الملك شارل العاشر بشن الحرب على الجزائر بهدف نشر المسيحية في "البلاد البربرية"، وهو ما أكده البابا "بي الثامن" الذي بارك نتائج الغزو واعتبرها انتصاراً للأمم الكاثوليكية. في مقدمة الكتاب، يؤكد المترجم الفرنسي إيمانويل باتاي أن هذا العمل يهدف إلى كشف الحقيقة وراء الغزو بعيداً عن الروايات الرسمية، مُبرزاً التواطؤ بين السلطة الدينية والسلطة الاستعمارية الفرنسية.

المبحث الأول: الفصول البنية/ التنظيمية :

ينقسم الكتاب إلى سبعة محاور رئيسية تشكل هيكلًا متماسكًا في تتبع تطور الموقف البابوي من

الجزائر:

01. الدولة البابوية والقرصنة الجزائرية:

يبدأ الكتاب بتحليل الصورة النمطية التي ترسخت في الذهنية الكاثوليكية عن الجزائر، حيث كانت توصف بـ"عاصمة للقرصنة" و"معقل للوثنية". هذه النظرة لم تكن وليدة اللحظة، بل تراكمت عبر قرون من المواجهات البحرية بين الأساطيل الأوروبية وقوى المغرب الإسلامي، خاصة في البحر الأبيض المتوسط. اعتُبرت الجزائر تهديدًا دائمًا للسفن المسيحية، وأداة عثمانية لزعزعة الاستقرار الأوروبي،

وهو ما مهّد لتبرير أي تحرك عسكري ضدها. وفي هذا السياق، تكشف الكاتبة كيف استُغل الخطاب الديني لتأجيج العداء ضد الجزائر، وتحويلها إلى رمز للشرّ في المتخيل البابوي.

حيث تتطلق المؤلفة من صورة نمطية كانت تُروّج في الدوائر الكاثوليكية عن الجزائر كـ"عاصمة للقرصنة" و"مرتع للوثنية" تهدد السفن المسيحية في المتوسط¹.

02. قصة الاستيلاء على الجزائر:

في هذا المحور، تُفكّك فاغلييري التسلسل الزمني للأحداث التي سبقت الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830، من المراسلات السرية إلى التخطيط العسكري والسياسي. لكنها لا تكتفي بذلك، بل تسلط الضوء على الكيفية التي نظر بها الفاتيكان إلى الحملة: إذ اعتُبرت خطوة "ضرورية" و"مبررة دينياً"، وأداة لـ"نشر النور المسيحي". تُظهر الوثائق أن الكرسي الرسولي لم يكتفِ بالموافقة الضمنية، بل اعتبر الغزو جزءاً من مشروع "العودة المسيحية" إلى الضفة الجنوبية للمتوسط، وهي نظرة تستعيد نفس الحروب الصليبية، وإن بلبوس حديث.

تشرح فيه الخطوات الأولى للحملة الفرنسية، مبرزة كيف نُظر إليها من طرف الكرسي الرسولي كفعل مشروع ومبرّر دينياً².

03. الاتفاقيات مع الدول البربرية الأخرى:

تحلل المؤلفة شبكة المراسلات بين الفاتيكان ودول المغرب الكبير الأخرى، كالمرابطين في تونس والمغرب، وتُبرز كيف سعى الكرسي الرسولي لبناء قنوات تواصل دبلوماسي مع هذه القوى، في محاولة لاحتواء التوترات أو استخدامها كورقة ضغط. هذه المراسلات لا تخلو من الطابع التبشيري، حيث سعت الكنيسة من خلالها إلى فتح منافذ رمزية لتوسيع حضورها في شمال إفريقيا. كما توضح

¹ - لورا فيشيا فاغلييري: المرجع السابق، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 29.

الكاتبة أن هذه الاتفاقيات لم تكن متكافئة، بل نُسجت في سياق الهيمنة الأوروبية، وتمحورت حول حماية الرعايا المسيحيين وتسهيل الأنشطة الدينية.

تحليل لمراسلات الفاتيكان مع دول المغرب الكبير، وكيف كانت الكنيسة تسعى لتوسيع نفوذها الرمزي من خلال تلك العلاقات¹.

04.الدفاع الفرنسي عن البحرية البابوية:

يستعرض هذا الجزء من الكتاب كيف تحالفت فرنسا مع الفاتيكان لضمان أمن السفن البابوية، التي كانت كثيرًا ما تتعرض لهجمات في المتوسط. في المقابل، قدّم الفاتيكان دعمًا أخلاقيًا ودينيًا للغزو، عبر رسائل تشجيع وبيانات تأييد. هذا التبادل بين الحماية العسكرية والدعم الديني يعكس العلاقة التبادلية بين الكنيسة والدولة، ويوضح كيف تم تسخير الدين لخدمة المصالح الاستعمارية. كما يكشف المحور عن أن الفاتيكان لم يكن مجرد مراقب، بل شريك فعّال في التخطيط والتمهيد والتبرير. توضيح كيف دعمت فرنسا الفاتيكان في تأمين سفنها، مقابل دعم كنسي للحملة².

05.مطالب التعويضات من الرعايا البابويين:

في هذا القسم، تبرز الكاتبة كيف تم توظيف دعاوى الرعايا البابويين المتضررين من "القرصنة الجزائرية" كمبرر سياسي وديني للتدخل. هذه المطالبات، التي وُثقت بدقة في الأرشيف، استُخدمت كأداة ضغط على فرنسا للتحرك ضد الجزائر، واعتُبرت دليلاً على "فشل الدولة الجزائرية" في حماية المسيحيين. لعبت هذه الوثائق دورًا مهمًا في تبرير الحرب أمام الرأي العام الكاثوليكي، خاصة بعد أن

¹ - لورا فيشيا فاقيري: المرجع السابق، ص 39 .

² - نفسه، ص 43 .

طُرحت كقضية "عدالة إلهية" يجب أن تُستعاد بالقوة إن لزم الأمر. تُظهر كيف استُخدمت دعاوى التعويض لتبرير التدخل العسكري¹.

06. الكرسي الرسولي والتعاون المصري:

واحدة من المحاور المهمة التي تكشف عنها الوثائق هي العلاقات المعقدة بين الفاتيكان ومحمد علي باشا، والي مصر، الذي كان له طموحات توسعية في البحر الأبيض المتوسط. تشير المراسلات إلى محاولات دبلوماسية لإقامة توازن بين مصالح الكنيسة ومشروع محمد علي. لم يكن هذا التعاون مباشرًا دائمًا، بل شابه الحذر والانتهازية. يسجل الكتاب كيف كانت الكنيسة تراقب باهتمام طموحات محمد علي، وتدرس كيف يمكن توظيفها - أو مواجهتها - بما يخدم النفوذ المسيحي في المنطقة، يبرز العلاقات المعقدة بين الفاتيكان وخطط محمد علي باشا في المتوسط².

07. مشاريع مستقبل الجزائر:

تختتم فاغلييري بتحليل الوثائق التي تتناول رؤية الكنيسة لمستقبل الجزائر بعد الغزو. فقد كانت هناك تصورات واضحة لتحويل الجزائر إلى مركز تبشيري ضخم، ينطلق منه المشروع التنصيري نحو عمق القارة الإفريقية. ورد في بعض الوثائق أن الجزائر يمكن أن تصبح "بوابة لنشر الإيمان في إفريقيا السوداء"، وهو ما يعكس الأبعاد الإستراتيجية العميقة للغزو، ليس فقط كاحتلال سياسي، بل كمرحلة من مراحل مشروع ديني طويل المدى، وثنائى تقترح تحويل الجزائر إلى قاعدة للتبشير والتنصير المسيحي في إفريقيا. كل محور من هذه المحاور مدعوم بمستندات أرشيفية تُدرجها المؤلفة بصيغتها الأصلية مع ترجمة وتعليق علمي، ما يمنح الكتاب طابعًا توثيقًا عالي المصداقية³.

¹ - لورا فيشيا فاغلييري: المرجع السابق، ص 53 .

² - نفسه، ص 57 .

³ - نفسه ، ص. 35-41.

01. موقف الفاتيكانيان من مشروع محمد علي باشا:

بعدما دخلت فرنسا في جدية الصراع مع الجزائر كان لابد عليها أن تواصل مسارها بطريقة أو بأخرى خاصة وأن القيام بالحملة يتطلب إمكانات كبيرة وبشكل خطورة خاصة وأن العدو هو الجزائر وبالتالي سوف يخلق لهم الكثير من الصعوبات والمخاطر ففرنسا لم تكن تريد أن تغامر بجيشها وتوجيهه للجزائر المحصنة وبالتالي وجدوا أن الحل يكمن في استخدام قوة تكون من نفس دينهم وحضارتهم ورقعتهم الجغرافية ووقع الاختيار على مصر التي كان يحكمها محمد علي باشا¹ ويعدّ هذا المشروع من أخطر المشاريع لاحتلال الجزائر².

¹- ولد محمد علي باشا سنة 1769 بمدينة قوله من سلالة ألبانية توفي والده إبراهيم آغا وهو في سن الرابعة من عمره، فتولى أمره عمه طوسون غير أن هذا الأخير وافته المنية بعد مدة وجيزة، فقام بتربيته أحد أصدقاء والده، أما عن والدته محمد علي باشا غير معروفة وذلك بسبب العادات الشرقية التي كانت تقلل من شأن المرأة وتهتمش دورها في المجتمع مما جعل التاريخ يهمل ذكرها، فتعلم الفروسية وألعاب السيف وعندما كبر أصبح شابا قويا التحق بالجهادية أي القوات العسكرية بالدولة العثمانية، وعمل محمد علي في تجارة الدخان وقد برع في تلك التجارة حتى اكتسب شهرة واسعة وثقة عظمى لدى عملائه، يعتبر محمد علي باشا مؤسس الدولة المصرية الحديثة. أنظر:

- عمر الإسكندري وسليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة، 2013، ص122.

- محمد علي الأيوبي: محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص11.

- جرجي زيدان: صفحات من تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، دط، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، 148/2، 149.

- منير غبور وأحمد عثمان: صفحات من تاريخ مصر محمد علي باشا عودة الذاكرة المصرية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2011، ص5.

- فاطمة بن عيسى ودحو فغور: إصلاحات محمد علي باشا في مصر من وجهات نظر مختلفة دراسة تقييمية، مجلة عصور الجديدة، مج10، ع3، سبتمبر 2019، ص ص278-280.

(²)- حاصد عبد الحميد: مشاريع الاحتلال الفرنسي للجزائر 1782/1829، مرجع سابق، ص189.

حيث طرح "دروفيتي" على الأمير بولونياك مشروعا اختصر تماما منذ فترة طويلة حيث عرض الأسباب التي تدفع لحل سريع للمسألة الجزائرية والمصاعب التي تواجه القيام بحملة فرنسية والنفقات التي تتطلبها حيث يقول: "من الممكن تدمير معاقل هؤلاء المسلمين المتوحشين البرابرة بيد أبناء دينهم الذين خضعوا بالفعل لبعض النظام وصاروا أقرب للحضارة محمد علي لن يتوانى عن إرسال جيش بالتنسيق مع فرنسا يغزو تلك البلاد لإخضاعها لمستوى الحضارة والانصياح للباب العالي الذي تتمتع به مصر اليوم"¹.

يعتبر مشروع محمد علي باشا من أخطر المشاريع لاحتلال الجزائر فقد اقترح القنصل الفرنسي بالإسكندرية دروفيتي(Drowetti) على حكومته في سنة 1826 أنه بإمكان محمد علي القيام بحملة ضد الإيالات المغاربية، وفي شهر ديسمبر 1829 وجه رئيس وزراء فرنسا بولينياك(Polignac) مذكرة إلى الملك شرح فيها فوائد المشروع المشترك بين فرنسا ومصر².

فمحمد علي باشا قد اقترح على الأمير بولونياك (Polignac) أن يستولي على طرابلس وتونس والجزائر وإقامة إدارة مماثلة لتلك الموجودة في مصر تحت سيادة السلطان وبذلك يتحصل الباب العالي على مكافأة مالية وفرنسا تحل مشكل القرصنة الجزائرية وأوروبا تستعيد هدوء البحار.

عارضت بريطانيا تدخل محمد علي وتوسعه غربا بالرغم من محاولة هذا إقناعها بأن هدفه مع فرنسا من احتلال بلد مسلم. كما هددت بريطانيا أنها سوف تستعمل القوة ضد مشروع محمد علي وفشل

(1)-جورج داون: مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829-1830، ترجمة عثمان مصطفى، ط1، المركز القومي للترجمة، دم، 2010، ص41.

²-حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الروسية، مرجع سابق، ص ص74، 75.

المشروع بسبب التهديد البريطاني ومعارضة وزيرى الحربية والبحرية الفرنسيين ورفضهما اقتحام محمد علي في قضية الجزائر¹.

ودولة الفاتيكان نجدها أيضا لم تنتظر بإيجابية لفكرة إقامة حكومة إسلامية في شمال إفريقيا، لقد كان لرجال الفاتيكان دور بارز في إفشال مخطط محمد علي باشا حتى أن أهم ما جاء في رسالة وجهها مطران جنوة إلى الكاردينال ألباني: "علي أن أحذركم وبإمكانى أن أضمن بأن تعاون ملك مصر في الحملة تعتبر تعاون محدود للغاية وبالتالي فإن عملية الغزو هاتين الإيالتين بإمكانه أن يأتي بفوائد لملك مصر والإسلام بصفة عامة"².

ثانياً/ الأسلوب التحليلي في قراءة الوثائق:

ما يميز فاقلييري هو عدم اكتفائها بعرض الوثائق، بل تتجاوز ذلك إلى التحليل النقدي، من خلال الربط بين السياق الأوروبي (الحروب، الأزمات الداخلية، التنافس الإمبريالي) وبين الخطاب البابوي الداعي للحرب. وهي تبرهن على أن الطابع الصليبي لم يكن عفويًا أو دعائيًا فقط، بل كان ضمن استراتيجية كنسية قديمة تحيي إرث الحروب الصليبية في قالب استعماري حديث³.

ثالثاً/ تفكيك الخطاب البابوي تجاه المسلمين:

من خلال قراءتها المتأنية للوثائق، تسلط الكاتبة الضوء على النظرة الاستعلائية التي تبناها الفاتيكان تجاه المسلمين، حيث استعملت تعبيرات مثل "الكفار"، "البرابرة"، "الوثنيين"، و"المتوحشين"،

¹-محمد علي الصلابي: موسوعة كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دط، دار المعرفة، بيروت، ص270.

²-لورا فيشيا فاقلييري، مرجع سابق، ص63 .

³-نفسه ص ، 72.

لتبرير الغزو، في إطار ديني يستهدف تنصير السكان الأصليين وتحويل الجزائر إلى مستعمرة كنسية بالدرجة الأولى¹.

رابعاً/ توازن بين العرض والتحليل:

رغم خلفيتها الاستشراقية، تحافظ فافلييري على مسافة نقدية واضحة، إذ تنتقد بشكل غير مباشر التورط البابوي في السياسات الاستعمارية، وتبرز تناقض الكنيسة بين خطابات الروحية وممارساتها السياسية، خاصة عندما تدعو إلى السلم ثم تبارك الغزو العسكري².

خامساً/ الوثائق المستخدمة :

الوثائق المستخدمة في كتاب أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر تُعدّ من أهم عناصر قوّة العمل البحثي الذي قدمته المستشرقة لورا فيشيا فافلييري، إذ أنها اعتمدت على مصادر أولية ذات طابع رسمي وسري، أفرج عنها جزئياً في منتصف القرن العشرين. وفيما يلي تفصيل لأهم أنواع الوثائق التي وظّفها فافلييري في كتابها:

01. مراسلات دبلوماسية بين الكرسي الرسولي والدولة الفرنسية:

تشكّل هذه الرسائل العمود الفقري للكتاب، وتشمل:

- مراسلات بين السفير البابوي في باريس والبابا نفسه.
- رسائل بين الفاتيكان ووزير الخارجية الفرنسي أو الملك شارل العاشر.

¹- محمد العربي الزبيري، الجزائر في مواجهة الاستعمار الفرنسي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص. 55.

²- Boutros Boutros-Ghali, L'Église et la colonisation, Paris: Éditions du Seuil, 1972, p. 113.

- تقارير داخلية توثق مواقف الكرسي الرسولي تجاه تطورات الوضع في الجزائر.

أهمية هذه الوثائق: تُظهر بشكل واضح الموقف الفعلي للكنيسة، بعيداً عن الخطابات العلنية، وتكشف عن دعم ديني ضمني ومباشر للحملة.

02. تقارير استخباراتية وكنسية داخلية:

هذه التقارير كانت ترسل إلى الفاتيكان من أساقفة، رهبان، وسفراء كاثوليك في بلدان شمال إفريقيا، وتتضمن:

- تقييمات للوضع الديني والاجتماعي في الجزائر.

- وصف للوجود الإسلامي ووضع المسيحيين.

- تحليلات حول "فرص التبشير" في المنطقة.

أهمية هذه الوثائق: تعكس كيف كانت الكنيسة تدرس بعناية الأوضاع قبل اتخاذ أي موقف سياسي أو ديني تجاه التدخل العسكري.

03. مذكرات داخلية للفاتيكان:

تضم ملاحظات كتبها الكرادلة أو مستشارو البابا حول:

- الجدوى السياسية والدينية من دعم الحملة.

- إمكانيات الكنيسة بعد الغزو في التوسع التبشيري.

- توصيات حول التعامل مع فرنسا ومحمد علي باشا في آنٍ واحد.

* أهمية هذه الوثائق : تكشف عن الجانب "الاستراتيجي" في تفكير المؤسسة البابوية، ما يجعل من الكتاب مساهمة في فهم السياسة الدينية العالمية للفاثيكان.

04. مطالبات تعويض رسمية من الرعايا البابويين:

الوثائق تضم ملفات مفصلة تقدّمها جهات كنسية أو مدنية بابوية تطالب فيها فرنسا بالتعويض عن خسائر لحقت برعاياها في الجزائر بسبب "القرصنة"، ومن بينها:

- بيانات عن ممتلكات منهوبة أو محتجزة.

- شهادات لضحايا أو أسرى.

- طلبات تدخل عسكري أو دبلوماسي.

أهمية هذه الوثائق : تُظهر كيف استُغلت "المظلومية" الدينية/المدنية كمبرر شرعي للتدخل العسكري.

05. مراسلات حول مستقبل الجزائر بعد الاحتلال:

هذه الوثائق تتحدث عن:

- خطط إنشاء بعثات تبشيرية.

- توزيع الأراضي على مؤسسات كنسية.

- كيفية "إعادة المسيحية" إلى شمال إفريقيا.

أهمية هذه الوثائق :توضح الأبعاد التبشيرية بعيدة المدى، وتؤكد أن الحملة كانت بداية لمشروع ديني متكامل.

الوثائق التي اعتمدت عليها فاغلييري ليست مجرد مصادر تاريخية جامدة، بل أدوات تحليل نقدي تكشف كيف تم توظيف الدين في دعم الاستعمار. وقد أعطى هذا الاعتماد على أرشيف الفاتيكان السري قيمة علمية متميزة للكتاب، إذ أزاح الستار عن مواقف ظلت محجوبة لعقود طويلة.

سادسا/ المفاهيم والخطاب :

الوثائق التي اعتمدتها لورا فيشيا فاغلييري في كتابها تكشف عن خطاب استشراقي-ديني بامتياز، يُحمل الآخر (المسلمين، والجزائريين خصوصاً) صفات سلبية تُبرّر التدخل العسكري والاستعماري. ويمكن تصنيف اللغة المستعملة في الوثائق ضمن المحاور التالية:

01. اللغة الدينية الصليبية:

تستخدم مصطلحات مثل:

"الكفار" - "الشعوب الضالة" - "الوثنيين" - "البرابرة" - "أعداء المسيحية".

✓ تُقدّم الجزائر كأرض "تعيش في الظلام" وتحتاج إلى "نور المسيح".

* مثال تطبيقي من الوثائق:

"إنّ الرب قد مهّد لنا الطريق لاقتلاع الشوكة التي طالما أدمت خاصرة أوروبا، والمتمثلة في القراصنة البربريين".

هذه العبارة تحمل تصوراً دينياً حربياً صليبيّاً، يشبه خطاب الحملات الصليبية في العصور الوسطى.

02. لغة استشراقية ذات طابع تحقيري:

- ✓ يُصَوِّر الجزائريون على أنهم: "غير متمدين" - "متخلفون" - "يعيشون في الفوضى والجهل".
- ✓ تُوصَف الجزائر بأنها: "مرتع للقرصنة" - "عاصمة للعبودية البحرية" - "مستنقع الفوضى الإسلامية".

* مثال من النصوص:

"الجزائر اليوم هي آخر معقل للجهل في الضفة الجنوبية للمتوسط، حيث لا قانون يسود إلا العنف، ولا ضوء إلا سيف الإسلام المتوحش".

03. المفهوم التبشيري للسيطرة:

- ✓ تُبَرَّر الحملة العسكرية بأنها "فتح مسيحي" و"تطهير روحي".**
- ✓ المسلمون يُقدَّمون كأهداف مشروعة للهداية والتنصير.

* نموذج من إحدى المراسلات:

"هذه الأرض لا بدّ أن تُفتَح لنور الرب، فقد طال ظلامها، وحان وقت رجوعها إلى حضن الكنيسة".

04. خطاب أخلاقي يشرعن العنف:

- ✓ تُستخدم تعابير مثل: "حرب مباركة" - "واجب مقدّس" - "رسالة مسيحية في قلب بلاد المسلمين".
- ✓ يُصَوِّر الغزو لا كعدوان، بل كمشروع حضاري/روحي لخلاص الشعوب من أنفسها.
- يتّضح أن الخطاب الوارد في وثائق الفاتيكان لم يكن محايداً أو دبلوماسياً، بل يُجسّد رؤية دينية-استعمارية مركبة، تتقاطع فيها ملامح الاستشراق الكلاسيكي مع خطاب صليبي معاصر. ويستند هذا

الخطاب إلى ثنائية المركز/الهامش، حيث أوروبا تمثل الحضارة والنور، والمسلمون يمثلون الجهل والظلام، وهو منطق يعكس الذهنية الاستعمارية في تبرير الغزو والسيطرة.

03. تحليل المنهجية

تتبع المؤلفة لورا فيشيا فاغلييري في كتاب *أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر* منهجاً وثائقياً تحليلياً، يتمثل في الاعتماد المباشر على الوثائق الأصلية المحفوظة في أرشيف الفاتيكان، والتي لم تكن متاحة للباحثين قبل منتصف القرن العشرين. لا تكتفي الكاتبة بجمع هذه الوثائق، بل تقوم بترجمتها، وشرح مصطلحاتها، وتحديد سياقها الزمني والمؤسسي بدقة، مما يمنح القارئ صورة واضحة عن طبيعتها ومضمونها.

كما يظهر في الكتاب توظيف واضح لمنهج تحليلي نقدي؛ إذ لا تُقدّم الوثائق بوصفها معطيات حيادية أو مسلّمات تاريخية، بل تخضع لتفكيك دقيق يُبرز الخطاب الأيديولوجي الكامن خلفها. تفكك فاغلييري لغة الوثائق لتكشف عن البعد العقائدي والدعائي الذي حملته تلك المراسلات، خاصة فيما يتعلق بتصوير المسلمين والجزائريين، والدور الذي لعبه الدين في تبرير الحملة العسكرية الفرنسية.

إلى جانب ذلك، تتسم فاغلييري بدقة كبيرة في التوثيق العلمي، حيث تذكر مصادر الوثائق بأرقامها وتواريخها ومكان حفظها في الأرشيف البابوي، كما تفرّق بين الوثائق الأصلية وتلك التي نُقلت أو خضعت للرقابة، مما يدل على أمانة علمية عالية ومهارة في التعامل مع المادة الأرشيفية.

وتتميّز أيضاً بقدرتها على ربط الوثائق بالسياق التاريخي العام، إذ لا تُقدّم المراسلات البابوية في عزلة عن الزمن الذي وُلدت فيه، بل تُربط بالتحوّلات السياسية الأوروبية، وصراعات القوى الكبرى، وطبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة، ما يمنح الكتاب بُعداً تفسيرياً يتجاوز العرض الوثائقي إلى بناء فهم أعمق لأسباب الغزو الفرنسي ومبرراته الدينية.

من خلال هذا المنهج المتكامل، استطاعت فاقليري أن تقدّم عملاً يتجاوز طابعه السردى، ليكون مرجعاً وثائقياً وتحليلياً يُعيد النظر في السرديات التقليدية حول الغزو الفرنسي للجزائر، ويضع الفاتيكان في موقع الفاعل السياسي والديني، لا المراقب المحايد.

04. تحديد الأطروحة المركزية :

تتمثل الأطروحة المركزية التي يسعى كتاب أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر إلى إثباتها في أن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 لم تكن مجرد مشروع سياسي أو انتقامي أو اقتصادي، بل كانت حملة تحمل أبعاداً دينية منظّمة، حظيت بدعم صريح وممنهج من قبل المؤسسة الكنسية الكاثوليكية، وتحديدًا من الفاتيكان. ومن خلال تحليل عشرات الوثائق السرية، تكشف المؤلفة لورا فيشيا فاقليري عن الدور المحوري الذي لعبه الكرسي الرسولي في التحريض على الغزو، وفي منحه بُعداً رسالياً شبيهاً بالحروب الصليبية، عبر تبني خطاب "تنوير الشعوب الوثنية" و"نشر نور المسيح في بلاد البربر".

يركز الكتاب على إعادة قراءة الحدث من زاوية دينية-استشراقية، مبرّراً كيف أن الكنيسة الكاثوليكية لم تكن بعيدة عن المشروع الاستعماري الفرنسي، بل كانت شريكاً فيه، توفّر له الغطاء الأخلاقي والديني، وتسهم في تعبئة الرأي العام المسيحي لقبوله. بهذا، لا يعيد الكتاب إنتاج الرواية الكلاسيكية التي تختزل الحملة في بعديها السياسي والاقتصادي، بل يطرح رؤية جديدة تعيد إدراج الفاعل الديني الكنسي في قلب الفعل الاستعماري، وهو ما يجعل العمل مساهمة نوعية في إعادة تشكيل فهمنا لتاريخ العلاقات بين أوروبا الكاثوليكية والعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر.

05. مقارنة بالمصادر الأخرى :

هذا الكتاب يختلف بشكل واضح عن أغلب الكتب التي تناولت الغزو الفرنسي للجزائر، والتي غالباً ما تركز على الأسباب السياسية والاقتصادية فقط، مثل حادثة المروحة أو الرغبة في السيطرة على

المتوسط. ما يميّز أرشيف الفاتيكان السري هو أنه يفتح نافذة جديدة على الحدث، من خلال وثائق كنسية لم تكن معروفة من قبل، ويكشف أن هناك بعداً دينياً واضحاً في خلفيات الحملة، لم يكن يُذكر كثيراً في المصادر التقليدية.

بعكس الرواية الرسمية التي قدمت الغزو على أنه خطوة "لتمدين" الجزائر ومحاربة "القرصنة"، يُظهر الكتاب أن الفاتيكان كان طرفاً فاعلاً ومؤيداً، بل ومحرضاً أحياناً، معتبراً الحملة وسيلة لنشر المسيحية في شمال إفريقيا. هذا الطرح يضعنا أمام سردية بديلة تسلط الضوء على الجانب الصليبي-الديني الذي كان مغيباً أو مهمّشاً في كثير من الدراسات.

بالتالي، لا يكرّر الكتاب ما قيل سابقاً، بل يضيف معلومات جديدة، ويقدم قراءة أعمق ومختلفة، ويطرح أسئلة جديدة حول دور الكنيسة في تاريخ الاستعمار الأوروبي.

تعد الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830 من أبرز الأحداث التاريخية التي شكلت منعطفاً حاسماً في تاريخ الجزائر، وقد تناولت العديد من المصادر هذا الحدث من زوايا مختلفة، ففي مذكرات أحمد الجزائري¹ نجده يقدم رؤية مزدوجة للحملة الفرنسية فمن جهة يعتبر أن الاحتلال لم يكن مفاجئاً بل

¹ هو محمد بن أحمد الشريف، ولد في الجزائر العاصمة في أواخر القرن التاسع عشر، عرف بلقب ابن الترجمان نظراً لإلمامه باللغات الأجنبية مما ساعده في أداء مهامه الدبلوماسية والعسكرية. تلقى تعليمه وتدريبه العسكري في مرحلة شبابه ثم انتقل إلى مدينة أزمير التركية حيث استقر هناك وواصل دراسته وتعليمه، وخلال هذه الفترة كتب رسالة حول مناقب الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري مما يدل على اهتمامه بالعلوم الدينية والتاريخية، كما اشتهر بكتاباتاته في مجالات الحديث والتاريخ والطب النبوي. لم تحدد المصادر التاريخية تاريخ وفاته لكن الثابت أنه عاش بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830. أنظر:

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص 364.
- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ط 02، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980، ص 107.

- بلخوجة محمد: مؤرخو الجزائر في العهد العثماني، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 230.

نتيجة طبيعية لسنوات من الضعف والفساد الداخلي، ومن جهة أخرى لا يتردد في إدانة الاستعمار الفرنسي إدانة شديدة واصفا ممارساته البربرية أو مسلطا الضوء على عمليات القتل والسلب وهناك الحرمان التي أصابت سكان الجزائر، وكيف تفكك النسيج الاجتماعي بفعل الممارسات الاستعمارية الوحشية، كما وجه انتقادا ضمنيا للقيادات التي فشلت في توجيه صفوف الشعب مشيرا إلى دور التفرقة الداخلية في تسهيل مهمة الاحتلال. هذا الموقف المزدوج بين نقد الداخل وفضح الخارج يجعل من كتابه مصدرا نادرا لتفكيك آليات الاحتلال من الداخل الجزائري¹.

أما العنتري فبالرغم من أنه لم يتناول الحملة الفرنسية على الجزائر بشكل صريح لأن مضمون كتابه يسبق الغزو الفعلي لقسنطينة، فإن أهمية الفريدة المنسية تكمن في أنه يوثق مرحلة حاسمة سبقت الاحتلال مباشرة، فالمدينة كما يصفها كانت تعاني من تفكك داخلي وصراعات على الحكم بين القيادات المحلية، إلى جانب ضعف الإدارة العثمانية المركزية، ويكشف كتابه عن هشاشة بنية الدولة وتراجع القيم الاجتماعية وانتشار مظاهر الفساد، مما يجعل القارئ يستنتج أن الظروف كانت مهيأة لتدخل خارجي حاسم.

وعليه فإن كتاب العنتري لا يُقرأ بوصفه نقدا مباشرا للغزو الفرنسي وإنما باعتباره وثيقة تبرز الخلفية التي مهدت له، وتضيء الزوايا المعتمدة التي غالبا ما تغيب عن التحليلات الرسمية². وفي كتابه يُظهر العنتري الحملة الفرنسية كحدث كارثي أثر بشكل كبير على الجزائر، مبرزا الجوانب السلبية لهذا الاحتلال مشيرا إلى أن المجاعات التي ضربت قسنطينة بين عامي 1866 و 1868 كانت نتيجة

-اسماعيل زيان، قراءة لترجمة الشيخ محمد بن أحمد الجزائري في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 08، ع 03، 2023، ص90.

¹-أحمد الجزائري: كيف دخل الفرنسيون الجزائر، تح عبد الحفيظ سطايجي، دط، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص27-42.

²-رابع لونيبي: كتابات محلية جزائرية حول الاحتلال الفرنسي-قراءة تحليلية-، منشورات ملتقى الذاكرة الوطنية، الجزائر، 2015، ص34.

لتضافر عوامل طبيعية وبشرية، مثل الجفاف، الجراد، والاحتلال الفرنسي، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب ونفاذ الأغذية من المخازن، ونتيجة لذلك، لجأ الأهالي إلى أكل الجيفة مما ساهم في انتشار الأمراض كالقوليرا، والتيفوس، كما تزايدت أعمال العنف والنهب من قبل الأهالي، مما زاد من حدة الفقر في المدينة¹.

المبحث الثاني: القيمة التاريخية للكتاب

يمثل كتاب أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر مرجعاً فريداً من نوعه، يجمع بين القيمة الوثائقية والمعالجة التحليلية. فمن جهة، يمكن اعتباره مصدراً أولياً نظراً لما يحتويه من وثائق أصلية مستقاة مباشرة من أرشيف الفاتيكان، لم تُنشر من قبل، تشمل مراسلات ومواقف رسمية تكشف عن التفاعل المباشر بين الكرسي الرسولي والدولة الفرنسية قبيل الحملة على الجزائر. ومن جهة أخرى، يُعد أيضاً مصدراً تحليلياً بامتياز، حيث تقوم المؤلفة لا بعرض الوثائق فحسب، بل أيضاً بتأطيرها في سياقها السياسي والديني والجهوي، مع تقديم شروح دقيقة وتفسيرات مدعومة بخلفية تاريخية عميقة.

من حيث المصادقية والموضوعية، يتسم العمل بدرجة عالية من الدقة الأكاديمية. فالمؤلفة لا تكتفي بجمع الوثائق، بل تمارس نقداً تاريخياً على محتواها، ولا تتقلها كحقائق مطلقة، بل تُظهر كيفية توظيف اللغة والمصطلحات في تلك المرحلة لخدمة أجندات دينية وسياسية. هذا الطرح النقدي يعزز من موضوعية الكتاب، ويبعده عن التبني غير الواعي للخطاب الاستشراقي أو التبيري. كما أن الكاتبة تُظهر وعياً بتاريخ العلاقات الأوروبية-الإسلامية، وتتفادى الانزلاق في التعميمات أو الأحكام المسبقة.

أما من حيث فئة القراء المستهدفة، فإن الكتاب يخاطب بالأساس الباحثين والمؤرخين المتخصصين، خصوصاً في ميادين التاريخ الاستعماري، وتاريخ الكنيسة، والدراسات الدينية،

¹ -العنتري، المصدر السابق، ص 10-19.

والعلاقات الإسلامية-المسيحية. كما يشكّل مادة غنيّة للباحثين في الاستشراق ودراسات ما بعد الاستعمار، لما يقدّمه من أمثلة حيّة عن تداخل الدين والسياسة في الخطاب الأوروبي تجاه العالم الإسلامي. وفي الوقت نفسه، يمكن للقارئ العام المثقف أن يجد فيه مادة ممتعة ومثيرة للتأمل، شريطة أن يمتلك الحد الأدنى من الخلفية التاريخية التي تساعد على متابعة النقاشات وتحليل المواقف.

بالتالي، فإن أهمية هذا الكتاب لا تكمن فقط في محتواه، بل في الطريقة التي يفتح بها النقاش حول أدوار كانت مغيّبة أو مسكوتاً عنها في الكتابات الكلاسيكية، ويعيد بذلك رسم خريطة الفاعلين في حملة 1830، ليس فقط على أساس المصالح السياسية، بل من خلال فهم أعمق للأبعاد العقائدية والدينية التي رافقت المشروع الاستعماري.

07. خلاصة نقدية :

يمثل كتاب أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر مساهمة نوعية في إعادة قراءة الحملة الفرنسية من زاوية دينية قلما تناولتها الدراسات التاريخية الكلاسيكية. تعتمد المؤلفة منهجاً وثائقياً تحليلياً، يزاوج بين الترجمة الدقيقة للوثائق البابوية وتحليل مضمونها في سياقها الزمني والسياسي. ومن أبرز نقاط القوة في العمل، اعتماده على أرشيفات لم تكن منشورة سابقاً، ما يمنحه قيمة كمصدر أولي نادر، إضافة إلى جرأة الطرح في الكشف عن تواطؤ الكنيسة الكاثوليكية في الحملة. غير أن الكتاب، رغم عمقه الوثائقي، يظل في بعض فصوله أحادي المصدر، حيث يغيب فيه صوت "الآخر" الإسلامي، ولا تُقارن الرواية البابوية بمصادر محلية جزائرية أو عثمانية. كما يُلاحظ تركيز كبير على اللغة والخطاب دون تتبع كافٍ للآثار الاجتماعية والسياسية للحملة على الأرض. يفتح هذا العمل أسئلة عديدة حول العلاقة بين الدين والسياسة في التاريخ الكولونيالي، ويدعو إلى مراجعة نقدية للسرديات الأوروبية التي طالما فصلت بين الكنيسة والمشروع الإمبريالي.

* نقاط القوة:

01. الاعتماد على مصادر أصلية نادرة:

من أبرز مزايا الكتاب اعتماده على وثائق محفوظة في أرشيف الفاتيكان، لم تكن متاحة للباحثين من قبل. هذا ما يمنحه قيمة فريدة كمصدر أولي يسلط الضوء على وجهات نظر كانت مغيبّة عن السرديات التقليدية لتاريخ الاستعمار الفرنسي.

02. تحليل نقدي للخطاب الديني:

تتعامل المؤلفة مع الخطاب الكنسي بدراسة تاريخية، فتبرز الأبعاد العقائدية والسياسية الكامنة خلف المصطلحات الدينية، دون أن تقع في فخ التبرير أو الإدانة المباشرة. بل تعتمد قراءة نقدية متزنة تكشف آليات تبرير العنف باسم الدين.

03. هيكل موضوعية وواضحة:

فُسم الكتاب إلى محاور دقيقة تعكس تطور الموقف البابوي من الجزائر بشكل منهجي، مما يسهل على القارئ تتبع تسلسل الأحداث والمواقف، دون الوقوع في التكرار أو التشويش.

04. مساهمة في إعادة كتابة تاريخ الحملة:

يقدم الكتاب سردية جديدة للحملة الفرنسية، تُظهر البعد الديني-الصليبي الذي غالبًا ما غُيب في الأدبيات الفرنسية التقليدية، مما يفتح الباب أمام إعادة تقييم دور الكنيسة في المشروع الاستعماري الأوروبي.

* نقاط الضعف:

01. غياب المقارنة مع الوثائق الجزائرية أو العثمانية:

رغم تركيز المؤلفة على الجانب البابوي، إلا أن غياب منظور الطرف الآخر -أي المسلمين أو السلطات الجزائرية والعثمانية- يحدّ من شمولية التحليل، ويجعل الرواية أحادية المصدر في بعض الأحيان.

02. التركيز المفرط على الخطاب دون دراسة أوسع للسياق الاجتماعي:

بعض فصول الكتاب تركّز بشدة على تحليل اللغة والمراسلات، دون أن توسّع النقاش ليشمل التبعات الاجتماعية أو الميدانية للحملة على الشعب الجزائري، ما يضعف الأثر الإنساني للبحث.

03. نقص في التحليل السياسي المقارن:

لم تُعالج المؤلفة بعمق كيف تفاعل باقي الفاعلين الأوروبيين مع موقف الفاتيكان، أو كيف تأثرت سياسات فرنسا الداخلية (خاصة في عهد شارل العاشر) بهذا الدعم الديني، وهو مجال كان بالإمكان تعزيزه.

* أسئلة يفتحها الكتاب ولا يجيب عنها:

- ✓ كيف كانت ردود فعل رجال الدين في الجزائر أو علماء المسلمين تجاه الخطاب البابوي؟ وهل هناك مراسلات مضادة أو تأويلات مغايرة؟
- ✓ إلى أي مدى أثّرت هذه المواقف الدينية في مسار الحملة الفرنسية فعليًا على الأرض؟ أم أنها كانت مجرد غطاء خطاباتي؟
- ✓ هل استمرّ تأثير الكنيسة الكاثوليكية في السياسات الفرنسية بعد الاحتلال؟ وكيف تطوّرت العلاقة بين فرنسا الكولونيالية والفاتيكان لاحقًا؟ .

ومنه كتاب أرشيف الفاتيكان السري يُعدّ إضافة نوعية للمكتبة التاريخية، لما يقدمه من مواد وثائقية نادرة وتحليل نقدي عميق للخطاب الديني الكنسي في لحظة استعمارية حاسمة. وهو عمل يجمع بين التوثيق الرصين والتحليل الفكري، إلا أنه يظل بحاجة إلى مقارنات أوسع مع أطراف أخرى لتكتمل صورة المشهد. ومع ذلك، يفتح الكتاب بابًا مهمًا للنقاش حول الأبعاد الدينية في الاستعمار الأوروبي، ويحفّز الباحثين على إعادة النظر في دور الكنيسة في تكوين السياسات الإمبريالية الغربية.

يُعد كتاب "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر" مصدرًا أرشيفيًا فريدًا يفتح نافذة جديدة على مرحلة دقيقة من تاريخ الجزائر، وهي مرحلة الاحتلال الفرنسي، حيث يتناول الوثائق المحفوظة في أرشيف الفاتيكان التي لم تكن متاحة سابقًا للباحثين. وتكمن القيمة التاريخية لهذا المؤلف في عدة مستويات، نوردّها فيما يلي:

أولاً/ الكشف عن وثائق سرية جديدة:

إن أهم ما يمنح هذا الكتاب قيمته التاريخية الخاصة هو اعتماده على وثائق محفوظة في أرشيف الفاتيكان، لم تُنشر من قبل، تخص الفترة الممتدة بين أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهي وثائق دبلوماسية ومراسلات رسمية بين الكرسي الرسولي والدولة الفرنسية، توضح موقف الفاتيكان من الجزائر وسكانها، ومن الحملة الفرنسية بوجه خاص. هذه الوثائق تبرز تدخلًا دينيًا ضمن مسعى سياسي توسعي، ما يعزز فهم الخلفية الدينية للحملة الاستعمارية.

يُشكّل كتاب "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر" نقلة نوعية في التعامل مع تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر، لما يقدّمه من وثائق أرشيفية لم تكن متاحة للباحثين من قبل. تتمثل أهمية هذه الوثائق في كونها دبلوماسية ورسمية، محفوظة في أرشيف الفاتيكان، تعود إلى الفترة الممتدة من أواخر القرن الثامن عشر إلى بدايات القرن التاسع عشر، وهي مرحلة شديدة الحساسية في العلاقات بين أوروبا الكاثوليكية والعالم الإسلامي. ومن خلال هذه الوثائق، تكشف لورا فيشيا فاقليري عن تفاصيل خفية تخص المراسلات بين الكرسي الرسولي والحكومة الفرنسية، والتي تُبرز دور الفاتيكان في النظر إلى الجزائر ليس فقط كمجرد كيان سياسي معادٍ أو مصدر تهديد بحري، بل كفضاء يجب إخضاعه دينيًا، ما يسلط الضوء على البعد العقدي الذي كان يغذي السياسات التوسعية الغربية في تلك الفترة.

ثانيًا/ تسليط الضوء على دور الفاتيكان في التمهيد للحملة:

لم يكن الفاتيكان طرفاً بعيداً عن سياق الحملة الفرنسية، بل كان، كما تُظهر الوثائق، أحد المحرّضين على تنفيذها. فقد راسل السفير البابوي في باريس الملك شارل العاشر، وبارك الخطوات الأولى للحملة، وعدّها فرصة "لتخليص البحر الأبيض المتوسط من القرصنة، وإدخال نور المسيحية إلى شمال إفريقيا". هذه المعطيات تعزز فكرة أن الحملة لم تكن فقط لأهداف اقتصادية أو رد اعتبار سياسي، بل كانت أيضاً ذات طابع ديني/صليبي، وهو بعد نادراً ما يُذكر في الأدبيات التاريخية التقليدية.

يفنّد الكتاب الفرضية الشائعة التي تصور الفاتيكان كمؤسسة دينية روحية فقط، بعيدة عن السياسات التوسعية الاستعمارية، ويثبت العكس تماماً من خلال الوثائق التي تُظهر دعم الكرسي الرسولي المسبق والمباشر للحملة الفرنسية على الجزائر. فقد لعب السفير البابوي في باريس دوراً محورياً في التواصل مع الملك شارل العاشر، مشجعاً إياه على المضي قدماً في مشروع الغزو، مستعملاً خطاباً دينياً صريحاً يصف الحملة بأنها "وسيلة لتخليص البحر الأبيض المتوسط من القرصنة" و"فرصة لنشر نور المسيحية في شمال إفريقيا". إن هذا الخطاب يعكس رؤية صليبية مضمرة، تلبس لبوس الدبلوماسية، وتُخفي وراءها استراتيجية كنسية تُبارك السيطرة العسكرية باعتبارها امتداداً لرسالة التبشير والهيمنة الدينية. هذا الكشف يعيد ترتيب أولويات التفسير التاريخي، حيث يبرز أن الدافع الديني لم يكن هامشياً، بل أساسياً في تبرير الاحتلال.

ثالثاً/ مصدر بديل للرواية الاستعمارية التقليدية:

ما يميز هذا الكتاب أيضاً هو تقديمه لرواية مغايرة لتلك التي رُوّجت لها من طرف الدولة الفرنسية إبّان الاستعمار، والتي غالباً ما ركّزت على "الحضارة والتّمدّن" كدوافع للحملة. على العكس من ذلك، توضح الوثائق البابوية أن الدوافع الحقيقية كانت خليطاً من الطمع الاقتصادي، والرغبة في الانتقام من حادثة المروحة، والتخطيط الديني لتوسيع الهيمنة المسيحية، وهو ما يمنحنا قراءة أكثر عمقاً للأحداث ويدفع لإعادة النظر في المسلمات التاريخية السائدة.

أحد أبرز إسهامات هذا العمل هو أنه يشكل بديلاً نقدياً للرواية الفرنسية الاستعمارية التي سادت لقرنين، والتي برّرت الغزو تحت شعارات "نشر الحضارة" و"التمدين". توضح فاغلييري، بالاستناد إلى الوثائق البابوية، أن هذه السردية لم تكن إلا غطاءً أيديولوجياً يُخفي دوافع أكثر تعقيداً تتعلق بالطمع الاقتصادي، والانتقام السياسي من حادثة المروحة، والأهم: تنفيذ مشروع ديني يتكامل مع رؤية الفاتيكان في استعادة "المجد المسيحي" في البحر الأبيض المتوسط. وتُظهر هذه الوثائق أن الكنيسة لم تكن فقط شريكة صامتة، بل فاعلاً أساسياً في هذا المشروع. ومن هنا، فإن هذا الكتاب لا يكفي بنقض السردية الرسمية، بل يُعيد بناء تفسير تاريخي أكثر توازناً، يُظهر أن الاستعمار لم يكن فقط مسألة مصالح اقتصادية، بل كان نتاج تضافر مصالح دينية وسياسية واقتصادية متشابكة.

رابعاً/التاريخ لمواقف أوروبية متعددة تجاه الجزائر:

يُبرز الكتاب أيضاً كيف كانت الجزائر حاضرة في المخيال السياسي والديني الأوروبي، حيث تناولت الوثائق البابوية العلاقات بين الدولة البابوية والدولة العثمانية، وكيف كانت الجزائر تمثل تحدياً للدبلوماسية والكنيسة في آن معاً. كما تُظهر الوثائق مساعي الفاتيكان لعقد اتفاقيات مع "الدول البربرية" والتفاوض من أجل تأمين مصالحها ورعاياها، ما يكشف عن شبكة معقدة من العلاقات الدولية التي كانت الجزائر جزءاً فاعلاً فيها.

يتعدى الكتاب حدود العلاقة بين فرنسا والجزائر، ليقدم تصوراً أوسع لطبيعة الموقع الذي شغلته الجزائر في المخيال السياسي والديني الأوروبي. فاغلييري تُبرز كيف كانت الجزائر تمثل في نظر الفاتيكان والدول الأوروبية "قوة مزعجة" داخل الفضاء المتوسطي، لا سيما بسبب ارتباطها بالدولة العثمانية، وما تمثله من حضور إسلامي قوي ومؤثر. وتُظهر الوثائق البابوية محاولات متكررة لعقد اتفاقيات مع ما سُمي آنذاك "الدول البربرية" بغرض حماية المصالح البابوية والرعايا المسيحيين. كما تكشف عن وجود شبكة دبلوماسية معقدة كانت الجزائر ضمن أطرافها الفاعلة، مما يعكس دينامية

العلاقات الدولية في القرن التاسع عشر، ويؤكد أن الجزائر لم تكن مجرد "هدف استعماري"، بل لاعب سياسي يستدعي جهودًا دبلوماسية ودينية لاحتوائه.

خامساً/ توثيق الأبعاد الإنسانية والمالية للصراع:

تشير بعض الوثائق إلى مطالبات بتعويضات من قبل الرعايا البابويين المتضررين من "القرصنة الجزائرية"، وتوضح كيف استخدمت هذه المطالبات كذريعة للضغط على فرنسا والتحريض على التدخل العسكري. هذه الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية تسهم في تقديم صورة أوضح عن التداخل بين الدين، الاقتصاد، والسياسة في التخطيط للغزو. بناءً على ما سبق، يمكن القول إن كتاب "أرشيف الفاتيكان السري" لا يُعد فقط مؤلفاً تاريخياً سردياً، بل هو مصدر وثائقي من الدرجة الأولى، يساهم في تصحيح مسارات الفهم التاريخي لحملة 1830 على الجزائر، من خلال تقديم معطيات أرشيفية دقيقة وذات مصداقية عالية، مما يمنحه مكانة مرموقة في الدراسات التاريخية الخاصة بالاستعمار الأوروبي والمواقف الدينية المرافقة له.

لا تقتصر الوثائق التي اعتمدت عليها فافلييري على الجوانب الدبلوماسية والسياسية، بل تتعداها لتلمس أبعاداً إنسانية واقتصادية غالباً ما يتم تجاهلها. فهناك مراسلات عديدة توثق شكاوى من رعايا بابويين تعرّضوا لمضايقات أو احتجازات من طرف السلطات الجزائرية، وكانوا يطالبون بتعويضات مالية، وهو ما استخدم لاحقاً كذريعة إضافية لممارسة ضغوط على الدولة الفرنسية للتحرك عسكرياً. ومن خلال هذا التوثيق، يتضح كيف تم تحويل المعاناة الفردية لبعض الرعايا الأوروبيين إلى أدوات سياسية تُسهم في شرعنة الغزو. إن التركيز على هذه الأبعاد يُثري الفهم التاريخي للحملة، ويكشف عن تضافر الدين والمال والسياسة في بلورة القرار الاستعماري.

انطلاقاً من هذه المحاور، يتبين أن كتاب "أرشيف الفاتيكان السري" ليس مجرد دراسة وصفية لأحداث معروفة، بل هو عمل تأريخي عميق يعيد قراءة الماضي من خلال عيون أرشيفية جديدة،

ويسلط الضوء على تداخل الدين بالسياسة في لحظة مفصلية من تاريخ العالم الإسلامي. إنه مساهمة نوعية في مراجعة الروايات الاستعمارية، ويعد من بين القلائل الذين انتبهوا إلى أهمية الكنيسة الكاثوليكية كمكون فاعل في المشروع الإمبريالي الأوروبي. لهذا، فإن مكانته الأكاديمية لا تقتصر على مجال الدراسات الإسلامية أو التاريخ المغربي، بل تمتد لتشمل حقول العلاقات الدولية، وتاريخ الأديان، ونقد الاستشراق.

المبحث الثالث : البعد الصليبي للحملة الفرنسية على الجزائر من خلال الكتاب

تكشف الوثائق التي يتضمنها كتاب "أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر" عن حضور قوي للبعد الديني في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، حيث لم تكن مجرد حملة استعمارية ذات أهداف اقتصادية أو سياسية فحسب، بل كانت في جوهرها تحمل طابعاً صليبيًا واضحاً، برعاية الكرسي الرسولي، وبمباركة من الفاتيكان، الذي سعى لإضفاء شرعية دينية على الغزو، وتقديمه في صورة "حرب مقدسة" ضد "الكفار" و"القراصنة المسلمين".

أولاً/ تشجيع الفاتيكان للحملة باسم نشر المسيحية:

من أبرز ما يظهر في الوثائق هو إصرار الفاتيكان، ممثلاً بالسفير البابوي في باريس، على تقديم الحملة كفرصة "لتخليص شمال إفريقيا من الجهل والوثنية"، ودعوة الملك شارل العاشر لاستغلال هذه الفرصة "لتوسيع نور المسيح في بلاد البربر". هذا الخطاب لا يختلف كثيراً عن الخطاب الذي استخدم في القرون الوسطى خلال الحملات الصليبية، حيث يُصور التدخل العسكري في بلاد المسلمين على أنه فعل نبيل ومبارك من أجل الدين.

تكشف الوثائق عن أن الفاتيكان لم يكتفِ بدور المراقب، بل شجّع الحملة الفرنسية على الجزائر واعتبرها وسيلة لنشر الدين المسيحي في شمال إفريقيا. فقد صور السفير البابوي التدخل العسكري

كعمل "خيري" يهدف إلى "هداية الشعوب البربرية"، وهي نظرة تستعيد مفاهيم الحملات الصليبية القديمة، حيث تم تقديم الغزو كرسالة دينية نبيلة.

ثانيًا/ توظيف المصطلحات الدينية الصليبية في المراسلات:

اللغة المستعملة في الوثائق تكشف عن نبذة دينية واضحة، إذ يُشار إلى الجزائر كـ"معقل للوثنية"، وتُوصف الحملة بأنها "تحرير للمسيحيين من براثن المسلمين". كما ورد في إحدى المراسلات: "إن الرب قد مهّد لنا الطريق لاقتلاع الشوكة التي طالما أدمت خاصرة أوروبا، والتمثلة في القراصنة البربريين". هذه اللغة لا تترك مجالاً للشك في الطابع العقائدي الذي ألبس للحملة.

الخطاب الدبلوماسي البابوي كان مفعماً بالمصطلحات العقائدية، حيث تم توصيف الجزائر كمنطقة خارجة عن النور المسيحي، والحملة على أنها "تحرير" من سيطرة الإسلام. هذا النوع من اللغة يدل على أن العملية العسكرية كانت محمّلة بدلالات دينية تتجاوز الأهداف السياسية والاقتصادية الظاهرة

ثالثًا/ الربط بين الحملة واستعادة أمجاد الكنيسة:

تشير بعض الوثائق إلى أن الفاتيكان اعتبر استيلاء فرنسا على الجزائر انتصاراً للكنيسة الكاثوليكية، وفرصة لـ"استعادة الدور الرسالي للكرسي الرسولي" في شمال إفريقيا. فالحملة، بحسب تعبير البابا "بي الثامن"، تُعد "جزءاً من المسيرة المسيحية الكبرى في العالم المتوسطي"، وهو تعبير يوازي بشكل واضح مشروع "استعادة الأرض المقدسة" الذي كان يحفز الحملات الصليبية السابقة.

رأى الفاتيكان في الحملة فرصة لاسترجاع مكانة الكنيسة في البحر الأبيض المتوسط، واعتبرها خطوة لإحياء الدور الكاثوليكي التبشيري في المنطقة. هذا الربط بين الغزو واستعادة "هوية المسيحية" يؤكد وجود خلفية دينية قوية وراء الدعم البابوي.

رابعاً/ دعم الكنيسة الفرنسية للحملة مادياً ومعنوياً:

أظهرت الوثائق دعماً مباشراً من قبل الكنيسة الفرنسية للحملة، من خلال تعبئة الرأي العام الكاثوليكي، وتجنيد رجال الدين لتبرير الحرب دينياً، وتقديمها على أنها عملٌ مقدّس. بعض الأبرشيات الفرنسية جمعت تبرعات لدعم القوات الفرنسية "التي تسير لهداية أهل الجزائر". وهو ما يؤكد التعاون بين المؤسسة الدينية والمؤسسة العسكرية لتحقيق أهداف استعمارية ودينية في آن واحد.

لم يكن الدعم البابوي مقتصرًا على الجانب الرمزي، بل شاركت الكنيسة الفرنسية بشكل فعال في تعبئة المجتمع الكاثوليكي لصالح الحملة. نظّمت الأبرشيات حملات لجمع التبرعات وقدمت الغزو على أنه "واجب ديني"، ما يظهر مدى تواطؤ المؤسسة الدينية في المشروع الاستعماري.

خامساً/ التوظيف الديني لتبرير العنف والاحتلال:

من أخطر ما تكشفه الوثائق، هو محاولة إعطاء بعد أخلاقي للعنف والدمار الذي خلفته الحملة، حيث برّرت بعض التقارير البابوية ما حدث في الجزائر بأنه "تطهير روحي"، و"فتح مسيحي مبارك"، وهو ما يُعبّر عن منطق استعلائي يشرعن العنف باسم الدين، ويُذكّر بنفس المبررات التي اتكأ عليها قادة الحملات الصليبية في العصور الوسطى.

تُظهر الوثائق أن الكنيسة حاولت إضفاء شرعية دينية على العنف الذي رافق الحملة، عبر وصفه بأنه "تطهير روحي" و"فتح مبارك". هذه التبريرات تعكس رؤية استعلائية تُجيز القتل والدمار ما دام الهدف هو "نشر الإيمان"، وهي عقلية شبيهة بتلك التي سادت خلال الحملات الصليبية.

يتضح من خلال مضمون كتاب "أرشيف الفاتيكان السري" أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكن منعزلة عن التوجهات الدينية الكاثوليكية في أوروبا، بل كانت امتداداً واضحاً لفكرة الحروب الصليبية، التي استُحضرت رمزياً وخطابياً ومؤسساتياً لتبرير الغزو. فقد لعب الفاتيكان دوراً محورياً في إضفاء طابع ديني على الحملة، وتحويلها من مجرد صراع سياسي إلى "مهمة مقدسة"، وهو ما يضعنا أمام

ضرورة إعادة قراءة التاريخ الاستعماري للجزائر من زاوية دينية-صليبية كانت مغيّبة أو مهمّشة في السرديات الكلاسيكية.

خلاصة الفصل

من خلال تحليل كتاب "أرشيف الفاتيكان السري" تبين أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكن مجرد حملة عسكرية استعمارية فحسب، بل حملت في طياتها أبعاداً دينية واضحة تجسدت في تواطؤ الكرسي الرسولي والدولة البابوية مع فرنسا، وهو ما تثبته الوثائق والمراسلات التي تناولها الكتاب. كما كشفت الدراسة عن القيمة التاريخية الكبيرة للمصدر، كونه يتيح للباحثين فهماً أعمق لخلفيات الغزو الفرنسي من منظور غير تقليدي، ويفتح آفاقاً جديدة لدراسة العلاقة بين الدين والسياسة في الحقبة الاستعمارية. وقد ساهم المنهج الوصفي والتحليلي المعتمد في إبراز الأبعاد الخفية لمضمون الكتاب، مما يؤكد أن هذه الوثائق تشكل مادة أرشيفية حيوية لفهم السياسات الاستعمارية في منطقة المغرب العربي.



الخاتمة

يتضح من خلال دراستنا الموضوع نستنتج ما يلي :

إن تاريخ الجزائر حضي بإهتمام كبير من طرف الكتاب الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وقد كان وراء هذا الاهتمام عدة دوافع دينية منها وأخرى علمية كما نجد أيضا دافع السيطرة والتوسع تحت شعار نشر الحضارة ومن الواضح أنه لم تأسس الأحكام التاريخية وآراء المتميزة التي ميزت كتابات المؤرخين الغربيين عموما والفرنسيين حول الجزائر وتاريخها بشكل خاص على قراءة موضوعية وأبحاث ودراسات معمقة للوثائق والتاريخ الجزائري الحقيقي بل كان مستوحاة من انطباعات الرحلات الأوروبيين وتقارير قناصل الأوروبيين فمعظم هؤلاء مؤرخين لم يكونوا متخصصين معظمهم من الهواة والرحالة كما نلاحظ بأن تاريخ الجزائر تعرض إلى التشويه وتزييف الحقائق التاريخية حيث سادت عليه الكثير من المغالطات التي تبنتها المدرسة الاستعمارية الفرنسية التي سعت جاهدة من محو الشخصية الأمة الجزائرية واعتبارها غير موجودة في مقابل ذلك جاء الرد عليها من الطرف المؤرخين الجزائريين الذين عملوا على تأسيس مدرسة وطنية عملت على تصحيح المفاهيم والعمل على تنقية التاريخ الوطني من الشوائب والمغالطات .

يتضح من خلال هذه النماذج الثلاثة حمدان خوجة وصالح العنتري وأحمد الجزائري أن الكتابات المحلية لم تكن مجرد رد فعل عاطفي على الاحتلال، بل شكلت خطابا واعيا و متمسكا يعبر عن إدراك الكتاب الطبيعية الغزو الفرنسي وخطورته، تنوعت هذه الكتابات في أساليبها، من الشهادة المباشرة مع حمدان خوجة إلى التوثيق اليومي مع صالح العنتري، وصولا إلى التحليل السياسي مع أحمد الجزائري، لكنها جميعا عبرت عن رفض الاحتلال وسعت لحفظ الذاكرة الوطنية .

إن دراسة مذكرات كل من أحمد باي وأحمد بوضربة تبين بجلاء أهمية الكتابة المحلية في توثيق الأحداث الكبرى التي شاهدها الجزائري مطلع القرن التاسع عشر، لا سيما في سياق الحملة الفرنسية ووقائع الاحتلال فقد مثلت مذكرات أحمد باي سجلا مباشرا من داخل السلطة السياسية والعسكرية، كاشفة عن رؤيته للمقاومة والمصير الوطني، بينما جاءت مذكرات أحمد بوضربة من موقع المراقب

الإداري المطلع، الذي سجل تفكك البنية التقليدية للسلطة وواقع الإنهيار الإداري والاجتماعي الذي صاحب الاحتلال وتظهر هذه الكتابات تفاوتاً في اللغة والأسلوب وطرائق التوثيق، لكنها تتقاطع في نقطة جوهرية تتمثل في الشعور بالصدمة والخذلان، والرغبة في الحفاظ على الذاكرة حية أن هذه النصوص تمثل رغم طابعها الفردي جزءاً لا يتجزأ من السردية الوطنية الجزائرية، وتوفر للباحثين مادة لا غنى عنها لفهم تفاصيل تلك المرحلة المفصلية من تاريخ الجزائر .

كما نستنتج أيضاً أن الحملة الفرنسية على الجزائر كان لها بعد ديني فهي إمتداد للحروب الصليبية من أجل نشر المسيحية في شمال إفريقيا باعتبار أن فرنسا كانت تعتبر نفسها حامية للكنيسة الكاثوليكية في البحر المتوسط، كما أن ذريعة المروحة ما هي إلا إدعاء سخييف أمام الرأي العام العالمي من أجل جبريل عملية الغزو .

من خلال تحليل كتاب أرشيف الفاتيكان السري تبين أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكن مجرد عملية عسكرية استعمارية فحسب، بل حملت في طياتها أبعاداً دينية واضحة تجسدت في تواطئ الكرسي الرسولي والدولة البابوية مع فرنسا، وهو ما تثبته الوثائق والمراسلات التي تناولها الكتاب .



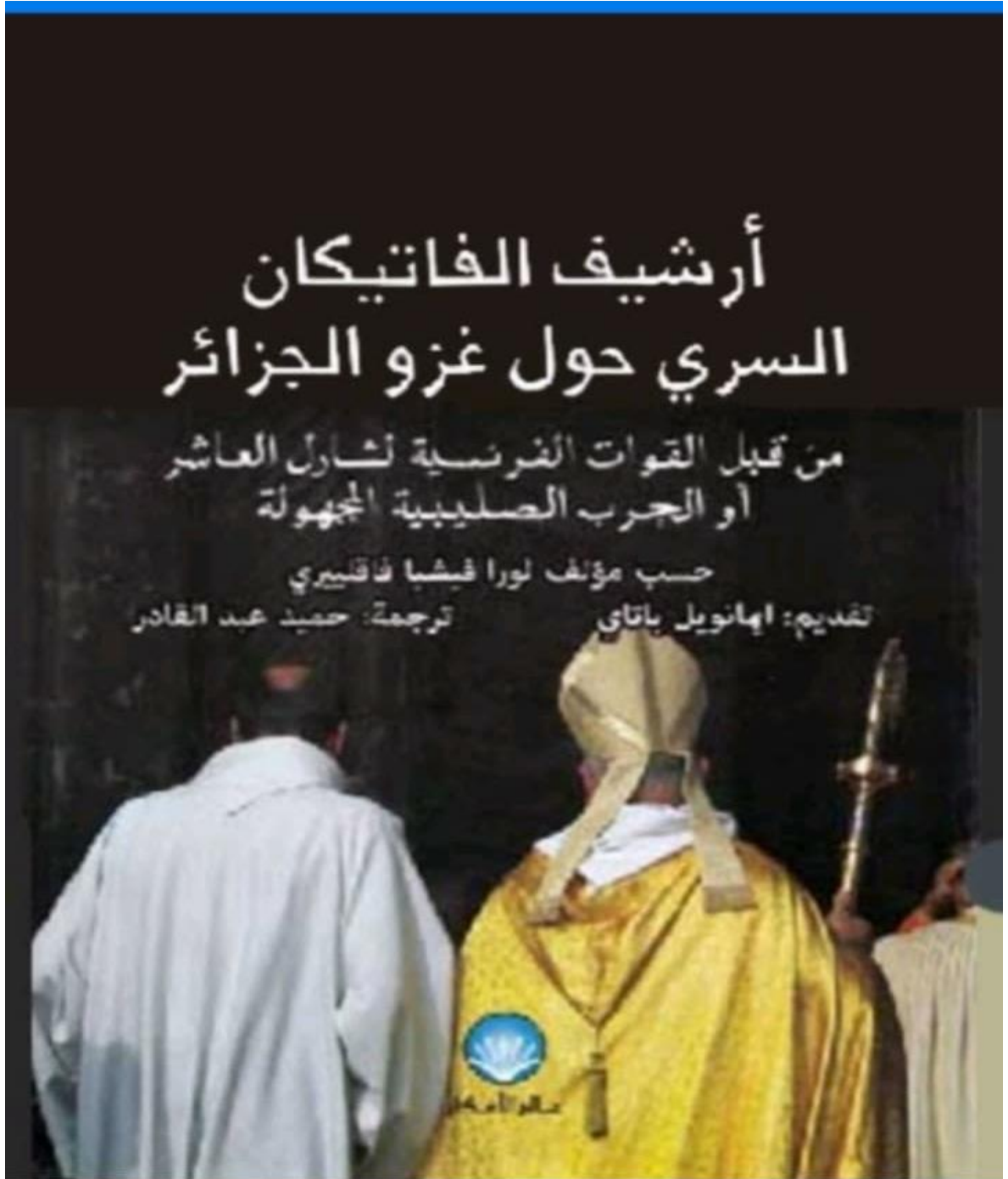
الملاحق

* الملحق رقم 1: صورة المؤلفة لورافيشا فاغليري¹

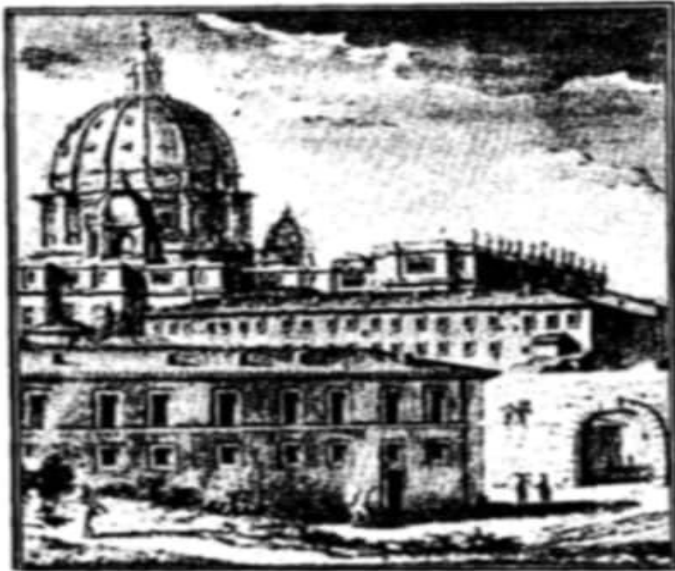


¹ - [https : my. RadioAlgerie. Dz /ar/ node/4477.](https://my.RadioAlgerie.dz/ar/node/4477)

* الملحق رقم 2 : واجهة كتاب أرشيف الفاتيكان السري حول الغزو الفرنسي للجزائر وحروب الصليبية المجهولة لورافيشيا فاغيليري .



الملحق رقم 3: الفاتيكان : مدينة الروح¹



القسم ١
الفاتيكان :
مدينة
الروح

يشعر الزائر في الفاتيكان برغبة قوية في فهم ما يرى، فلقد شرح علماء الآثار والمؤرخون والفنانون والأدباء تاريخ آثارها، لكن يبقى شيء ذو أهمية قصوى لا بد من إضافته، شيء يظل خافياً عن تحليلات الخبراء، هو تاريخ الفاتيكان الحي، الذي يجعل منها مدينة الروح. وكل من لا يعي الجانب الروحي للفاتيكان، أي الجانب الحقيقي الحي، لا يجد التفسير المناسب لها. أما فهم هذه الحقيقة، فيعني تكوين فكرة صحيحة مضبوطة عن سبب غنى مركز القيم الروحية هذا بأرق أشكال الفن، فكنوز الفاتيكان الفنية تتعلق في وجودها بفكرة أسمى.

¹ - محمد جميل القصاص: الفاتيكان روما المسيحية، ط1، دار طلاس، دمشق، 1992، ص9.

الملحق رقم 4: مقر رئاسة المجمع المقدس للتبشير وتنصير الشعوب المعروف أيضاً باسم مجمع نشر

الدعوة ¹ Piazza Di Spagha



مبنى نشر الدعوة في Piazza di Spagna، مقر رئاسة المجمع المقدس للتبشير وتنصير الشعوب المعروف أيضاً باسم مجمع نشر الدعوة

Piazza di Spagna عام ١٦٢٢ بقصد التبشير والدعوة إلى الإيمان في أقطار الإرساليات التبشيرية. وهو يقوم بنشاط عريض المدى، ينصب في الدرجة الأولى على الأراضي المكتشفة حديثاً، وأيضاً على أقطار أوروبا التي تحولت عن الإيمان

٢٥

¹ - محمد جميل القصاص: المرجع نفسه، ص 25 .

الملحق رقم 5: حادثة المروحة في قصر الداى¹

الملحق (05): حادثة المروحة 27 أفريل 1827.¹



¹ - عبد العزيز فيلالي: جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830/1850، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 155 .

الملحق رقم 6: صورة علي باشا¹



¹ - أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 133 .

الملحق رقم 7: صورة الداوي حسين باشا¹



صورة للداوي حسين باشا

٥٩

¹ - محمد الهادي الحسني، الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة ، عالم الأفكار، الجزائر، 2007، ص 95 .

الملحق رقم 8: شارل العاشر ملك فرنسا¹



شارل العاشر ملك فرنسا

¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط1، دار البعث، قسنطينة، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص246 .

القائمة البيبليوغرافية

أ. المصادر:

1. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
2. الجزائري أحمد: كيف دخل الفرنسيون الجزائر، نشره وقدم له صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962.
3. المدني أحمد توفيق: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
4. القصاص محمد جميل: الفاتيكان روما المسيحية، ط1، دار طلاس، دمشق، 1992 .
5. الحاج أحمد بن المبارك بن العطار: تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق حمادي عبد الله، دار الفائز لطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.
6. خوجة عثمان بن حمدان، المرأة، تعريب وتعليق عبد الكريم بن محمد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972.
7. الزيري محمد العربي: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
8. فيلاي عبد العزيز: جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830/1850، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر .
9. سبنسر ويليام: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
10. سيمون بفايفر: لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعليق أبو العيد دودو، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
11. العنتري محمد الصالح:

➤ تاريخ قسنطينة لفريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتحقيق يحيى بوعزيز، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

➤ مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

12. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط1، دار البعث، قسنطينة، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007 .

13. محمد الهادي الحسني، الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة ، عالم الأفكار، الجزائر، 2007

14. نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحالي، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1980

15. هابنسترايت: رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، تونس، دت.

ب. المراجع:

1-المراجع باللغة العربية:

1. بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية في الجزائر 1830، منشورات دحلب،الجزائر، 1871.
2. بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1989)، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
3. بن خذة بن يوسف: أوروبا والاستعمار في شمال افريقيا، دار الأمة، الجزائر، 1980.
4. بن قرية صالح: تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
5. بن نبي مالك: فكرة الإفريقية الآسيوية، دار الفكر، دمشق، 1983.

6. بوضرساية بوعزة: رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، طبعة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
7. تركي رابح:
- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال، الجزائر، 2001.
- التعليم القومي والشخصية الوطنية 1956/1931-دراسة تربوية للشخصية الجزائرية-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
8. الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج 2 وج 4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
9. حفيظ عبد الرحمن: تطور الفكر الإسلامي في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2002.
10. حميدة عميراوي: دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827-1840)، ط 1، دار البعث للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987.
11. الدوري عبد العزيز: أوراق التاريخ والحضارة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.
12. الزبيري العربي محمد:
- الجزائر في مواجهة الاستعمار الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، منشورات إتحاد الكتاب العربي، 1999.
13. زروال محمد: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994.
14. سعد الله أبو القاسم:
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، ج 1، دار البصائر، 2007.
- تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج 1 وج 2 وج 4 وج 6، وج 7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

➤ محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

➤ الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ط 1، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

15. سعيدوني ناصر الدين: منطلقات ومقاربات مواقع الجزائر من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط 2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

16. شنييتي البشير محمد: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003.

17. صلابي محمد علي: كفاح الشعب الجزائري منذ الاحتلال الفرنسي إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، دار المعرفة، بيروت، دت.

18. عقاب الطيب محمد: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، منشورات الجزائر، وزارة الثقافة، 2007.

19. العلوي الطيب العلوي: التربية بين الأصالة والتعريب، منشورات دحلب، الجزائر، دت.

20. العلوي الطيب محمد: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1985.

21. فارس خير محمد: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط 1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969.

22. قنان جمال:

➤ معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.

➤ قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

23. لونيسي رابح: كتابات محلية جزائرية حول الاحتلال الفرنسي قراءة تحليلية، منشورات ملتقى الذاكرة الوطنية، الجزائر، 2015.
24. المدني أحمد توفيق:
- حياة كفاح، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988.
 - كتاب الجزائر، المطبعة العمرية، الجزائر، دت.
 - تاريخ الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر-غزة، 1350.
25. مرتاض عبد المالك: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، النهضة الفكرية-النهضة الصحفية والأدبية-النهضة التاريخية، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
26. المطوي العروسي محمد: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
27. الملي مبارك بن محمد:
- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
 - تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.
28. نوقسن جان: دولة الفاتيكان رجالها-أنظمتها-رسالتها، ط 1، دار المكشوف، بيروت، 1920.
29. هلايلي حنفي: العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815/1830، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2007.
30. ولاء علي: ورقة بحثية بعنوان دبلوماسية الفاتيكان سياسية أم دينية، معهد إبراهيم أبو الغد للدراسات الدولية، جامعة بير زيت، فلسطين، 2020.

2-المراجع العربية:

1. فاغلييري فيشالورا: أرشيف الفاتيكان السري حول غزو الجزائر من قبل القوات الفرنسية شارل العاشر أو الحرب الصليبية المجهولة، ترجمة إيمانويل باتاي، دار النشر الفرنسية، باريس، 2005.

2. فراتيني إيريك: الكيان خمسة قرون من جاسوسية الفاتيكان السرية، ترجمة ومراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.

3-المراجع باللغة الفرنسية:

1. Boutros Ghali: L'Église et la colonisation, paris, Éditions duseuil, 1972.

2. Emmanuel Bataille : préface de la traduction française, dans : Vaglieri, les archives secrètes du vatican sur la conquête d'alger.

3. Veccia Vaglieri Laura : encyclopedia of Islam : second Eddition, Brill online, 2012.

4. Yever Georges : Sihamdan ben otmman khodja, revue africaine, n°1913.

4-الرسائل الجامعية:

1. بكاري عبد القادر، منهج الكتاب التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العهد العثماني 1830/1519، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فغور دحو، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2015-2016.

2. بورمضان عبد القادر، المجتمع والعمران في مدينة عنابة خلال الفترة الاستعمارية 1830-1900، أطروحة دكتوراه علوم، إشراف بورغدة رمضان، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، 2021-2022.

3. برقية عبد الحميد، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879/1962م دراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، إشراف محمد شرقي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، جامعة 8ماي 1945م، قالمة، 2021/2022 .
4. جبور بن محمد، صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 17 و 18، رسالة ماجستير، إشراف الغازي جاسم، قسم التاريخ وعلم الآثار ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2002-2003.
5. حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لينل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، إشراف قشي فاطمة الزهراء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006.
6. شريف عز الدين، مسألة الذاكرة ضمن مؤرخي الحركة الوطنية والثورة الجزائرية 1900-1920، أطروحة دكتوراه الطور الثالث (ل م د)، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2018/2019.
7. كعوان فارس، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830-1962: مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2011-2012.

5-المقالات:

1. أزواو فتح الدين، مسألة السيادة وفكرة الوطنية في كتابات المؤرخين الجزائريين 1830-1962، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 5، ع 1، 2021، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
2. أمّنة فاطمة، العيادة زهرة، أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث (1830-1915)، دراسة نماذج، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج 7، ع 1، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله.
3. آيت حبوش حميد، قراءة في الموروث التاريخي للدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الحوار المتوسطي، ع 7، جامعة تلمسان.

4. بخدة طاهر، تاريخ الجزائر في منظور الكتاب الفرنسيين: الشبهات، المنهج، والأهداف، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج 7، ع 1، 2022، جامعة مصطفى اسطembولي، معسكر.
5. بدرية فرحات إياد، نظرية الدولة في القرون الوسطى، مجلة الاستغراب.
6. بكاري عبد القادر، ملامح وقدرات المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر: كتابات أندري نوشي نموذجاً، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع 2، أبريل 2022، جامعة ابن خلدون، تيارت.
7. بلبروات بن عتو، الاهتمامات التاريخية للدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، ع 1، 2011، جامعة الجيلالي يابس، سيدي بلعباس.
8. بلبل محمد، الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة والذاتية والحقيقة التاريخية، مجلة دراسات التاريخية، ع 4، جامعة ابن خلدون، تيارت.
9. بلعالية ميلود، نماذج من التطرف الفكري في أطروحة مدرسة التاريخ الاستعماري اتجاه الجزائر، دورية كان التاريخية، ع 52، يونيو 2021، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.
10. بن شيخ حكيم، الدكتور سعد الله رائد المدرسة التاريخية الجزائرية وباعثها، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 7، ع 2، ديسمبر 2016، جامعة سيدي بلعباس.
11. بن عدة عبد المجيد، رائد المقاومة السياسية الحديثة في الجزائر السيد حمدان خوجة 1773-1845، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج 2، ع 3، الجزائر.
12. بن عرفة إبراهيم، عالية بشير، قراءة في أنثربولوجيا الجزائر، مجلة متون، مج 11، ع 2، 2019، جامعة علي لونيسي، البلدية-جامعة مولاي الطاهر، سعيدة.
13. بوباية عبد القادر، إسهامات الدكتور يحيى بوعزيز في التأريخ للجزائر في العصر الوسيط: الموجز في تاريخ الجزائر نموذجاً، مجلة عصور الجديدة، ع 13، 2014.

14. بوحسين جلول، أبو القاسم سعد الله وإسهاماته في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية من خلال مؤلفه تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة المعيار، عدد خاص، أبريل 2024، جامعة ابن خلدون، تيارت.
15. بوداود عبيد، اكسيس دوتوكفيل: قراءة حول تاريخ الجزائر في بعض أفكاره ومواقفه، مجلة القرطاس، ع 2، جانفي 2015، جامعة معسكر.
16. بودلاعة رياض، الهوية الوطنية في خطاب رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: أحمد توفيق المدني 1899-1983 أنموذجا، مجلة رؤى التاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، مج 4، ع 1، جانفي 2023.
17. بودن غانم، الأوقاف الإسلامية في نضال حمدان خوجة، مجلة القضايا التاريخية، مج 8، ع 2، 2023، تيبازة، الجزائر.
18. بوذراع أحمد:
- الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830: دراسة عسكرية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، مج 4، ع 3، جويلية 2022.
- دراسة عسكرية لمعركة سطاوالي يوم 19 جوان 1830، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، مج 5، ع 2، جويلية 2023.
19. بوراس طليبة، المدرسة التاريخية الفرنسية ومحاولات الطمس الحضاري للجزائر - مؤرخو التاريخ القديم أنموذجا-، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 16، جامعة حمه لخضر، الوادي.
20. بورمضان عبد القادر، الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة 1830-1832، دورية كان التاريخية، ع 48، يونيو 2020.

21. بوشنافي محمد، أهمية الوثائق في الكتابات التاريخية عند الدكتور يحيى بوعزيز، مجلة الناصرية للبحوث الاجتماعية والتاريخية، ع 1، 2004، جامعة الجيلالي يابس، سيدي بلعباس.
22. بوطبة لخضر، الصراع المسيحي الاسلامي في خوض البحر الأبيض المتوسط القرن 16: الاحتلال الاسباني للمدن الساحلية نموذجا، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 10، ديسمبر 2018، جامعة لمين دباغين، سطيف.
23. بوعباش مراد، أعلام الجزائر: حمدان خوجة المواقف السياسية والقضية الوطنية، مجلة الباحث، ع 3، الجزائر.
24. بوعرفة عبد القادر، صورة فرنسا الكولونيالية: قراءة في أطروحات الرحالة الجزائري حمدان خوجة، مجلة الاستغراب، ع 20، خريف 2021.
25. بوعزيز يحيى، حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية، مجلة الدراسات التاريخية، تصدر عن جامعة الجزائر 2، مج 23، ع 12، جامعة الجزائر 2.
26. بوعقادة عبد القادر، نحو مدرسة تاريخية وطنية مكينة، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 6، ع 2، جامعة البليدة 2، الجزائر.
27. بوقرين عيسى، بن ناصر بن شهرة، رمز المقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي الجزائري (1850-1875)، مجلة الباحث، ع 17، جامعة عمار ثلجي، الأغواط.
28. بومخيلة ممدوح، الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال الدراسات الأكاديمية المترجمة: أطروحة الدكتوراه للمؤرخ أرجمنت كوران نموذجا، مجلة الراصد العلمي، مج 10، ع 1، جامعة وهران 1.
29. بيتور علال، منطلقات مدرسة التاريخ الاستعماري كما حددها المؤرخ جمال ثنان، مجلة الدراسات التاريخية، مج 23، ع 1، 2022، جامعة الجزائر 2.
30. تركي أحمد الشريدة، نشأة البابوية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 45، ع 4، 2018، الجامعة الأردنية.

31. التميمي عبد الجليل، التفكير الديني والتبشيري لدى المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19، المجلة التاريخية المغاربية، ع 1، تونس، 1974.
32. جغلولي يوسف، تالي جمال، الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل: دراسة نقدية للأعمال الاستشراقية الفرنسية، مجلة الحقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع 6، جامعة المسيلة-جامعة جيجيل.
33. جلاوي سعيد، نظرة محمد العربي الزبيري لواقع المدرسة التاريخية في الجزائر من خلال المصادر المطبوعة والإلكترونية، مجلة المعيار، ع 1، جوان 2022، جامعة أكلي محمد أوجاح، البويرة.
34. حباك عمر، المدرسة الاستشراقية الإيطالية، مج 5، ع 1، جانفي 2024.
35. حسين عبد الهادي، الحصار البحري الفرنسي وسقوط الجزائر 1827-1830، دورية كان التاريخية، ع 35، مارس 2017، جامعة تلمسان.
36. حصاد عبد السلام، مشاريع الاحتلال، مجلة متون، ع 15، سبتمبر 2012، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر.
37. حقشاط عبد الغاني، جهود جمعية العلماء المسلمين في تدوين تاريخ الجزائر: مبارك الملي وأحمد توفيق المدني نموذجا، مجلة التنمية والمجتمع، مج 7، ع 2، 2022، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.
38. حميدي أبو بكر الصديق، القضية الجزائرية في الخطاب السياسي لحمدان خوجة بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 9، جويلية 2015، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
39. حميدة عميراوي، حمدان خوجة: حياته وآثاره، مجلة الثقافة، ع 90، ديسمبر 1972.
40. خالدي مريم، مساهمة أبو القاسم سعد الله في بعث التراث المخطوط، مجلة العلوم، ع 6، جامعة سيدي بلعباس.

41. خليفي عبد القادر، الكتابات التاريخية وبعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية، دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني 1931-1950، مجلة دراسات وأبحاث، مج 6، ع 10-15، سبتمبر 2015، جامعة المسيلة.
42. دحماني يوسف، المؤرخون الجزائريون ومشروع كتابة الثورة الجزائرية: محمد حربي وعامرة هلال نموذجين، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، مج 12، ع 2، 2024، جامعة النعامة، الجزائر.
43. دراغو محمد، لعابب معمر، الجزائر في كتابات الفرنسيين قبل الاحتلال 1830، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 14، ع 2، ديسمبر 2022، جامعة سيدي بلعباس.
44. دحدوح نجاة، نايم فيصل، مسكوكات أحمد باي: دراسة أثرية تحليلية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 8، ع 1، جانفي 2025، جامعة الجزائر 2.
45. رامي سيدي محمد، قراءة مقارنة في خلفيات ودوافع الاحتلال الفرنسي للجزائر، تونس، مجلة القرطاس، ع 7، جانفي 2018.
46. رحمانى نعيمة، الأسطوغرافيا الاستشراقية الفرنسية حل قيمة الجزائر في العهد العثماني ما بين الموضوعية العلمية والذاتية المؤدجة-مقارنة إثنو تاريخية-، مجلة الحوار المتوسطي، مج 10، ع 1، مارس 2019، جامعة تلمسان.
47. رزيق محمد، ألكسيس ديتوكفيل وشرعنته للسيطرة والاستيطان في الجزائر من خلال ثلاثة وثائق، مجلة العلوم القانونية والسياسية، ع 9، جوان 2014، جامعة الجزائر 3.
48. روابحي العياشي، الأمير عبد القادر في منظور مؤرخي وكتاب المدرسة الكولونيالية الفرنسية، مج 7، ع 1، 2023، جامعة عنابة، الجزائر.
49. زاهي محمد، أبو القاسم سعد الله وإسهاماته في الحفاظ على التراث الثقافي الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، ع 7، جامعة تيارت.

50. زاوي أحمد، مياد رشيد، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين: الشيخ مبارك الميلي أنموذجاً، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، مج 7، ع 1.
51. زايدي عز الدين، إرهاصات الحركة الجزائرية من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، مج 7، ع 2، ديسمبر 2016، جامعة الجيلالي الياابس، سيدي بلعباس.
52. الزبيري العربي محمد، حمدان خوجة: أصله، ونشأته، وثقافته، مجلة المجاهد الأسبوعي، ع 632، ديسمبر 1972.
53. زرافة علي، المؤرخون الجزائريون في مواجهة كتابات المدرسة الاستعمارية الفرنسية ما بين 1830-1962، مجلة العبارات للدراسات التاريخية الأثرية في شمال إفريقيا، مج 6، ع 1، جانفي 2023.
54. زمولي يسمينة، الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر-حمدان بن عثمان خوجة ورافع الطهطاوي نموذجاً-، مجلة العلوم الإنسانية، مج ب، ع 41، جوان 2014، جامعة قسنطينة 2.
55. زوزو عبد الحميد، حمدان خوجة ومنهجيته في كتابة التاريخ، مجلة الأصالة الجزائرية، تصدرها وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، ع 4، أكتوبر 1971، الجزائر.
56. زيان إسماعيل، قراءة لترجمة الشيخ محمد بن أحمد الجزائري في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج 8، ع 3، جوان 2023.
57. سباعي سيدي عبد القادر، الغزو الفرنسي للجزائر: خلفياته وأبعاده، مجلة البدر، ع 6، أكتوبر 2009، جامعة بشار.
58. سجين نجبية، التاريخ الجزائري القديم في كتابات المدرسة الكولونيالية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 16، ع 2، ديسمبر 2024، جامعة سيدي بلعباس.

59. سعد الله أبو القاسم، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، ع 14-15، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
60. سعد الله عمر، الحملة الفرنسية على الجزائر 1830 في ظل القانون الدولي، جريدة الجزائر نيوز، ع 12، مارس 2000.
61. سعودي مراد، جهود الأستاذ جمال قنان في بناء مدرسة تاريخية جزائرية من خلال كتابة قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مجلة البشير الإبراهيمي، بوعرييج، الجزائر.
62. سعيدي خير الدين، أضواء جديدة على مواقف حمدان خوجة من المسألة الجزائرية من خلال مراسلتين إلى الباب العالي 1834-1835، مجلة أسطور، ع 21، تموز-يونيو 2024، جامعة اسطنبول.
63. سعيود إبراهيم، وثائق تاريخ الجزائر الحديث المحفوظة في دور الأرشيف الإيطالية، مجلة الدراسات التاريخية، مج 25، ع 2، ديسمبر 2024، جامعة الجزائر 2.
64. سلطانة عابدة، قراءة في خصائص تجارة مدينة الجزائر سنة 1830: حمدان خوجة وأحمد بوضربة أنموذجا، مجلة الناصرية، مج 2، ع 1، 2012.
65. الشارف عابدة، الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني 1515-1830، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع 38، 2018، جامعة الجبيلي يابس.
66. شرقي قدور إبراهيم، مقاومة أحمد باي بين الأوضاع والمتغيرات الدولية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 15، ع 2، جانفي 2024، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.
67. ضيف الله عقيلة، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، حوليات معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1998.

68. طاليبي علي، حريشة جمال، شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال مؤلفات خصومه من الفرنسيين-كتابات برنو اتيسن وجان لويس زان نموذجاً-، مجلة المعيار، مج 14، ع 1، جوان 2023، جامعة تيسمسيلت.
69. عبد المومن إبراهيم، الكتابات التاريخية في الحركة الوطنية الجزائرية: من المقاومة والدعوة إلى وحدة المغرب، مجلة كان التاريخية، ع 45، سبتمبر 2019، جامعة العربي بن مهيدي.
70. علواني صالح، قراءة في كتاب هذه الجزائر للمناضل الجزائري والمؤرخ الثائر أحمد توفيق المدني انموذجاً، مجلة رؤى التاريخية، مج 4، ع 2، جويلية 2023، جامعة تيبازة.
71. عمارة علاوة، الشيخ مبارك الملي ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر، مجلة مواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 3، سبتمبر 2008، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
72. غانم محمد، المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية.
73. فشار عطا الله، غربي الغالي، المدرسة التاريخية الفرنسية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث-المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، ع 26، مارس 2017، جامعة المدية، جامعة زيان عاشور.
74. فلاك أنيسة، رحلة الحج الميمونة لأحمد باي آخر الحكام العثمانيين بالجزائر من خلال جدارية متحف قصر الباي بقسنطينة، مجلة العصر، مج 1، ع 4، فيفري 2020، الجزائر.
75. قادة يعقوب، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، مج 17، ع 1، 2023، جامعة أكلي محمد أواجاج، البويرة.
76. قبال مراد، كتابة تاريخ الجزائر عند مباك الملي شيخ المؤرخين، مجلة رؤى التاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، مج 1، ع 2، أكتوبر 2020.

77. قوراري سليمان، يحيى بوعزيز ودوره في إبراز أعلام الجزائر ومآثرهم، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات في غرب إفريقيا، ع 7، 2015، جامعة أدرار، الجزائر.
78. ثن محمد، الداى حسين باشا والأزمة الجزائرية الفرنسية 1830/1827، مجلة التراث، ع 25، جامعة الجلفة.
79. قنان جمال:
- عنصر في الأزمة الجزائرية الفرنسية 1827 ووحدة التراب: مجلة التاريخ، عدد خاص، النصف الثاني من عام 1984.
- مدرسة التاريخ الاستعماري بين الإيديولوجية والموضوعية حول بعض قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية، مج 3، ع 2.
80. لوصيف سفيان، أبو القاسم سعد الله وكتابه تاريخ الجزائر، مجلة دراسات وأبحاث، ع 28، سبتمبر 2017، جامعة سطيف.
81. مجدوب موساوي، الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس راين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 3، ع 1، يناير 2020، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة.
82. مصطفى سعاد، موقف رجال الدين المسيحي الفرنسي من الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة المفكر، مج 8، ع 1، جوان 2024، جامعة الجزائر 2.
83. معوشي آمال، أحمد توفيق المدني: لمحة عن إسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، مجلة البحوث التاريخية، مج 3، ع 1، مارس 2019، جامعة محمد بوضياف، المسيلة.
84. مناصرية يوسف، آراء المؤرخين الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر من خلال كتابات كلود فاتان، مجلة الدراسات التاريخية، مج 3، ع 2، جوان 1988.
85. موسم عبد الحفيظ، الهوية الوطنية ضمن كتابات أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر أنموذجا، مجلة الدراسات، مج 13، ع 2، 2022، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة.

86. مباد رشيد، الشيخ مبارك الملي المئورخ: عرض لحياته ومنهجه في الكتابة التاريخية، مجلة الباحث، مج 12، ع 3، 2020، جامعة يحيى بن فارس، المدية.
87. الملي عبد القادر، مقاومة شريف بوشوشة من خلال الكتابات الفرنسية كتاب لويس رين الموسوم بتاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر انموزجا، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، مج 1، ع 1، جانفي 2019، جامعة أفلو الأغواط.
88. الملي محمد إبراهيم، نماذج من تشويه تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، ع 14-15، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
89. نايلي عبد القادر، تاريخ الجزائر ضمن الكتابات الفرنسية نموزجا، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة.
90. هاشمي كوثر، أحداث 8 ماي 1945 من خلال جريدة لاديبيش دو كوستنتين، مجلة البحوث التاريخية، مج 6، ع 1، جوان 2022، جامعة 8 ماي 1945، قالمة.
91. همال عبد السلام، المدرسة التاريخية الاستعمارية بالجزائر 1830/1962 - الأسطورة القبائلية البربرية نموزجا-، مجلة العلوم الإنسانية، ع 8، جانفي 2015، جامعة المسيلة، الجزائر.
92. ورناجي مراد، معلمة تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله، مج 25، ع 56، 2021، جامعة الجزائر.
93. ولد بوسيافة رشيد، مفهوم الهوية الجزائرية وفق منظور المدرسة التاريخية الكولونيالية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 12، ع 1، 2022، جامعة المدية.
94. يخلف عبد القادر، مساهمة شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله في التأريخ للجزائر أثناء الاحتلال: الحركة الوطنية الجزائرية نموزجا، مجلة عصور الجديدة، ع 13، 2014.

6-المواقع الإلكترونية:

1. بوبوش محمد، القوة الناعمة للبابا في العلاقات الدولية المعاصرة، المعهد المصري للدراسات (2019).

<https://inyuri.com/y37wlxxz>.

2. كامل مصطفى، بابا الفاتيكان عن جدار ترامب: الخوف من المهاجرين يدفعنا للجنون، الموقع

الرسمي لوكالة الأناضول الدولية (2019).

<https://tinyurl.com/y3tegvsv>.

فهرس المواضيع

الصفحة	المحتوى
	شكر وتعرفان
	إهداء
	قائمة المختصرات
أ - خ	مقدمة
	الفصل الأول : نظرة الأدبيات الغربية لتاريخ الجزائر الكتابات الفرنسية (آ نموذجاً)
19-7	المبحث الأول : دوافع الاهتمام المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر
39-20	المبحث الثاني : المدرسة الاستعمارية الفرنسية ودورها في تشويه تاريخ الجزائر
45-39	المبحث الثالث : منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر
	الفصل الثاني : تاريخ الجزائر من منظور الكتابات المحلية
58-47	المبحث الأول : المدرسة الوطنية الجزائرية ودورها في رد الاعتبار للتاريخ الجزائري (تعريفها تأسيسها روادها)
77-59	المبحث الثاني : نماذج من الكتابات المحلية
91-78	المبحث الثالث : موقف الكتابات الجزائرية من الكتابات الأجنبية (الفرنسية)
	الفصل الثالث : دور الفاتيكان في الحملة الفرنسية على الجزائر
93-91	المبحث الأول : نشأة دولة الفاتيكان
97-94	المبحث الثاني : دعم الفاتيكان لفرنسا أثناء عملية الغزو
107-99	المبحث الثالث : الإشاعة الفرنسية لغزو الجزائر (حادثة المروحة نموذجاً)
	الفصل الرابع : دراسة وصفية للكتاب
112-109	المبحث الأول : تعريف المؤلفة
113-112	المبحث الثاني : التأطير العام للكتاب
115-113	المبحث الثالث : تحليل سميائي لواجهة الكتاب
	الفصل الخامس : دراسة تحليلية للكتاب

131-115	المبحث الأول : تحليل مضمون الكتاب (المحتوى)
140-131	المبحث الثاني : القيمة التاريخية للكتاب
144-140	المبحث الثالث : البعد الصليبي للحملة من خلال الكتاب
145-144	الخاتمة
153-146	الملاحق
171-154	قائمة الببليوغرافيا
	ملخص الدراسة

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة موضوع الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 من زاوية جديدة، تتمثل في تحليل وثائق أرشيف الفاتيكان السري، بهدف الكشف عن البعد الديني والصليبي الذي رافق هذا الغزو، في ظل تحالف خفي بين الدولة الفرنسية والكنيسة الكاثوليكية في عهد شارل العاشر.

كما تركز الدراسة على تفكيك خطاب المدرسة الاستعمارية الفرنسية التي سعت إلى تبرير الإحتلال وتزوير تاريخ الجزائر، مقابل جهود المدرسة الجزائرية الوطنية في تصحيح هذه السردية الاستعمارية واستعادة الوعي التاريخي. بالاعتماد على مناهج تحليلية نقدية، تسعى الدراسة إلى تقديم قراءة متعددة الأبعاد، تدمج بين السياسة، الدين، والتاريخ، وتعيد الاعتبار للرواية الجزائرية عبر توثيق الحقائق المخفية في أرشيفات غير تقليدية.

Abstract :

This study explores the French invasion of Algeria in 1830 from a new perspective, by analyzing documents from the Vatican Secret Archives to uncover the religious and crusading dimensions of the campaign. It investigates the hidden alliance between the French monarchy under Charles X and the Catholic Church, revealing how spiritual motivations complemented political and colonial objectives. The research also examines how the French colonial school distorted Algerian history to justify occupation, while highlighting the efforts of the Algerian national historical school in reclaiming historical truth and resisting narrative manipulation. Using critical and comparative methodologies, the study offers a multidimensional analysis that integrates political, religious, and historical lenses, aiming to restore the Algerian narrative through neglected archival sources.

